لغز السيدة الجميلة

د. محمد حسن عبد الله

من أقدم تساؤلات الدهشة التى استقرت فى وجدان نجيب محفوظ منذ صباه : البحث فى « سرّ الوجود » ولم يكن هذا التساؤل سطحياً أو مرحلياً عابراً ، مثل كثير من الأفكار أو الأحلام التى يتحمّس لها المراهق بعض الوقت ، ثم تكتسحها أفكار أو أحلام أخرى ، وهكذا حتى يقترب من اكتشافه لذاته ويستقر عند مقولات ثابتة ، وقد لا يكتشف ولا يستقر مطلقاً . فيما يتذكره نجيب محفوظ أن شغفه باكتشاف سرّ الوجود كان حافزه لإيثار الدراسة النظرية ، ودخول كلية الآداب ، وتفضيل قسم الفلسفة ، معاكساً ـ فى هذا ـ ما تفضله أسرته من اتجاه نحو الكليات التى تمنح متخرجيها وجاهة اجتماعية فضلاً عن المردود المادى : « خيّل إلىّ أننى بدراستى للفلسفة سأجد الأجوبة الصحيحة ، ألا يصبح الدارس للطب طبيباً ، والدارس للهندسة مهندساً ؟ إذاً « فدراستى للفلسفة سوف تجيب على الأسئلة التى تعذبنى . خيل لى أننى سأعرف سرّ الوجود ، ومصير الإنسان . يعنى بعد تخريجى سأخرج ومعى سرّ الوجود . . . كما تتعلم الطب ، ستتعلم سرّ الوجود » لقد وصف الكاتب تصوره هذا بالسذاجة ، وهو أدرى بما حصّل فى كلية الآداب وما اكتشف من أسرار الوجود خلال تلمذته فى قسم الفلسفة ، وقد نسترشد بما آل إليه أمر كمال عبد الجواد [فى الثلاثية] لنكتشف أن المحصّلة لم تكن مشبعة بالقدر الذى تمنّى . ومع هذا فإن الكاتب لم يكفّ ـ طوال رحلته القصصية الثرية ـ عن طرح تساؤلاته ، وتقديم تأملاته حول سرّ الوجود ، أو لغز الوجود ، وأغرب ما فى هذا السرّ ، أو اللغز ، كما سنرى ، أنه مفهوم فى تفاصيله ، محكوم بقوانينه المعلنة ، ولكنه فى جملته يستعصى على الفهم . ولعل هذا الموقف [النهائى] يمثل حدّاً فى إشكالية ماثلة ، نجد حدّها الآخر فى عبارة قديمة جداً ، قالها أحمد شوكت لخاله كمال عبد الجوّاد [فى السكرية] : « ربما كان من الخطأ أن نبحث فى هذه الدنيا عن معنى ، بينا أن مهمتنا الأولى أن نخلق هذا المعنى » . فإذا خلم يكن البحث خطوة بالضرورة نحو الخلق ، فإن الخلق فى ذاته تشكيل أو تجسيد للمعنى ، وهذا التشكيل هو أسلوب من أساليب البحث ، وهو أسلوب جدلى أيضا ، يتولى تصحيح نفسه بنفسه من خلال الممارسة ، والالتحام المباشر بالتجربة .

إن البحث فى « سر الوجود » أقرب استجابه للشكل الروائى ، حيث يمتد الزمن بلا قيود ، وتتعدد الشخصيات ، وتصطدم الرؤى الكاشفة من خلال التناقض ، وقد اقترب نجيب محفوظ من تساؤله القديم بأكثر من طريقه ، وقد تكون حيرة كمال عبد الجواد ، وكلمة ابن اخته إليه طرحاً أولياً مبكراً يناسب المنهج الواقعى الذى حكم الثلاثية ، ولكنه فرض نفسه كلغز يبحث عن حل منذ « أولاد حارتنا » ، والتساؤل فيها لا يلقيه شخص ، وإنما يطفر من مضمون شامل للعمل ، وهو ما نجده على نحو آخر فى « الشحاذ » ونحو ثالث فى « الطريق » ، ثم تمتد رحلة جعفر الراوى [فى قلب الليل] من ظلام الغريزة إلى ثورة العقل ، فى خط معاكس للتصور النظرى للخلق : « إنى أتمرّغ فى التراب ولكنى هابط فى الأصل من

السماء » ، وهنا لا يردد الكاتب سرّ النشأة الأولى كما جاء فى الكتب المقدسة ، وإنما يكشف عن أهم مفاتيح سرّ الوجود ، أو ألغازه ، إن القلة المعتدلة تقول : « فلتبق التكية ما بقيت القرافة » . وفى « ملحمة الحرافيش » ارتفع البحث فى سر الوجود ، إلى مستوى السؤال الذى يطرحه العمل على امتداده ، كما فى « أولاد حارتنا » . وهذا يعنى أن تلهف نجيب محفوظ على دخول كلية الآداب ، ثم قسم الفلسفة لم يكن استجابة لقلق مرحلى ، بل كان تعبيراً عن شوق داخلى ، وقلق مكين » بدرجة ، يمكن معها أن نقرر أن البحث أو التساؤ ل حول « سرّ الوجود » يمثل محوراً راسخاً من محاور الفكر عند الكاتب ، وقضية أساسية مما اهتمت رواياته بمعالجته ، وقد ألهمه شغفه بالفكرة ــ القضية ، أساليب شتى فى الطرح الفنى ، أو الخطاب ، وهذا ما نعرض له فى بعض القصص القصيرة .

لقد قدمنا بهذه اللمحة الخاطفة عن عمق التساؤ ل وتنفّسه فى بعض الروايات ، لأن الرابطة بين الطرفين مستقرة فنياً . أما القصة القصيرة فإن نسيجها الفنى ، وحدثها الموضوعى لا يتسعان لطرح التساؤ لات ، كما أن حرصها على التعبير عن واقع مألوف [أو على وجه التحديد شىء استثنائى فى الواقع المألوف] يجعل من التعرض للقضايا الكونية ، ومشكلات المصير الإنسانى مغامرة غير مأمونة فنياً ، وقد يدفع بالقصة القصيرة إلى الجفاف والتجريد أو التعسّف فى فرض الأفكار والسلوكيات وتوجيه التفاصيل ، مما يوجه ضربة قاصمة لأهم عناصر الجاذبية المؤثرة فى تشكيل القصة القصيرة . ونعتقد أن نجيب محفوظ قد أضاف الكثير من الألوان فى زاوية الرؤ ية لذات الفكرة ، وفى التفاصيل التى يدفع بها فى خط وسط ، له ومض مزدوج من الواقع والرمز ، رغم الثوابت التى لم تتغير فى تلك القصص . وقد حقق بهذا درجات متفاوتة من الإجادة الفنية ، هى إضافة لإمكانيات مكتسبة ، تنمو ، لفن القصة القصيرة العربية .

إن « سر الوجود » ــ تجمع عند نقطتين أساسيتين : اعجوبة الميلاد ، ولغز الموت . ومن قبل أشار فورستر [فى كتابه : أركان الرواية] إلى حقائق الحياة الخمس ، ومن بينها الميلاد ، أو هو أوّلها ، ولكن كتاب الرواية يتجاهلونه ، فإذا ظهر الأطفال فى سياق رواية ، فكأنما جاءوا محمولين فى طرود بريدية !! إن الأطفال ليسوا كذلك فى روايات نجيب محفوظ [نذكر ميلاد نعيمة بنت عائشة فى قصر الشوق ، والطفل اللقيط عاشور الناجى فى الحرافيش ، وفى فترة مبكرة جداً : طفل النبوءة « ددف » فى عبث الأقدار ، وهذه مجرد إشارة] وهم فى هذه القصص القصيرة المنتخبة يمثلون الجنس البشرى ، فى علاقته بالدنيا ، أو بالوجود . على أن « لغز الموت » هو الأكثر إثارة وحزنا فى نفس الإنسان ــ الكاتب ، إننا لا نعرف كيف تقبّلنا الحياة ، إنها جرعة تسرى فى دمائنا وعقولنا نتشربها على مهل ، وامتداد يلغى معنى الصدمة ، إننا نتلقاها ، ونتعامل معها ، قبل أن نعقلها ، أو نفكر فى اتخاذ موقف منها ، وليس هكذا الموت . إنه ، بعد تجربة الحياة ، يفرض نفسه كنهاية حتمية ، تحيط بها التساؤ لات التى لا تجد جواباً شافياً من القلق : متى ، وكيف ، وأين ، وماذا بعد ؟ وينسحب التساؤ ل أو يتمدد ليشمل العمر أو الحياة : فيم كان ما كان ؟ وما جدواه لى ، وماذا يبقى للآخرين ، وإلام تهدف القوانين الحاكمة لهذا التدرج الحتمى بين ميلاد الفرد وموته ؟ وماذا يحمل له من عزاء أو عذاب فناؤه الفردى وبقاؤه النوعى ؟ .

منذ المجموعة القصصية الأولى [همس الجنون] سنجد إشكالية العلاقة بين الموت والحياة ماثلة كاهتمام مبكر وملحّ ، بالتساؤ ل القديم ، فى « بذلة الأسير » يكون تحقق حلم الحياة سبباً مباشراً للموت ، وفى « نحن رجال » تكون الرغبة العارمة فى عبادة القوة ، ومعانقة الحياة المتأججة سبباً فى انطفائها ، وفى المرتين يأتى الموت بغتة ، ومؤسساً على أسباب هى فى اعتقاد « البطل » تؤدى به إلى الحياة . وفى « صوت من العالم الآخر » تنكشف صفحة من الحياة الأخرى ، فيها يرتفع الإنسان إلى مستوى الكمال ، فى مقابل الحياة الدنيا التى تمثل النقص ، فهو فوق الأنانية ، والحزازات ، وهو يرى أكثر ، ويعرف أكثر ، وبغير قيود ، ومن ثم يتحقق له الحياد المطلق ، أو التجرد ، فيصل إلى لذة لم يجربها من قبل ، لذة أن « يعرف » أن يعيش عالم الحقيقة الكاملة ، ترى ما سيكون وهو كائن ، ويتمتع ما « كان » بحضور ماثل . وفى « دنيا الله » تصل قصة « حادثة » إلى ما وصلت إليه « بذلة الأسير » ، لقد بلغ العجوز المجهول حالة من الرضا والأنس بالحياة ، سجّل هذا كله فى رسالة مرحة إلى صديق ، ثم دهمه الموت فجأة ، وكأنما بلغ المدى الذى لا يجوز اختراقه ، أو حقق الهدف المناقض لمعنى وجوده . وفى « ضد مجهول » نرى الموت عيانا ، فى شكل خيط دقيق من النايلون ، يحيط بعنق كل منا ، يخبط بين البشر خبط عشواء ، يستعصى على فهمنا قانون عمله ، إلاّ شىء واحد ، لم يتخلف فاستقر فى أعماق الضمير : كل ما يولد يموت ، بل إن الموت سبيل إلى ميلاد جديد ، هو يفسح الطريق لميلاد جديد [مات الضابط يوم مولد ابنه ، وكان يبحث فى سر الموت فلم يحقق شيئاً ، ومن ثم راح يتأهب ــ ربما من حيث لا يدرى ــ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لاستقباله بقراءة كتب التصوف] فأسباب الموت هى أسباب الحياة [صابر الرحيمى قتل صاحب الفندق العجوز برجل كرسى ولادة قديم] وفى « موعد » تتأكد الخدعة ، العبثية ، اللا منطقية ، جاء الحاج من الريف ،ليستلّ مخاوف أخيه فى القاهرة ، وقد أنذره الأطباء أن موته مؤكد بعد أشهر معدودات ، وينصرف الأخوان عقب الموعد : ليسقط الحاج تحت سيارة رعناء ، وهو الذى كان يفيض حياة وتفاؤلا . وفى « بيت سيىء السمعة » تختم بقصة « يوم حافل » لشخصية موظف جبار ، يقيم حياته على الصراع ، ويبادر إلى النزال لا يتردد فى استخدام سلاح ، ويجد فى وشائج القربى سبباً للعداء ، ويعلق على انجازات الموت القدرى ما يعجز عن صنعه بيده ، لكنه فى حمأة جبروته ينسى أن هذا السلاح لا يعمل لحسابه ، ولا يعمل بما يمكن حسبانه ، وهكذا ينتهى اليوم الحافل بموت الجبار لأدنى ملابسة ، أو أهون سبب ، بلغ بالكاتب أن يجعل « بولة » طفل سبباً فى مصرعه .

لم نرد من هذه الإشارات أكثر من أن تكون علامات دالة على مساحة الاهتمام بلغز الموت ، وتعدد الإضافات إلى المعنى الواحد الحتمى . ثم نؤثر عدداً من القصص ننظر إليها من قريب ، نكتشف فيها أوجه التشابه خضوعاً للثوابت ، وأوجه المخالفة ، أو المغايرة استجابة لأقنعة الموهبة المتجددة ، وكما يكون هذا الصراع بين الثابت والمتغيّر ماثلا فى العلاقة بين قصتين أو أكثر ، فإنه يكون فى بناء القصة الواحدة أيضاً . هنا نربط أولا بين قصة « لونابارك » [ضمن مجموعة : بيت سيىء السمعة ، التى صدرت عام ١٩٦٥] وقصة « فى أثر السيدة الجميلة » [ضمن مجموعة التنظيم السرى ، التى صدرت عام ١٩٨٤] وبين القصتين نحو عشرين عاما ، ومع هذا فإن أوجه الشبه تلغى هذه المسافة الطويلة ، وهذا يعنى ثبات التصور والتسليم بقوة قوانين الوجود ، وتجنب التمرد عليها ولو بمغامرة ميتافيزيقية ، أو هروبية إلى عالم الأمانى والأحلام .

الدنيا هى اللونابارك ، أو مدينة الملاهى ، واجتيازها من أقصاها إلى أقصاها ، وتجربة « كل » ألعابها ، أو ألاعيبها لا مهرب منه . ويبدأ « الجبر » بمجرد وقوفه فى الطابور طاويا تذكرة الدخول فى يده ، سر وجوده الموروث ، إذ هى « تذكرة أهداها إليه أبوه » فكان جرثومة من ملايين أطلقها هذا الأب ، فأخذ يتزحزح « فى المدخل الممتد على هيئة بوق حتى خرج من فوهته وقد زهقت منه الأنفاس » ، هذا هو الميلاد ، الخروج من الرحم ــ البوق ، إلى مدينة الملاهى ــ الدنيا ، تحوطه الرعاية : النسيم والأشجار ودكاكين الأطعمة ، التى « أفضت به إلى الملعب الكبير » . وهكذا بدأ رحلته » ، التى يمكن حصر ألعابها الإجبارية فى رموز مراحل عمر الإنسان ، ونشاطه الحيوى المناسب لهذه المراحل المتعاقبة ، وهى كالآتى : ١ ــ مربع الأراجيح وأكثر رواده من الأطفال ٢ ــ ثم مدفع القوة وصوت الداعى : جرّب قوة عضلاتك ٣ ــ بدأت جماليات الحياة تناديه فى صورة كشك البيرة المثلجة والمصابيح الملونة ، وحين رفع القدح رأى القمر [المرأة] متدليا ، فطرب لأغنية ٤ ــ ثم اتجه إلى مضمار السيارات المكهربة ، وبدأت الرحلة المكهربة ٥ ــ وإبانها رأى سيارة تحمل فتاة تكالبت عليها السيارات ناطحة والفتاة تضحك ، فهب لنجدتها واستخلصها لنفسه بعد غزل متبادل . ٦ ــ تعارفا بالأسماء : حسن وسعاد ، وشربا وطربا معا ، وركبا القطار معا « فى المقعد الأخير من العربة الأخيرة » إذ هما آخر حلقة فى سلسلة نسبهما . ٧ ــ جربا خطر القطار معا ، فنال منها قبلة طارت لها أحلامه ، حين أعلن عن حبه للغناء شاركته ، وأضافت الرقص ، ولعبة الحظ . ٨ ــ فى لعبة الحظ ربح زجاجة نبيذ وكسبت هى عروسا عارية » وذهبا وهو يفض سدادة الزجاجة » ٩ ــ ركبا الساقية فصعدا إلى جبين القمر وتأكد عشقه لها ١٠ ــ استقلا تروللى غابة الأشباح ، فالقارب المتزحلق ، ثم وجدا نفسيهما أمام وادى التيه ١١ ــ وهنا عرفا الحيرة ، وانبعثت المخاوف ، ورأيا بعض من سبقهما إلى الضياع ، وجربا سوء الظن بنصيحة مبذولة ، ١٢ ــ وظهرت أولى نذر المصير فى عبارة قالها شخص غير محدد : الظاهر أننا لن نخرج إلى سطح الأرض مرة أخرى » ١٣ ــ فى هذه التيه بدأ السؤال عن المعنى ، والتسليم بالعجز عن تحديد الهدف : « ماذا يعنى الرجوع أو ماذا يعنى التقدم ؟ نحن نسير فحسب » . ١٤ ــ واستأنفا السير ، رغم ما يشاهدان من عجز البعض عن الاستمرار ، إيمانا بأن « سر اللعبة لا يمكن أن يعرف فى أول جولة ، فليس أمامنا إلاّ أن نجرّب حظنا » ١٥ ــ ومع شعور الجزع الذى انتابها كان الخروج من التيه أيسر مما يظن ، تمّ بحركة روتينية ميكانيكية ، فإذا بهما فى حديقة اللونابارك الضاحكة بالأنوار والأنغام ، ١٦ ــ ومع أنهما شربا من جديد ، فإنه صمم على تجربة اللعبة الأخيرة ، سماها لعبة الموتوسيكل ، وقطبت هى متسائلة : تقصد لعبة الموت ؟ وبالطبع سارت معه إلى هذه اللعبة الأخيرة » بغيرها ستظل فسحتنا ناقصة » ، وإذ يدير إليها وجهه بشوق وحنان ، منحتة ابتسامة غير سعيدة .

إن اختيار « مدينة الملاهى » رمزاً للدنيا ، يحمل دلالة فلسفية صوفية ، ومدينة الملاهى عادة مؤقتة ، زمانا ومكانا ، ولا تؤخذ فيها الأشياء مأخذ الجدّ ، وقد تنطوى على أهوال ، ظاهرية ، ومكاسب هى فى النهاية لا تساوى ما بذل فيها ، وكما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت بدايتها الخروج من البوق بتذكرة من الأب ، فإن نهايتها : لعبة الموت ، « بغيرها ستظل فسحتنا ناقصة » ، وقد مهدت نذر النهاية لهذا الفصل الأخير من وجع ودوار وزياط وأفواج من الناس تقدم رغم انتصاف الليل .

فى « لونابارك » قامت المرأة بدورها كرفيق فى رحلة العمر ، ولكنها فى القصة الأخرى « فى أثر السيدة الجميلة » تكون هى الدنيا ذاتها ، لهذا لا يحددها باسم [قد فعل ذلك وحددها بأسماء موحية فى قصص أخرى سنراها] مكتفيا بوصفها ، ووضعها فى إطار ، ظروف ، ترشح وظيفتها الرمزية ، وخلاصة ما كان بين الفتى [الذى لا يحمل اسما كذلك] وبينها أنه رآها ، فتعلق بها قلبه ، وراح يتابعها من موقع إلى آخر ، طوال اليوم ، حتى أصابه الإعياء ، ويئس من احتوائها ، فاستسلم أخيراً لقدره . لقد راح يطاردها بعزم وإصرار ، يتصنع ويغامر ويغالط وينتهز الفرص ، وهى نادراً ما انتبهت إليه أو أعارته اهتماماً ، فإذا فعلت وبخته وهددته ، ولكنه لا يرعوى ، حتى صرفه العجز . أما رحلة المطاردة ، المحكومة بحركة حرة تماما من السيدة الجميلة ، وخضوع تابع تماما وإن تظاهر بالقصد من الشاب المغرم بها ، فإنها تبدأ قبيل الميلاد أيضا ، وتنتهى بمصادفة [جاهزة] مثل لعبة الموت ، وقد تدرجت على النحو الآتى : ١ ــ لعبت المصادفة دوراً فى رؤيته لها ، ذات صباح مبكر دافىء ، عند منعطف البرج ، كان قادماً من ناحية وكانت قادمة من الناحية المقابلة ، وبينهما أشعة الشمس المشرقة تحبو فوق الأرض الخضراء [والكنايات الجنسية واضحة فى هذا الوصف للقاء الذكر والأنثى . ٢ ــ بعد مسيرة دقائق مالت الفتاة ــ أو المرأة ــ إلى المستشفى ، دخلت ، تساءل : هل تعمل فى المستشفى أو تعود مريضاً ؟ ولم يكن هذا ولا ذاك ، أما حركة ذهنه فتحدد وظيفة هذا الدخول : « تذكرت فى فترة الانتظار حريتى ، وبأنه لا يمكن إرجاع الزمن خطوة والإفاقة من هذه السكرة الغامرة » ، وإذاً ، فهو الميلاد ، وشدة شعوره بالأسر وكأنه مسحور بها فطرة ولد بها ، ٣ ــ ثم تراءى لهما ميدان التحرير ، ويستخدم الكاتب صيغة المشاركة ، « تراءى » ، وفى أعقابه تساؤل منسوب إلى الرجل وحده : « وصاحبنى تساؤل دائم عن جدوى إصرارى أو معناه أو الهدف منه ، ولكنه لم يقلل من حدة نشاطى المندفع » ، وفى « لونابارك » قال إننا نسير فحسب ٤ ــ أراد أن يطور الملاحقة إلى تعامل أو تعارف ، بأن هم بالكلام ، ولكن رجلا قوى البنيان فخم المنظر سبقه إليها ، فاستجابت له ودخلت معه محل باباز ، وظهر من مراقبته لهذا اللقاء أن بينهما تعارفا قديما ، مع هذا لم يفقد الأمل فى أن يأتى دوره ، فظل يتحرك فى « خطه المرسوم » . ٥ ــ غير انها انحرفت نحو دكان ساعاتى ، واجتماع الانحراف والضبط ، أو انحراف الضبط مقصود ، إذ أعقبته حرارة متصاعدة وأصوات متضاربة وزحمة « وكأنما الدنيا تقذف بأناسها وآلامها من كافة الأنواع والأشكال » ، ٦ ــ على أنها تتجه بعد محل الساعاتى إلى البنك الأهلى وتغوص فيه ، وهو لا يملك أن « يغوص » مثلها ، فيدخل ويخرج دون أن يفعل شيئاً حقيقياً ، ومع هذا تظهر كلمة : « حتى متى أستطيع اتقاء الشعور بالتعب » ؟ ٧ ــ ويأتى السنترال بعد البنك ، ويجدها فرصة للالتحام ولو مخاطرة محتمياً بالزحام ، وهناك يسمع العاملة وهى تقول لها « رقم ١١ » فتدخل المقصورة وتسحب الباب خلفها ، أما هو فإن الرقم يشير إلى الخطوة الأخيرة حين يتعانق مؤشرا الساعة عند الرقم ١٢ ، وتكتمل دورة الحياة ، لتبدأ دورة جديدة ليس هو طرفا فيها ، وبعد الإرهاص السابق عن اتقاء التعب ، يتبدّل الحال : « ثمة تعب خفيف بدأ دبيبه فى ساقى ، وهناك شبح الإحباط أيضا ، وظل الشك المؤرق ، ويوجد أيضا شعور قائم بتفاهة كل شىء خارج نطاق المغامرة المجنونة » ٨ ــ بعد المغامرة المادية [فى البنك] والروحية [فى الاتصال بعوالم غير مرئية : السنترال] تكثر الأسئلة ، علامة الشك ، وإذ تزيد المرأة من سرعتها فى السير يعجز العقل عن ملاحقتها ، ويصبح الأمر كله ضرباً من المغامرة ، إذ عرجت على شارع البورصة . ٩ ــ وتغريه مغامرتها بأن يغامر باعتراضها ومحادثتها ، لقد حاول هذا من قبل فاعترضه رجل أقوى وأبهى ، وهذه المرة لا يعترضه أحد ،غير أنها لا تراه غير ند لها ، وتخاطبه بجفاء : « احترام نفسك » . وهنا يشعر بعقم المطاردة ، فيبدأ طور جديد ١٠ ــ إذ ينداح لغز الوجود بقراءة كتاب القوى الخفية ، ويشغله عالم الغيب عن عالم المشاهدة ، وإذ تنطلق الروح يعجز الجسد ١١ ــ فيدخل صيدلية ، ١٢ ــ وتتوسط الشمس السماء ١٣ ــ ومع هذا تكتسحه عتمة الهواجس ١٤ ــ وتتجاوزه هى فى انطلاقتها لا تعبأ به ١ ــ فى حين تستولى عليه رغبة فى الاستلقاء ، ١٥ ــ وإذ يرتطم بآخر فيقول له مؤنبا : « فتح عينك » ، ١٦ ــ فإن رغبته تتزايد فى إغماض عينه ، ١٧ ــ وتستبد به حاجاته الفطرية وكأنما ارتد إلى الطفولة ١٨ ــ وإذ يستدعى من الذاكرة أغنية : « الزهر فى الروض ابتسم » وهذا يعنى أنه حان قطافه ، فإنه يستحضر بيتا للمعرى :

فسلم إلى الله ربك
فكل ما جاءك من عنده

١٩ ــ ويرى نذر المغيب وهى تغادر حديقة ، ٢٠ ــ فى حين

سقط هو فى حفرة ، عيناه ، على المرأة يتابعها لآخر ما يستطيع ، ويعجز عن ملاحقتها ، فيسند رأسه إلى الحفرة مستسلما إلى قدره .

هذه رحلة الإنسان فى حب الجميلة التى لم تشعر به ، ولم تخاطبه إلاّ مؤنبة ، إنه حب من طرف واحد ، الدنيا تفرضه بسحر وجبروت لا يمكن تعليلها ولا التخلّص من أسرهما ، ومع هذا لا يمارس الإنسان تجاهها أى دور حقيقى ، إنه مثل ذرة تائهة فى مجرة عظيمة ، لا يملك إلاّ أن يدور ، ويدور ، فى طريق مرسوم ، ونهاية محتومة .

فى « لونابارك » كان له دور ، بل أعلن أنه لم يدخل ليكون مشاهدا ، ولابد أن يجرّب جميع الألعاب ، أما السيدة الجميلة فقد شقت طريقها بإرادتها الخاصة ، لم يكن لها ردّ فعل تجاه تعلقه ، لم يعن هذا التعلق لها شيئاً ، بل رأته أهون من أن يخاطبها ، كانت تغادر الحديقة ، وهو يغادر عالمها ويستسلم للحفرة ، دون أن يعرف لماذا تابعها كل هذا الوقت ، ولماذا قيد خطاه بها وهو لم يجن منها شيئاً ؟!

الدنيا ــ المرأة فى هذه القصة يلفها الغموض ، يجمله فى قوله عنها « لا جدوى من وصفها » ، لكنه يستطيع أن يحد أثرها عليه بكثير من الدقة ، هناك نداء مبهم لا يقاوم ، وشموخ فطرى ، وهى لا تكل ولا تملّ ولا توحى بقصد هدف محدد ، على أنه لا يعرف حقيقة وضعها : أهى متزوجة ؟ مخطوبة ؟ حرة ؟ وستكون هذه الحيرة فى « تصنيفها » صفة ملازمة ، وهى ليست الفتاة البكر على أى حال [والطريف أنه فى تفسير الأحلام يعتبر الزواج أو مجالسة الفتاة البكر علامة على إقبال الدنيا ، بعكس المتزوجة] . إنها أرملة ، أو امرأة ليل ، أو موضع احتمالات مثل السيدة الجميلة السابقة .

فى « قبيل الرحيل » [من مجموعة : بيت سيىء السمعة] نجد الشعور بالزوال أو المزايلة فى قطبى العنوان : الزمان ، والمكان . اسمه بركات ، واسمها دنيا ، حين سمع الاسم قال إنه زائف مثل كل شىء . بركات كان يراها أحياناً تتردد على مقهى سيدى جابر أربع سنوات قضاها موظفاً فى الاسكندرية ، حين أغراه النادل بها ، صدّه قائلا عنها : ليس الطراز الذى يوافقنى ، فلما تقرر نقله إلى أسيوط ، وتخيل الجدب المقبل ، تحوّل إلى الضد وأغرى النادل بإحضارها ، كان هذا فى اليوم قبل الرحيل ، وكأنه الساعة ١١ فى دورة الساعة أو رقم كابنية السنترال فى القصة السابقة . حين صحبها إلى شقته أعلن أنه باع الشقة ، وسيسلمها بعد يومين ، ومع هذا اشتركا فى لقاء ، مارسا الاتصال قبل التعارف بالأسماء ، إن التعامل مع الدنيا يسبق المعرفة بها ، كانت قد شرطت عليه الحصول على جنيهين ، أخذتهما حتى قبل أن تغادر المقهى بصحبته ، غير أن مفاجأة سعيدة كانت فى انتظاره عقب اللقاء الأول ، لقد ردت إليه المال ، معلنة أنها هكذا تفعل إذا رضيت . أغبطه هذا جدا ، وراح يعد المكان لسهرة جميلة ، ثم اقترح عليها أن يخرجا سويا ، ولكنه ــ فى الخارج ــ أثبت عدم خبرته فى الحفاظ عليها والحفاظ على نفسه ، تشاجر فى الملهى مع رجل طلبها للرقص ، وفقد فى هذا الشجار زرار جاكتته وانخلع كتف قميصه ، وتشاجر مع آخر فى الترام لأنه غازلها واحتك بها ، وفى هذا الشجار الثانى سال دمه ، وعادا إلى بيته ، فكان اللقاء الثانى ، بعده استردت ما كانت أعادت من مال ، ضايقته الخدعة ، تبدّل شكلها فى إحساسه وأمام عينه ، حتى أصبحت بشعة ، وصفها بأحط الصفات ، عزته عما فقد بأن ما عملته مجرد حيلة لإسعاده ، ولكن النهاية المخذولة انسحبت على الماضى كله وأفسدت لحظاته السعيدة . كانا ــ فى لحظات الصفو ــ قد تواعدا على اللقاء فى أجازاته ، الآن يظهر فساد هذا الوعد ، قال بحقد مغريا نفسه : إنك يامغفلة لن تستطيعى أن تكررى حيلتك مرتين . ولكن ، حتى هذا العزاء بأنها لن تتمكن من خداعه مرة أخرى قد أفسدته عليه بتساؤل قاتل : ومن قال إننا سنلتقى مرة أخرى ؟!

وفى قصة « الحجرة رقم ١٢ » [ضمن مجموعة الجريمة ، التى صدرت عام ١٩٧٣] نقابل « دنيا » تحت اسم آخر ، ليس أقل إيحاء » أو إغراء ، فهى هنا « بهيجة الذهبى » ، وهى تقبل على فندق لاستئجار غرفة لأربع وعشرين ساعة ، فهو موقع مؤقت مثل اللونابارك ، ومواقع انتقال السيدة الجميلة ، وشقة الموظف المنقول إلى أسيوط ، والزمن مؤقت أيضا ، وهى هنا لم تكن تحمل بطاقة شخصية ، غير عاملة ولا متزوجة ، ولكنها على الأرجح مطلقة أو أرملة ، وهى امرأة شديدة التأثير ، ليس عن طريق الجمال ، بل بقوة البنيان وحدّة النظرات ووضوح القسمات . لقد أحسّ مدير الفندق بشىء من القلق لندرة من يقصده من الجنس الآخر منفرداً ، ولكن القلق تحول إلى ريبة ، حين عرف من الفرّاش أنها طلبت إخراج السرير وطىّ الحشية والغطاء « معتذرة بأنها لا يغمض لها جفن طالما أنه يوجد تحتها فراغ لشخص قد يختبىء فيه » ، والحقيقة أنها ألغت أدوات النوم ، وستحتفظ بكل زوارها فى حالة من اليقظة تبلغ حدّ الهياج والعربدة . ولن يكون هذا الطلب إلاّ مقدمة لسلسلة من الطلبات الغريبة ، فهى وحيدة ، ومع هذا تتكلم بصوت عال وحاد ، ولم تلتقط الأذن من كلامها غير عبارة « لا يهم » ، كما أنها تطلب طعاما يكفى لعدد كبير ، ومع هذا تخرج الأطباق فارغة . ثم تبدأ المواكب فى قصد الغرفة المؤقتة فى فندق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صغير ، تبدأ برجل وامرأة ، يسألان عنها ، ويصعدان ، ثم تضاعف العدد إلى ثمان : أربع نساء وأربعة رجال ، وهذا إيماء إلى المتوالية الهندسية التى تحكم تكاثر العنصر البشرى . ومع انعدام قرائن الأمومة فى شخص بهيجة الذهبى فإن امرأة تقدم نفسها بأنها طبيبة مولدة تقصدها ، وتصعد إليها ، ويستمر تصاعد الناس فرادى ، حتى ضاقت بهم الغرفة ، وعجز من بداخلها حتى عن فتح أبوابها ، فلا الناس ينصرفون ، ولا السيدة تنقل زوارها إلى مكان أرحب ، ثم جاءت ثورة الطبيعة من برق ومطر [وهى موجودة كمرحلة فى جميع القصص التى سبقت الإشارة إليها] والناس فى الحجرة ١٢ لاهون بالغناء والسكر [بلا شراب] والانتفاخ حتى العجز عن الحركة ، ولكل هذه الأسباب ، وحين يتعرض سقف الفندق لعدوان المطر ، يأمر المدير بإهمال العناية بالغرفة ١٢ ، لقد أفلتت من سيطرته ، ومن ثم لم تعد لها حقوق عليه . استهدفت الغرفة رقم ١٢ لزوار لهم صفات محددة ، تحاكى مراحل التطور الاجتماعى [العام] ، فى البداية أقبل مندوبو جمعية إحياء التراث ، ثم جاء نفر من أساتذة الجامعة ورجال الدين ، وفى سياقهم جاء رجل غامض ودخل الحجرة ، وهذا « الرجل » تولّد بين العلم والدين ، وأخذ مكانه فى حياة الناس دون استئذان أو سؤال أو تردد ، ثم أخيراً تأتى جماعة من عامة الشعب ، هم وحدهم لا يصعدون ، وتأمر السيدة الآمرة المؤمرة بإبقائهم فى الاستراحة وتقديم المشروبات لهم ، ولعل هذا الانتظار يجعلهم فى مأمن من الدمار القادم لغرفة مكتظة تخلت عنها رعاية « المدير » ، وتركت لنفسها فى جو عاصف يتهدد الفندق بالغرق . وفى القصة يلتقى الميلاد والموت ، كما التقيا فى قصص سابقة ، فحين جاءت الطبيبة المولدة ، جاء فى أثرها « سيد الأعمى الحانوتى » وتركيب اسمه يجسّد سيطرته وعشوائيته فى عمله ، ونوع مهمته . لقد استبقاه المدير عنده ، ولم تسمح له السيدة بالصعود ، لكنه بقى متململاً يتساءل حتى تأذن له بأداء مهمته ؟ إنه فى الانتظار ، ولكن إلى متى ؟ .

وفى « صاحبة العصمة » [ضمن مجموعة التنظيم السرى ، التى نشرت عام ١٩٨٤] تظهر دنيا ، وبهيجة الذهبى تحت اسم جديد ، لا يقل إيحاء وإغراء أيضا ، وهو : كوثر البدرى ، تكترى شقة فى حارة ، لم يرها أحد ، ولكن أخبار جمالها تلهج بها الألسن ، يطمع الجميع فى الزواج منها ، فإذا عرفوا أنها تتمتع بريع وقف ، شرطه ألا تتزوج ، حلموا بعلاقة استمتاع ، وثار بينهم النزاع ، دون مبرر واقعى للنزاع ، وهى أرملة الشيخ النقيب ، قادمة من زين العابدين ، شريفة السمت والسلوك ، ولكن أخلاق أهل الحارة ساءت بدعوى ما تثير من قلق الأحلام ، التى تطوف من حولها فقد « منّى كل نفسه بها ، ورأى ذاته فى مرآة الوجود الأجدر والأحق بملكيتها شرعاً أو سفاحاً ، وتوثب شيخ الحارة للعمل ، . . . وتعرت الأنفس بلا حياء » . ولكن السيدة الجميلة ، كوثر البدرى ، بكل ما يحمل الاسم من إغراء الثراء والحيوية ، لن تسلم قيادها إلاّ لآخر من ظن الناس أنه يفكر فيها أو يصلح لها ، إنه شاب مجهول الأب ، نحيل الجسم ، له قلب طفل ، ووجه عذراء ، اسمه ينسون ، إنه النسيان ، هو الذى يجعلك سيدها ، وهو نسيان ينبع عن تذكر ، والمقابلة مهمة تماما ، حين بدأ استعراض القوة تحت نافذة كوثر ، قربانا لجمالها ، لعلها تعطف ، توقع شيخ الحارة تطور الوضع إلى ما يسيء ، « ولم يجد من يحاوره إلاّ ينسون ، المستقر فى رحاب الطيبة والأسى فيقول له : « لا يتذكرون قتلى أسلافهم ياينسون » فتذكر صرعى الدنيا هو أقوى تحريض على نسيانها . وينسون المجهول الأب تكشف عن جمال حقيقى بعد أن دخل حمام السلطان ، فها هو النسيان ، وهو نوع من الفناء ، يفرض وجوده وجماله وسلطانه ، وقبل أن تتفاقم الشائعات أعلنت كوثر عن رغبتها ورضاها بالزواج من ينسون ، والتضحية بالوقف ، وقبل أن تشيع تأويلات خبيثة عن حقيقة هذا الزواج ثم إشهاره بشاهدين خطيرين ، حمل حضورهما معها فصل الخطاب : شيخ الأزهر ومدير الأمن العام : السلطة الروحية ، والسلطة السياسية ، أو الدين والدنيا ، يشهدان على أن « ينسون » هو الزوج المناسب لسيدة لم يجرؤ أحد من قبل على الاقتران بها ، سيدة اسمها دنيا مرة ، وبهيجة الذهبى مرة أخرى ، وكوثر البدرى مرة ليست الأخيرة .

د. محمد حسن عبد الله

محمد محمود عبد الرازق

بدايـــات نجـــيب محـــفـــوظ

لم تدم حيرة نجيب محفوظ بين الأدب والفلسفة طويلا ، إذ حسم الأمر فى مرحلة مبكرة من حياته مختارا الأدب . ومن الأدب فن القص . وقرة عينه فى الرواية . وقد تحدث نجيب محفوظ عن هذا الاختيار ، فى رده على سؤال أنيس منصور : لماذا لم تجرب كتابة المقال وهو من أهم الأشكال الأدبية وأصرحها للتعبير عن الرأى[1] وكانت الإجابة : « أبيت إلا أن تجعل من سؤالك مقالا »[2] وأن تحصى فى نفس الوقت الإجابات الممكنة فلا تفوتك إجابة . وأخشى ما أخشاه إن قدمت لك إجابة سبقت فى سؤالك أن ترمينى مرة أخرى بالاقتباس .[3]

ولكنى سأحاول أن أكاشفك بذات نفسى : لقد بدأت حياتى بكتابة المقال ،كتبت بصفة متواصلة فيما بين عامى ١٩٢٨ و ١٩٣٦ مقالات فى الفلسفة والأدب فى المجلة الجديدة والمعرفة والجهاد اليومى وكوكب الشرق . ثم اهتديت إلى وسيلتى التعبيرية المفضلة وهى القصة والرواية ولو كنت صحفيا لواصلت كتابة المقال إلى جانب القصة والرواية ، ولكنى كنت وما زلت موظفا ، فلم يكن شىء يرجعنى إلى المقال إلا ضرورة ملحة ،[4] يضيق عنها التعبير القصصى . وأعترف لك بأن هذه الضرورة لم توجد بعد . فأنا لا أعد نفسى من أصحاب الرأى ، ولكنى من زمرة المنفعلين بالآراء ولذلك فمجالى هو الفن لا الفكر . وثق بأنه لو أخرجنى الله من الظلمات برأى شخصى يمكن أن أنسبه إلى نفسى[5] لما ترددت لحظة فى تسجيله فى مجاله المفضل ــ بل الوحيد ــ وهو المقال : ألا ترى أن جريبه صاحب رأى فى الرواية الجديدة ؟ . . وكذلك يونسكو بالنسبة للمسرح ؟ . ولكن ما حيلتى إذا لم يكن عندى رأى جديد ؟ قضى ربك أن أكون من أصحاب القلوب لا العقول ولا مناص من الرضا بقضاء الله » .

وقد تخرج محفوظ فى « قسم الدراسات الفلسفية » بكلية الآداب عام ١٩٣٤ ، وقضى عامين فى إعداد رسالة لنيل الماجستير عن « مفهوم الجمال فى الفلسفة الاسلامية » باشراف الشيخ مصطفى عبد الرازق ، لكنه انصرف عنها إلى الكتابة فى المجلات والصحف ، وأهمها : « المجلة الجديدة » الشهرية التى كان يصدرها سلامة موسى ما بين عامى ١٩٣٢ ، ١٩٣٩ ، والأسبوعية التى صدرت ما بين عامى ١٩٣٤ ، ١٩٣٨ ، ومجلة « المعرفة » الشهرية التى كان يصدرها عبد العزيز الاسلامبولى بين عامى ١٩٣١ ، ١٩٣٤ و« الجهاد » اليومية و « كوكب الشرق » الأسبوعية و« الثقافة » الأسبوعية التى كان يصدرها أحمد أمين ما بين عامى ١٩٣٩ ، ١٩٥٢ . وكان فى هذه المظان يزاوج بين المقالة الفلسفية والأدبية ، وكانت أكثرها اغترافا من مناهل الفلسفة تلك التى تنشر فى « المجلة الجديدة » الشهرية . ولابد لمن يتعرض لبدايات محفوظ أن يفرد مبحثا لهذه المقالات التى تعد مدخلا هاما لأفكاره ومعتقداته وآرائه . . آراوه فى الفلاسفة والفرق الصوفية واللغة والفن والثقافة والجمال . . وأفكاره عن الله والمجتمع والحب والجنس والأخلاق والرقى البشرى وقوانين الطبيعة والعقل والشعور والحواس والشخصية . وقد سأله فؤاد دوارة عن أسباب اختياره لقسم الفلسفة ، فأجاب : « كان الأدباء

الذين أثروا فى ، وأنا فى أواخر المرحلة الثانوية ، يمثلون ثورة فكرية أكثر منها أدبية ، فطه حسين وسلامة موسى والعقاد قدموا لنا أفكارا ومناهج فكرية أكثر مما قدموا لنا نماذج أدبية . وحتى الأدباء والشعراء الذين وجهونا إلى الاهتمام بهم كأبى العلاء والمتنبى وابن الرومى يغلب عليهم الطابع الفكرى . وعلى ضوء تأثرى بهذه الأفكار يتضح سبب اختيارى لدراسة الفلسفة . على أنى لم أهمل قراءة الأدب أثناء دراستى للفلسفة ، وسارا فى تواؤم طوال فترة الدراسة ، وإن كانت الغلبة للفلسفة بطبيعة الحال ، وبعد التخرج مررت بفترة تنازع بين الفلسفة والأدب عذبتنى كثيرا ، وأحسست أن على أن أختار بينهما ، وبلغت هذه الأزمة قمتها وأنا أعد رسالتى للماجستير مع المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق . . فقطعت العمل وأنا فى منتصف الرسالة ، إذ أحسست أن كل تقدم فيها يزيد من حدة التمزق المؤلم فى نفسى . . »[٦] ويعبر موضوع رسالة الماجستير عن حدة الأزمة إذ أن موضوعها يدور بين الفن والفلسفة .

وسوف نقصر البحث فى هذه العجالة على بداياته القصصية . وقد بدأ رحلته مع القراءة الحرة فى أواخر المرحلة الابتدائية وأوائل الثانوية ، بقراءة الروايات البوليسية : « سنكلير » و « جونسون » و « ملتون توب » وغيرها من الروايات التى كان يترجمها حافظ نجيب بتصرف . ثم قرأ المنفلوطى والروايات التاريخية التى كان يترجمها « الأهرام » لبول كين وتشارلز جارفيس وغيرهما . ووجد لديه الرغبة فى الكتابة قبل أن يتبين دوافعها . فكان يعيد كتابة بعض القصص البوليسية التى قرأها ويكتب عليها اسمه . كما ألف « نظرات » و « عبرات » على نهج المنفلوطى . ثم بدأ الكتابة الجادة ــ كمعظم الأدباء ــ بقرض الشعر . ولما استعصت عليه أوزانه حررها من قيوده . ولم تدم مرحلة الشعر طويلا ، إذ جاءت مرحلة اليقظة والتحرر سريعا على أيدى الأفذاذ السابق ذكرهم . وحين قرأ : « الأيام » ألف كراسة سماها : « الأعوام » ، روى فيها قصة حياته على طريقة طه حسين . وفى حواره مع دوارة ذكر أنه ما زال يحتفظ بالشعر والأعوام « وإن احتاجا إلى نبش كثير » . ونشم عبير طه فى بعض عباراته المبكرة ، واستعانته بالنصوص والألفاظ القرآنية مثل : « الكوكب الدرى » ص ٢٨ و « النار الموقدة » ص ٥٤) و « أرذل العمر » ص ١٢١) و« حصحص الحق » ص ١٤٥) و « لقد جئت أمرا نكرا » ص ١٣١) ولا تخلو من ذلك قصة : « الشر المعبود » التى يستلهمها من عصر ما قبل الأسرات : « فهلل الحكام وكبروا وآمنوا بالرجل الذى كانوا فيه يمترون » ص ١٧٨) وإن كنا نعتقد أنه يقصد بالعبارة هنا ــ إلى جانب البلاغة ــ الإيحاء الدينى ــ وقد كان طه حسين أقدر أقرانه طرا على ترصيع نثره بالألفاظ والعبارات القرآنية فى انسياب عذب يمزج فيه بين إنشائه والتعبير القرآنى ، مثل قوله : « وكان قلبه قد قسا فهو كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله . . »[٧]

ويزداد التلميذ عشقا لأستاذه حتى نشعر بأن عملا كاملا هو قصة : « الثمن » قد صيغ على نهج النثر الحسينى بما يتمتع به من موسيقى عذبة يعد التكرار أهم خصائصها : « أخذت زينتها وسارت على غير هدى كيفما ساقتها قدماها ، وغيرها من النساء لا يتصدين للمرآة حتى يفرغن من المهام والواجبات ، وغيرها من البشر لا يسير على غير هدى عادة إلا إذا ركن إلى اللهو والعبث واستقبل الراحة والفراغ . هى بخلاف هؤلاء وأولئك ، إذا توثبت للعمل وانبرت للواجب أخذت زينتها وسارت على غير هدى ! . . » ص ٢١٦) وقد تحققت لهذه القصة ــ وشقيقتها « نحن رجال » ــ ما يسمى بالقصة اللقطة ، فهى تتم فى لحظة خاطفة ، أو تقع فى بؤرة من الضوء واحدة . فى : « نحن رجال » تؤدى القصة كلها فى رقصة يبدعها يراع محفوظ قبل قصة « زوربا » بزمن بعيد ، فى « منظرة الفناء » التى فرشت بالحصر ورصت على جوانبها الأرائك . وقصة : « الثمن » تعرفنا بشخصية أخرى من شخوصه التى صاحبته طوال رحلة الإثمار . وهى : « فتاة الليل » . وتتم القصة فى لمحة عابرة من الطوار إلى داخل محل العطور . وتتفاقم الأزمة عندما تحتك فتاة الليل بالسيدة الثرية الحسناء لكسر زجاجة العطر . فقد بلغ ثمنها المبلغ الذى أضاعها عدم تمكنها من الحصول عليه . لكن السيدة الحسناء لا تعبأ كثيرا بما حدث ، وتعود إلى صدارة المحل لتشترى أخرى . وكانت فتاة الليل فريسة انفعال طاغ تولاها بغتة ، فمضت مقطبة الجبين زائغة البصر . إلا أنها لم تدم على ذلك طويلا فما لبثت أن عادت إلى رشدها ، فخافت أن تبدو فى هيئة قبيحة تنفر الأعين ، فطاردت همومها الطارئة ، وألقت نظرة على ما حولها ، ثم أخذت تسير الهوينى متثنية الأعطاف وقد ابتسمت أساريرها .

فى عبارة شاعرية رقيقة أراد توفيق الحكيم ذات يوم أن يفرق بين النثر والشعر فقال : « إن النثر هو النعناع والشعر هو روح النعناع » . وإذا نقلنا هذا التعريف الموجز الملهم الذى لا نناله كثيرا وعلى مدى أجيال طويلة إلى فن القص ، فسوف نقول إن القص التطبيقى هو « النعناع » وهذا النوع من القص الخالص هو « روح النعناع » . وقد توصل نجيب محفوظ إلى القص الخالص فى مرحلة مبكرة من حياته الأدبية ، لكنه كان قد قرأ كافكا وجويس وبروست . ففى مرحلة اليقظة عرف دروب

التحرر من طرق التفكير والتذوق السلفية ، ونظر إلى الأدب العربى التقليدى نظرة جديدة ، وتنبه إلى الأدب العالمى ، واطلع على نماذج أشبه ما تكون بالأمثلة للقصة والأقصوصة ، وعلى تلخيصات لأشهر المسرحيات العالمية وعلى مسرحيات توفيق الحكيم المبكرة . وعندما التحق بالجامعة مر بفترة تشبع بالقراءات الفلسفية ، وكذلك بعد التخرج ، مع وضوح ميله بعض الشىء للقراءات الأدبية ، حتى انتصر الأدب على الفلسفة فبدأ دارسته بصورة منظمة ، معتمدا على كتب تاريخ الأدب العالمى مثل كتاب « درينكووتر » . وبهذا درس الأدب قرنا قرنا دون التخصص فى أدب أمة معينة ، فتوحدت نظرته إلى الأدب . ومنذ سنة ١٩٣٦ بدأ يقرأ الأدب الحديث الواقعى والطبيعى والتحليلى ، ثم المغامرات الأدبية الحديثة كالتعبيرية عند كافكا ، والواقعية النفسية عند جويس ، وإلغاء الزمن عند بروست ، وفى حديثه مع دوارة يعتبر جويس وبروست عماد الأدب الحديث فى القصة . وأثناء اهتمامه بكتابة المقالة قام بتلخيص عدة روايات ومسرحيات ، كما قام بكتابة القصة القصيرة والرواية . على أن المقال كان أسرع فى القبول من الأقصوصة ، فانصرف لكتابته بعض الوقت كما سبق أن أوضحنا . وعندما قبلت الأقصوصة انصرف إلى كتابتها ، كما واصل كتابة الرواية . وقد كتب حوالى خمسين أقصوصة لم يرض عنها ، ونشر حوالى ثمانين ، واختار منها ثمانى وعشرين لمجموعة : « همس الجنون » . وكانت أول قصة كتبها بعنوان : « ثمن الرغيف » . وبدأ فى كتابة الرواية قبل تخرجه ، حتى تجمع لديه ثلاث روايات قرأها سلامة موسى جميعا ولم يقبلها ولكنه شجعه على الاستمرار فى الكتابة . وقد كان لسلامة موسى كبير الأثر فى تفكيره فهو الذى وجهه إلى العلم والاشتراكية ، كما كان له كبير الأثر فى إتاحة الفرصة له . وكان الأديب الوحيد الذى قبل أن يقرأ مخطوطاته الروائية ، وعندما قرأ الرابعة : « عبث الأقدار » سارع إلى نشرها فى عدد خاص من « المجلة الجديدة » كما قرأ أولى محاولاته فى القصة القصيرة ونشر بعضها قبل أن تهتم مجلة : « الرواية » ومجلة : « مجلتى » بها . وقد نشر معظم قصصه الأخيرة بالمصدرين الأخيرين ، إلى أن تفاقمت أزمة الورق سنة ١٩٣٩ وأغلقت « الرواية » فانصرف بكل جهده إلى كتابة الرواية .

ولأنه كان قريب عهد بسنوات التحصيل التى أثمرت مقالاته الفلسفية والفكرية ، فقد سارت بعض عبارات قصصه على نهجها : « ولا سبيل إلى إبطال هذا العجب ما لم نلم بماضيه لأن حاضر الإنسان يقع غالبا من ماضيه موقع النتيجة من المقدمات ، وإن كانت لا تدعم العلاقة بينهما فى الحياة بما تدعم به فى المنطق من الضرورة والاحكام « كيدهن ص ١٠٤) . . « أجبته عما يسأل عنه متذكرا قول القائل : إن أصعب التعريفات ما خص المسائل البسيطة » من مذكرات شاب ص ٦٤ ، وتكثر فى ثنايا قصصه أسماء الأعلام من الفنانين والمفكرين . ولا نقول انه يزج بها لاستعراض معلوماته ، فهى تأتى فى حينها ، وفى مكانها . ولكننا نقول إنها كانت من ثمار قرب عهده بالدرس والتحصيل الحر أو المنظم . فعندما يتحدث عن قصر الباشا الذى يحتاج إلى تغيير طفيف ليصير متحفا فى قصة : « يقظة المومياء » كان لابد أن يذكر أسماء بعض الفنانين فيقول على لسان الباشا : « الفضل فى ذلك يرجع إلى ذوقى المعتدل الذى يساوى بين النزعات المختلفة ويعدل بين أهواء المدارس ، ويهوى تذوق الجمال سواء أكان بديعه براكستليس أو رفائيل أو سيزاق . مع استثناء البدع الحديثة المتطرفة » ص ٨٦ كما يوجد فى القصر تمثال نصفى من البرونز لأينشتين . وعن لحظة تحرك المومياء يقول الراوى : « والحق أننى أحس بالخجل كلما اضطرتنى الظروف إلى سرد ما حدث بعد ذلك . لأنى أحدث فى العادة أناساً عقلاء مثقفين درسوا تيلور وليفى برول ودركيم ولكن ما حيلتى ؟ . . إن ديكارت نفسه لو كان فى مكانى تلك الساعة ما آتته الشجاعة على الهزء بحواسه . . » « ص ٩٧ » ونراه يستضيف فى تشبيهاته : « الترمومتر » و « السيارة » وقد كان لهما إبهارهما فى الثلاثينات ، ففى قصة : « روض الفرج » يقول : « كان ذاهلا محموما يتصاعد الدم إلى رأسه كما يتصاعد الزئبق إلى الترمومتر » « ص ١٢٢ » وفى : « الهذيان » يقول : « كان صابر دمث الأخلاق ، لين الجانب ، رقيق الحاشية ، لا يدفعه الغضب إلى الانفعال الشديد والعدوان ولكنه يشل حركته ويعطف اندفاع أعصابه إلى صميم نفسه ، فيجعلها كسيارة يدفعها محركها ، وتقيد الفرملة عجلاتها » ص ٧٧) .

وتشير إلى اهتمامه بالتراث أكثر من إشارة فسؤال : « كيف كان ذلك ؟ . . » يتردد كثيرا فى قصص البدايات . وهى عبارة شهيرة تقرؤ ها عشرات المرات فى : « كليلة ودمنة » للتعبير عن الدهشة ، وتلمح فى إشارة عابرة ، ولكنها عميقة الغور إلى ارتباطه بالتراث القصصى لأمته . وهذا الارتباط ألهمه تدبيج بعض جمله على نهج الأشطر الشعرية والأقوال المأثورة لإشاعة البهجة غالبا ، مثل قوله فى « يقظة المومياء » : « وكم ذا بمصر من المقدسين » و « قليل من الخرافة يريح العقل » . وقد تحدثنا فيما سبق عن مدى تأثره بألفاظ القرآن الكريم . ويستعين بالمثل العربى : « على الباغى تدور الدوائر » بقصة : « نكث الأمومة » . وبالمثل الشعبى : « فى كل خرابة لنا عفريت » بقصة : « من مذكرات شاب » . وبالموال فى قصة : « الورقة المهلكة » .

وتروى قصة : « يقظة المومياء » على لسان راو فرنسى . وقد استضافت القصة المصرية أمثال هؤلاء الشخوص منذ احتفاء توفيق الحكيم بهم فى « عودة الروح » لكن القصة لها راو آخر هو المؤلف نفسه الذى ينقلها عن الراوى الأصلى وعلى لسانه :

« أجد حرجا كبيرا فى رواية هذه القصة ، لأن بعض حوادثها يخرق قوانين العقل والطبيعة جميعا ، ولو كان مردها إلى الخيال ما تحرجت ، ولكنها وقعت فى عالم الحقيقة وكان ضحيتها رجل من رجال مصر الأفذاذ المعروفين فى الأوساط السياسية والأرستقراطية وراويتها الذى أنقل عنه أستاذ كبير بالجامعة ، لا يجوز أن يرتقى الشك إلى عقله وخلقه ، ولم يعرف عنه قط ميل إلى الأوهام والخرافات ، ولكنى ــ والحق يقال ــ لا أدرى كيف أصدقها فضلا عن أن أحمل الآخرين على تصديقها ، وليس ذلك لندرة المعجزات فى عصرنا ، فمما لا جدال فيه أن عصرنا عصر المعجزات والخوارق ، ولكن العقلاء فى أيامنا هذه لا يقبلون أمرا بغير تعليل ، كما أنه لا يستعصى شىء على ايمانهم مع التعليل المعقول . وإنى حيال قصة عجيبة لها من دواعى التصديق راوية حكيم وشواهد ملموسة ، ولكن التعليل العلمى ما زال يتأبى عليها ، فهلا أعذر على شعورى بالحرج فى تقديمها ؟ ومهما يكن من أمر فإليك ما رواه خباب البروفسير دريان « أستاذ الآثار المصرية القديمة » بجامعة فؤاد الأول ، قال : . . . » « ص ٨٤ » وغرض هذه المقدمة ــ كما لا يخفى ــ هو الايهام بصدق القصة أخلاقيا ، كما أفصح الكاتب عن ذلك عندما تحدث عن « الراوية الحكيم » و « الشواهد الملموسة » . أما هذه الشواهد فيثبتها فى نهاية القصة على لسان الراوى الأصلى : « سادتى . . إنه لتأتى على أوقات يصيبنى فيها ذهول وتخامرنى شكوك فأسائل نفسى مرتابا : هل كان حقا ما رأيت أم كان وهما ؟ . . وربما ملت أحيانا إلى تكذيب نفسى ، ولكن كلما أميل إلى الشك تصدمنى حقائق لا قبل لى بها . . فما قولكم مثلا فى شهادة الشيخ جاد الله وهو حى يرزق ويستطيع أن يعيد لكم ما حكيت . . وما قولكم فى جنون الخادمين التعيسين . . ومقبرة حور . . والقصر المهجور ؟ . . بل ما قولكم فى حادثة موت المغفور له محمود باشا الأرناؤ وطى التى ما يزال يذكرها جميع قراء الصحف ويعجبون لها أشد العجب ؟ . . » « ص ١٠١ »

كان الايهام بالصدق الأخلاقى هو ديدن القصاصين الأوائل حتى بعد مرباسان . وأرى فى « العنعنات » عادة عربية أصيلة غزت كتاباتنا الأدبية عن طريق رجال الحديث . وقد تخلص محفوظ منها سريعا ، إذ أنها لا تظهر مرة أخرى سوى بقصة : « الشريدة » التى يقول فى مقدمتها : « والغالب على أحاديث الشبان فى هذه الأيام أن تتجه نحو غرضين : النساء والسياسة ، وحول هذين الموضوعين دار الحديث فى مجتمع من الأصدقاء كان من حظى المشاركة فيه محدثا ومنصتا ، وقد بدأ الحديث فاترا مبتذلا فلم يستطع أن يجذب إلا بعض انتباهى ، حتى تكلم ذلك الصديق البارع وتدفقت الذكريات على لسانه الذرب فألقيت إليه انتباهى كله ، لأن حديثه كان قصة مستوفاة العناصر ، ومثل هذا الحديث يستبد بمشاعرى استبداد المال بقلب اليهودى الشحيح ، وإليك ما قصة صاحبى ــ قال . . . » « ص ٢٨ »

ومثل هذا الحديث من الممكن أن يصرح به للصحافة الأدبية ، عندما يتحدث مؤلف ما عن كيفية التقاطه لقصص « مستوفاة العناصر » من أفواه المتسامرين ، ومدى استبداد أمثال هذه القصص بمشاعره . ولا يكتفى المؤلف بهذه المقدمة إذ يبدأ الصديق روايته بمقدمة أخرى : « لا يكاد يخلو تاريخ شاب من امرأة ، ولكنه قد يخلو من المرأة المؤثرة التى تترك وراءها شاهدا عميقا لا ينالُ منه طمس السنين كالوشم فى اليد أو الصدر . وقد عرفت نساء كثيرات لا أذكر منهن إلا أثرا ذاهبا من اللذة أو الألم ، أو أطيافا فى الظلام والنسيان ، إلا امرأة ، بدت فى فترة من حياتى كالكوكب الدرى ينير أبدا ويضىء ما حوله فلا أنساها ولا يغمر النسيان حياتى إلا غمرتها بروحها الرقيق . . لماذا . . ألأنها كانت أجمل من عرفت ؟ . . أو أحبهن إلى قلبى ؟ . . لا أعتقد هذا ولكن ربما لأنها كانت أتعسهن جميعا ولأن تعاستها هذه كانت السبب الخفى فى سعادتى بها زمنا طيبا لن يعود أبدا » « ص ٢٨ » .

وهذه المقدمة الثانية تدلنا على نوع آخر من المقدمات الخارجة عن الموضوع . وهى تلك التى كان المؤلف القديم يضمنها آراءه فيما يقص علينا أو الحكمة المستخلصة منها ، كما فى قصة : « حلم ساعة » التى يبدؤ ها بقوله : « من عجيب الأمور أننا قد نحيا حياة سعيدة نخالها طويلة فى حلم قصير الأجل ، وما تعتم أن تطرق اليقظة مغلق الأجفان فينتقل النائم من عالم الأحلام المخدرة إلى دنيا حقائق شديدة الجفاء ، وما يجد يده قابضة إلا على هواء . على هذا المثال مضى ذلك اليوم من حياته ، كان يوما أو بضع يوم ولكن قلبه ذاق فيه سعادة وغبطة وحلق فى آفاق بعيدة من أحلام المنى وخفق خفقة فرح سماوى جاوز به عالم الزمان والمكان ، ثم أدركته يقظة منكرة اغتصبته من عالمه الحنون السعيد على نحو بالغ فى القسوة والوحشة . . كيف كان ذلك ؟ . . » . « ص ٢٠٦ »

وأعترف بأننا نتغاضى عن هذه المقدمات سريعا ، حينما يجرفنا تيار القص وسط عالم مثير إلى الأراضى الخصبة كما فى

قصتى : « يقظة المومياء » و « الشريدة » . أما قصة : « حلم ساعة » فتعتمد على « المصادفة » التى تظهر كثيرا فى ثنايا قصصه . وقد اتخذت « المصادفة » معنى فلسفيا فى نتاج ما بعد « أولاد حارتنا » . وأغلب القضايا التى أثارتها المجموعة تضرب بجذورها فى مقالاته ، وتورف ظلالها فى رواياته ، كالحوار بين العلم والايمان . وحنينه إلى الفلسفة لا يتوقف ، وإن نظر إليها ـ بطبيعة الحال ـ نظرة فنية أكثر منها فلسفية . وإنى لأعتبر قصة : « صوت من العالم الآخر » البداية الفنية المكتملة لا تجاهه الفلسفى منذ « أولاد حارتنا » . وتكمن فيها بذور العبث التى ضمنت جو : « ثرثرة فوق النيل » وغيرها ، فى عهد لم تكن قد انتشرت فيه هذه الفلسفة . كما أنه يعيد صياغة « أوديب » بقصة : « روض الفرج » : وتكثر اللفتات النفسية عنده ، وتبنى قصة : « همس الجنون » على مبادىء التحليل النفسي ، فهو يتتبع ـ ظاهريا ـ خطوات إنسان إلى الجنون ، وباطنياً شعب إلى الهاوية . ويحتفل بالحوار منذ ، بدء المسيرة ، حتى يطغى على السرد فى بعض القصص . وتعتبر : « هذا القرن » قصة حوارية تتألف من مشهد واحد . إذ تدور الأحداث كلها داخل حديقة القصر وعلى مشارفها بعد استقرار سيارة الباشا بها . ويدخل الشخوص إلى بؤرة الضوء من باب الحديقة أو من باب القصر . ويقوم السرد بدور التقدمة والتنبيه للدخول والخروج . ويتكون المشهد من ثلاث لوحات . يكشف الحوار فى الأولى عن شخصية الباشا والهانم . ويدور فى الثانية حول الشاب الذى ضبطه الشرطى يقفز من سور الحديقة وادعى أنه من أهل القصر . وفى الثالثة بين الشرطى والسائق المطرود ليفصح عن أن السائق ـ كالشاب ـ كان على علاقة آثمة بالمذنبة ، وذلك هو سر اندفاعه للنيل من غريمه حتى تم طرده . وقد عاد نجيب إلى هذا الشكل فى : « خمارة القط الأسود » [١٩٦٨] يقصتى : « جنة الأطفال » و « شهر زاد » . ثم استهواه الشكل الحوارى فضمت : « تحت المظلة » [١٩٦٩] ست قصص قصيرة وخمس مسرحيات من ذات الفصل الواحد . واستأثرت الحواريات بمجموعتى : « حكاية بلا بداية ولا نهاية » و « شهر العسل » [١٩٧١] .

وترسم المجموعة خريطة اهتماماته المكانية : حارات القاهرة وأحياؤ ها الأرستقراطية وعششها وقصورها ومقاهيها ، وفنادق الاسكندرية . وقد دخل شخوصه الزقازيق والعريش وزوار طنطا وريفها والصعيده وآثاره ، إلا أنه لا يقف أمام أى معلم من معالمها . ولا يصف فى الصعيد إلا قصرا منيفا لا يختلف عن غيره من قصور القاهرة ويعيش على الطريقة الباريسية ، ومقبرة متخيلة يستقى معلوماته عنها من كتب الآثار . كما تتشكل بالمجموعة أجنة شخوصه الحية ، ويعنى ـ منذ البداية ـ بتصوير أبعادها الجسمانية والنفسية ، مبرزاً المفاتن الجسمية للمرأة بمقاييسها المتوارثة . ففى قصة : « الزيف » . . « رآها تشرق عليه من باب الصالون فى فستان أبيض غير كتوم ، يعلن عن جمال كل ثنية من ثنيات جسمها اللدن ، ويبين خاصة عن الخصر الدقيق الذى يتعلق به كفلاها الثقيلان [ص ١٩] ويمزج بين اللوحة الفنية واللوحة الحية فى خيال شخص يدخل معرضا للفنون الجميلة لغاية أخرى غير الفن : « مضى يسير فى الحجرات الأنيقة وينظر بعينين فاترتين إلى اللوحات ، حتى استرعت انتباهه من بينها صورة فلاحة عارية تستحم فى النيل ، وقد أجادت الريشة تصوير قدها النحيف وثدييها الناهدين وأضفت على سمرة بشرتها سحراً شهوياً عجيباً ، فوقف أمامها طويلا لغير وجه الفن ، وذكر ـ لرؤيتها ـ ذلك الجسد البض المكتنز والردفين المكورين كأنهما اسفنجة هائلة مشبعة بالماء والساقين الممكورين والبشرة العجيبة ذات الرائحة الذكية ، وذكر ذلك الحسن الذى رمى به الحظ بين يديه قضاء وقدراً . . » [ص ٢٤] وإذا قارنا بين هذه السيدة ، وزنوبة فى « بين القصرين » فسنلحظ نفس المقاييس التى لم تستطع أن تخفيها الملاءة اللف ، بل زادت من تعريتها . فى الفصل الثانى عشر يتبعها يس عبد الجواد حتى تستقر على العربة الكارو وقد التهب شوقا . وها هى تلف الملاءة حول جسمها لفة محكمة وشت بدقائق تقاطيعه وتفاصيله وأبرزت ـ خاصة ـ عجيزة مدملجة رقراقة ، ثم جلست عند مؤخرة العربة فتكور ردفها تحت الضغط متبلورا ذات اليمين وذات الشمال فنعم الوسادة . ويدعو يس ربه : « اللهم لا تجعل لهذا الطريق من نهاية ، ولا لهذه الحركة الراقصة من ختام . . يالها من عجيزة سلطانية جمعت بين العجرفة واللطف يكاد البائس مثلى يحس بطراوتها وشدتها معا بالنظر المجرد . . وهذا المفرق العجيب الذى يشطرها تكاد تنطق الملاءة عنده . وما خفى كان أعظم . . إنى ادرك الآن لماذا يصلى بعض الناس ركعتين قبل أن يبنى بعروسه . . أليست هذه قبة ؟ . . بلى وتحت القبة شيخ . . وإنى لمجذوب من مجاذيب هذا الشيخ . . ياهوه . . ياعدوى » .

ولا تخلو : « همس الجنون » من تعثرات البداية ولا يخرج بعضها عن الحكايات البدائية ذات النزعات الاصلاحية . لكنها ـ من ناحية أخرى ـ تزخر بالقمم السامقة للجبل الذى صار أشماه . ونرجع ذلك إلى عبقريته الفطرية ووعيه المبكر بأصول حرفته . فقد ولد كاتباً كبيراً منذ : « همس الجنون »

[١٩٣٨] كما ولد توفيق الحكيم كاتبا كبيرا منذ : « عودة الروح » و « أهل الكهف » [١٩٣٣] وإن تمتع توفيق الحكيم بذكاء اجتماعى مكنه من تسويق نفسه ، فسلطت عليه الأضواء منذ البداية ، بعكس محفوظ الذى ظل قابعا فى ظله الظليل حتى بداية الخمسينات ، عندما نشر له يوسف السباعى : « بين القصرين » بمجلة : « الرسالة الجديدة » وأخرج له « الكتاب الذهبى » ــ الذى كان يصدر عن دار « روز اليوسف » بالاشتراك مع « نادى القصة » رواية : « زقاق المدق » فخرج من حصار الألف نسخة إلى رحابة الثلاثين ألف نسخة .

القاهرة : محمد محمود عبد الرازق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش

(١) الهلال ، فبراير ١٩٧٠ .

(٢) نص السؤال : « أنت رجل مقتدر على معظم الأشكال الأدبية . سدت الرواية وتفوقت فى القصة ومارست المسرحية . فلماذا لم تجرب كتابة المقال وهو من أهم الأشكال الأدبية وأصرحها للتعبير عن الرأى .

وهناك روائيون ومسرحيون اشتهروا بالرواية والمسرحية وفى نفس الوقت يعتبرون من أعظم كتاب المقالات عندنا . مثلا : آلان روب جرييه يعتبر من أحسن كتاب الرواية الجديدة أو الرواية اللا روائية وهو من أحسن كتاب المقال . والمؤلف المسرحى يونسكو من أجل وأوضح كتاب المقالات أيضا رغم أنه اشتهر بالرواية والمسرحية فى العصر الحديث .

وأنت ! لماذا لم تكتب المقال ؟

هل تخاف أن يكون لك موقف بين واضح ــ وأنا لا أنكر أنك رجل بين واضح ــ فتحاسب عليه . وبذلك تفضل أن تضع مواقفك على ألسن أبطالك ! .

أو لأنك درست الفلسفة ومعروف فى الفلسفة أن أكمل الأشكال هى الدائرة أو الكرة وهى كما تقول الفلسفة اليونانية القديمة أكمل الأشياء الهندسية ، ولكن الكرة ليس لها طرف وأنت لا تحب أن يمسكك أحد من طرف . . وبذلك تعزف على جميع أصابع البيانو وتعرض جميع ألوان الطيف .

أو لأنك تحب أن يعرف عنك كما عرف عن توفيق الحكيم الغموض والألغاز وأن تكون أحسن من يتظاهر بأنه ثمل بينما هو واقع فى منتهى الوعى ؟ .

(٣) بعد النكسة ، أرادت الصحف المؤممة أن تستقطب الأدباء الشبان ، أو بعبارة أدق : أن تظهر أمام الحكام وكأنها تستقطبهم فى طريق البحث عن حل . ومن بين التقليعات التى ظهرت فى هذه الأيام ــ مثل مؤتمر الأدباء الشبان ، وإصدار مجلة ، مازالت متعثرة ، للثقافة الجماهيرية ــ خصصت جريدة « الأخبار » صفحة للأدب أسندت تحريرها إلى أنيس منصور . ورغب أنيس منصور فى إحداث فرقعة صحفية بعيدة كل البعد عن الغرض من إصدار الصفحة ، فاستكتب اثنين من الذين يقفون على هامش الأدب والصحافة اتهما محفوظ بالاقتباس . . بل والسرقة ! وقد استخف الأدباء بهذه الفرقعة المفتعلة ! ولم يحاولوا الرد عليها فماتت فى مهدها .

(٤) بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ بدأ محفوظ فى نشر مقالات قصيرة بصفحة الرأى بجريدة « الأهرام » تحت عنوان ثابت يشاركه فيه غيره : « وجهة نظر » ولم يقبل أن تجمع بين دفتى كتاب .

(٥) اشتهر أنيس منصور باعتباره عارضا وملخصاً للكتب .

(٦) عشرة أدباء يتحدثون ، كتاب الهلال ، العدد ١٧٢ فى يوليو ١٩٦٥ ص ٢٨٠ .

(٧) المعذبون فى الأرض ، سلسلة إقرأ ، العدد ١١٨ نوفمبر ١٩٥٢ ص ٨ .

عبد الله خيرت

وجـــه من المـــرايـــا

منذ أن فاز أديبنا الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل فى منتصف أكتوبر الماضى ، والحديث عنه وعن إبداعاته لا يتوقف ، لقد تناول من كتبوا عنه كل شىء فى حياته وأدبه ، ووصلوا فى استقصاءاتهم إلى الكشف عن مقالاته الفلسفية الأولى وقصصه القصيرة التى لم تنشر فى كتب . وهذا شىء طبيعى يتفق مع الفرحة الغامرة التى نعيشها جميعا .

وقد اخترت أن يكون موضوع هذا الحديث القصير كتاب « المرايا » أو فى الحقيقة إحدى شخصياته كنموذج ــ لأن أحدا لم يشر إليه ، ولأنه فى رأيى من أهم كتب نجيب محفوظ ؛ إذ تظهر شخصياته ومعها الكاتب متحررة من كل قيد ، تعيش حياة إنسانية طبيعية ، ولا تخضع للقواعد الصارمة التى يفرضها عليها بناء الرواية لتخفى نتوءاتها ، وتجمِّلها ، وتختصر أو تفيض فى الكلام عما تفعله أو ما يجرى عليها من أحداث .

إن لكل قارىء تجربة خاصة مع الكتب التى يحبها ، وتجربتى كقارىء مع هذا الكتاب بدأت منذ كان ينشر مسلسلاً فى مجلة الإذاعة ، وكان الفنان الكبير سيف وانلى يكمل بريشته تحديد ملامح الشخصيات التى رسمها نجيب محفوظ بقلمه ، وكنت أحدق فى هؤلاء الناس وأرى نظراتهم التائهة أو الوقحة وطرابيشهم المائلة وبطون بعضهم التى كانت تملأ الصفحة كاملة ، وأقول لنفسى : إنهم ليسوا أبطال روايات ، لقد تخلصوا نهائيا من هموم الكتمان والتظاهر ، وهم يجلسون على القهوة التى أمرُّ عليها ، أو يقضون سهرة فى بيت أحدهم .

أبطال الروايات مختلفون ؛ وإلا فكيف يتباهى عبده البسيونى ليلة بعد ليلة بابنه ثم بابنته من زوجته ، التى وقع فى شركها - وهو يعلم - نصف أصدقائه ومنهم المؤلف الذى كان يجلس متحرجا شاعرا بالذنب ، ومندهشا من بجاحة صديقه القديم ؟ وكيف يلقى المؤلف بظلال من الحقيقة المفجعة على أستاذ الفلسفة الذى تناقض أفعاله أقواله ، وبخاصة أنه يتحدث إلى طلاب حالمين يهيمون بالمثل العليا ؟

أدركت من الحلقات الأولى أن الراوى يكتب سيرته ويحكى الأحداث البسيطة والعميقة فى حياته وحياة الناس . وحين التقى الراوى بأستاذه ابراهيم عقل - أول شخصيات الكتاب - عام ١٩٥٣ فى الحسين ، وكان نجيب محفوظ قد أصبح معروفا ، وسأله الأستاذ متذكرا ومندهشا :

« أنت ؟ ماذا تفعل ؟

فلما أجبته قال :

- لا تؤاخذنى ، فأنا لا أقرأ »

عرفت أن هذا النوع من الكتابة قريب الى نفسى ، لأنه ليس فيه جمال الصنعة ولا إحكام البناء .

وزاد من قربى الى هذا العمل الفنى المتميز ، بعد أن نشر كتابا ، أن الناس الذين يعرفون نجيب معرفة وثيقة كانوا يبحثون عن أنفسهم أو أصدقائهم أو بعض الشخصيات العامة فيما يرويه . كان الأستاذ يحيى حقى يسألنى إن كنت عرفت هذه الشخصية أو تلك ، ثم يكشف لى حقيقتها وينبهنى إلى بعض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحيل الخفيفة التى لجأ إليها نجيب محفوظ ليغلفها بغموض واه يشف عنها . وسألت المرحوم صلاح عبد الصبور - وكان من المشغوفين بكشف هذه الشخصيات - عن « صفاء الكاتب » فقال إنها شخصية حقيقية ، وكانت تعيش فى العباسية ، ثم أضاف : لاحظ كلمة « الكاتب » .

لقد أسرتنى منذ البداية هذه الشخصية كما أسرت نجيب محفوظ ، وحين كان الكتاب ينشر مسلسلا قطعت الصفحة من المجلة وحملتها معى وأنا مسافر ، وكانت أحيانا تضيع منى بين الأوراق الأخرى ، فأواصل البحث عنها متتبعا وهم حضورها وغيابها ، إنها موجودة وغير موجودة ، ولقائى معها لا أحدده وإنما تفرضه أشياء خفية لا أعرف سرها ، وإذا أمسكت الكتاب الآن فوجئت بالصفحات تنشق عنها .

كنت أجدها منذ الصفحات الأولى فى الكتاب تمشى بجوار المؤلف ، بل تقود خطوه وتعيد له صفاء نفسه وتضفى على أسلوبه جمالا أخاذا ، فحين ظن أنه يحب « ثريا رأفت » وكان على وشك الزواج منها ، ثم ابتعد عنها لاعترافها بالخطأ الذى لا حيلة لها فيه إذ كانت صغيرة - حينذاك - ولأنه كان أضعف من أن يتحمل هذا العبء ، إذ يقول عن نفسه وجيله :

« . . كنا نحارب طبقات كثيفة من الماضى العتيق ، كلما تلاشت طبقة ، برزت تحتها طبقة راسخة تتطلب المعاناة والعناء لقهرها . كان علينا أن نقطع خمسة قرون أو أوستة فى ربع قرن . . ، حين ظن أنه يحب ثريا ثم تخرج من حياته الى الأبد ، يفسر الأمر على هذا النحو :

« . . بدت لى المشكلة عقدة غير قابلة للحل ، تكشف حبى عن ولع عنيف ليس إلاّ ، وكأن حبى القديم لصفاء قد استنفد طاقتى للحب الحقيقى . . » .

ولكننى لم أعرف عمق هذا الحب الحقيقى والمدى الذى يمكن أن ينتهى إليه إلا بعد أن قابلت صفاء الكاتب فى الصفحات الثلاث التى أخذتها من الكتاب ؛ إذ أحسست أنها صاحبة هذا العمل كله ، هى التى أوحت به ، وهى التى ترتب شخصياته وأحداثه ، بل هى بطلة الحب الأصلية فى كل أعمال نجيب محفوظ . يقول المؤلف عن هذا الحب :

« وتمثل ذلك الحب فى صورة طاغية متسلطة لا تقنع بأقل من التهام الروح والجسد ، قذف بى فى جحيم الألم ، وصهرنى ، وخلق منى معدنا جديدا تواقا إلى الوجود ، ينجذب إلى كل جميل وحقيقى فيه »

ولكنه لم يكن حبا سعيدا أبدا ، فبسببها :

« . . عانت حياتى العاطفية من أزمات متواصلة معقدة كأنها السحر الأسود » .

كيف حدث هذا الانكشاف الصوفى ؟ وكيف استمرت هذه العلاقة الوهمية الحقيقية ؟ لقد التقى بها المؤلف ثلاث مرات ، أو فى الحقيقة رآها ، لأنها لم تنتبه إليه أبدا ، كانت المرة الأولى فى الحنطور الذى كان ينحدر من الطريق الشرقى نحو الشارع العمومى :

« . . وفى صدره جلست عجوز تلوح من وجهها عينان ناعستان فوق حافة اليشمك ، وإلى جانبها فتاة تتألق بنور الشباب . وبمجرد أن وقعت عيناى على وجه الفتاة عانقت سراً من أسرار الحياة المتفجرة ، تفتحت به أبواب السماء فأغدقت علىّ فيضا من بركات الحب . . » .

وكانت المرة الثانية مناسبة عاطفية عميقة التأثير عجلت بنمو هذا العشق ومدّت خيوطه السحرية فى قلب المؤلف إلى الأبد . . كانت جنازة سعد زغلول الذى نشأ الأطفال فى ذلك الوقت على حبه حبا صافيا لا تشوبه شائبة :

« . ورأيتها للمرة الثانية فى مناسبة حزينة جداً ، فى نافذة ببيت أثرى بشارع محمد على احتشد فيه نفر من النساء لمشاهدة جنازة سعد زغلول ، ولم أنتبه إليها إلا عقب مرور النعش ، فرأيت من خلال دموعى وجهها المشرق ، وهى تجفف عينيها مادة عنقها وراء النعش المبارك . خفق قلبى مباغتة . . » .

مشاركة فى البكاء على سعد زغلول . . كيف يولد الحب ! إن لم يولد فى مواقف كهذه ؟ إن الكاتب وهو يتحدث عن هذه المناسبة يعرف أنه يمس أوتار القلوب ، فلا تملك إلا أن تحب هذه البنت التى انتقلت مع أمها من قصر آل الكاتب فى العباسية لتوديع سعد زغلول من نافذة بيت قديم فى شارع محمد على .

أما المرة الثالثة ، فكانت :

« . . حين هبطت أدراج السلاملك فى ثوب العرس لتستقل سيارة إلى بيت العريس ، وكنت ضمن حشد وقف على الطوار المواجه للقصر للفرجة . . »

وفى هذه المرات الثلاث لم يتمكن من رؤيتها رؤية كاملة ، وكلما مرت الأيام لفها الغموض واختفت صورتها وراء سحب الماضى ، إنها شبح يزداد تموجه حتى تتعذر رؤيته .

« . . لا أعرف لون شعرها ولا تسريحته ولا لون عينيها ولا طول قامتها أو درجة امتلائها . ذاب كل ذلك فى سائل سحرى . . »

ولكن الحب الصافى لا يهتم بهذه التفاصيل ولا تعنيه .

والمسرات التى يُذيبها اللمس ويقتلها التحقق ليست هى الهدف هنا ، الأمل الباطل الغامض هو شرط استمرار هذا الحب الذى يكتسح كل شىء .

لا أعرف إلى الآن ما الذى يجذبنى إلى هذه الشخصية أحيانا أرجع هذا إلى تلك اللغة الصافية التى أحس أن قصد التجويد منتسف عنها :

«كأن قلبى لم يحركه شىء إلا إذا انتمى إليها بسبب خفى »

« . . وما أحببت صفة فى وجه إنسانى إلا وكانت هى وراءه حقيقة أو وهما . . » .

« . . وآمنت بأننى أحب لأول مرة . وعرفت كيف يغيب الإنسان وهو حاضر ، ويصحو وهو نائم ، كيف يفنى فى الوحدة وسط الزحام ويصادق الألم ، وينفذ إلى جذور النباتات وموجات الضوء » .

وأحيانا أفسر ذلك الانجذاب بأنه نوع من العزاء لنفسى المثقلة بالأحلام المحبطة ؛ فلست وحدى الخائب الذى يختار أصعب الأشياء وأبعدها عن التحقق ، ها هو واحد آخر - وربما يكون هناك غيره - يعيش فى قلب القاهرة ، وليس فى قرية منسية يعرف الناس فيها بعضهم ويتجسسون على بعض رغم الظلام الجاثم فوقها ، إنه مثلنا يمشى فى طريق أغلقته بإحكام تلك الفوارق الاجتماعية الصارمة ، وفارق السن ، هو فى الخامسة عشرة - حين ابتلى - وهى فى العشرين . ومع ذلك يتابع السير فى الطريق المسدود .

ولكنى إلى الآن لا أفهم الأسباب الحقيقية التى جعلتنى أدمن الرجوع إلى هذه الصفحات الثلاث حتى كدت أحفظها ، والتى تجعلنى أنساها تماماً ، ثم إذا تذكرتها وعدت إليها :

« . . فمن طريق غير مباشر وبإيحاء عفوى ، كشذا الورود الذى يباغتك من وراء سور وأنت ماضٍ ، غارقا فى أفكارك » .

القاهرة : عبد الله خيرت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حسين عيد

دراسات

قراءة فى مجموعة قصص التنظيم السرى لنجيب محفوظ : رؤية شاملة لرحلة الإنسان فى الدنيا

تغلبت شهرة نجيب محفوظ كروائى شامخ ، له رصيد ضخم من الروايات الذائعة الصيت ، على قدراته كمبدع للقصة القصيرة ، فلم تحظ مجموعاته القصصية الثلاث عشرة ، بما تستحق من اهتمام النقاد ، برغم أنها تكون عالماً خصباً ، متكامل الأركان ، لا يقلّ سموقاً عن عالم رواياته بأية حال .

وهذه قراءة لمجموعة قصصية تستمد أهميتها من أنه أنجزها عام ١٩٨٤ ، وهو فى قمّة نضجه وعطائه ، إضافة إلى أن قصصها الثمانى عشرة يتبدى فيها العديد من ملامح عالم نجيب محفوظ القصصى .

اقترب نجيب محفوظ فى هذه القصص ــ كعادته ــ من الإنسان ؛ محاولاً تقديم رؤية شاملة لرحلته فى الدنيا ، مستكشفاً آفاق النفس البشرية من [الداخل] ، ومتعرّفاً على أبعاد الحياة [الخارجية] من حولنا ، منذ بداياتها الأولى ، وما تجيش به من تيارات ، انتهاء بتلمس عتبات عالم الموت .

وهو ــ فى كل قصصه ــ يصحبنا على متن بساطه السحرى ، بكل أصالة وصدق ، مجاهداً أن يفكّ طلاسم هذه العوالم ، وأن يستكنه خباياها ؛ ليضىء الطريق أمام القارىء .

منظومة الألحان :

تقوم قصص مجموعة « التنظيم السرى » على عدد من المحاور الأساسية ، أو هى مجموعة من الألحان ضمن منظومة كلية . . فهى تارة تعزف تنويعات على لحن الدنيا الغادرة التى تتحرك وفق منطق خاص بها مجهول للانسان ؛ فقد يسعى الفرد جاهدا نحو غاية محددة فى اتجاه ما ، بينما تدور أحداث الدنيا فى اتجاه معاكس ، فإذا سعى للبحث عن الأمان فى شيخوخته ، خسر كرامته ولم ينل مراده [**قصة ممر البستان**] ، وإذا سعى ينشد هدفاً من الحياة يهب له نفسه ، كما فعل الشاطر حسن فى الحكايات الشعبية القديمة ، لم يجن فى النهاية سوى قبض الريح [**قصة المسخ والوحش**] . وإذا انطلق وراء السعادة [كهدف] مدفوعاً بنداء قلبه ، أفلتت منه سعادته المرجوة ، وسقط فى حفرة لا يجد منها مخرجاً [**قصة فى أثر السيدة الجميلة**] . وإذا حاول أن يفهم ما يجرى أمامه [فى دنياه] من أحداث ، وأن يجد لها تبريراً ، اكتشف عبث محاولته [**قصة شارع ألف صنف**] . وإذا مضى البشر الأقوياء ، وراء الدنيا ، فإنها لا تفتح مكنون كنوزها إلاّ لمن لا يعيرها أى اهتمام ، ويمتلك قلب طفل ووجه عذراء ، حتى لو كان مجهول الأصل [**قصة صاحبة العصمة**] .

وتعزف القصص ــ تارة أخرى ــ تنويعات مختلفة على لحن الشروة والامتلاك وأنها لا تعنى السعادة ، فقضاء الليل بين الأصدقاء رغم الوحدة ، قد يكون أفضل من الحياة بدونهم مع الزوجة والأموال فى فيللا [**قصة عندما يأتى المساء**] . وإن استثمار جهد الإنسان فى العمل من أجل غيره أفضل من امتلاك بستان [**قصة البستانى**] . وإن الثروة قد تأتى فى الوقت غير المناسب ؛ حين لا يحتاجها الإنسان [**قصة عندما يأتى**

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرخاء] ؛ لأن لكل فرد حظه ونصيبه من الحياة ، رغم ضياع الثروة [قصة آخر الليل] .

وتنفرد خمس قصص ــ تارة ثالثة ــ بألحانها المستمدة من واقع الحياة ، فقد تختلف فصائل تنظيم سرى ، كما جرى مع المقاومة الفلسطينية ، رغم وحدة الهدف [قصة التنظيم السرى] . أو قد يتحول تنظيم فى مواجهة خطر ما إلى خطر جديد [قصة الفأر النرويجى] . أو قد تتفاقم أزمة الإسكان وتستحكم ، فيضطر الأحياء إلى سكن القبور [قصة الخندق] . أو قد تؤدى سلبية البشر إلى قتل روح انسانية ، عندما يشاهدون مأساة تجرى أمامهم ، دون أن يتدخل أحد من الجيران لوقف شجار عنيف بين زوج وزوجته ، وحين ينتقل الشجار إلى الشارع ، يتدخل أحد العابرين فيهدده الزوج ، فيمضى إلى حال سبيله ، وهكذا يذبح الرجل زوجته وسط ذهول الجميع وخشيتهم مغبّة التدخل أو إبلاغ البوليس [قصة تحت السمع والبصر] . وقد يهدف الانسان إلى نشر الاخلاق والحفاظ عليها ، لكن الانتصار قد يكتب لأهل الفجور [قصة البقاء للأصلح] .

وأخيراً ، تعزف أربع قصص تنويعات جديدة على لحن الموت ، فهو رمز لجريمة متكررة ، لا يستطيع بشر حلّ غموضها ، فإذا حاول أحد الضباط كشف غموض قضية ، ومعرفة الفاعل الحقيقى ، رغم مضى المدة القانونية لمعاقبته ، وعندما يواجه عجوزاً باتهامه ، يفاجأ بأنه بدلا من اكتشاف [القاتل القديم] ، إذا بالعجوز يسقط ــ بين يديه ــ ضحية جديدة لنفس الفاعل السابق/الموت/المجهول [قصة قاتل قديم] . أيضا ، لا يجب أن ننسى الموت ؛ لأنه كسامن هناك يتهدد خطى البشر ، مثلما حدث لأحد المهاجرين ، حين حلم الشخص ما يحذّره من النسيان [والحلم من التيمات الأثيرة] فى معالجات نجيب محفوظ الفنية ؛ إذ يتيح له ! إمكان توظيفه ليوحى برؤى فكرية ، فيفسره شيخ القبيلة بأنه يجب أن يتزوج فيطيعه ، وحين تكرر نفس الحلم دعاه الشيخ إلى ضرورة تأمين مستقبل أسرته . لكن الحلم تكرر أيضا ، حين أصبح الرجل فى ذروة غناه ، وعظمته . وهنا فى قمّه صعوده الدنيوى ، وفى غمرة نسيان البشر ، يبرز الموت ، ليموت الرجل صريعا تحت عجلات سيارة يقودها نفس الشخص [رسول الموت] ، الذى كان يزوره فى الحلم محذراً من النسيان [قصة النسيان] .

ولكن ماذا يحدث إذا انقلبت زاوية التصوير ، وتم تقديم الموت من الجانب الآخر ، من خلال زاوية رسول الموت ؟ ــ هنا يقدم نجيب محفوظ صورة ساخرة لرسول الموت ، الذى ينشد [النسيان] والهرب من ذكرى ضحاياه ، بالذهاب إلى بيت للدعارة ، ليقع هناك تحت سطوة ذات [الحلم] الآمر ، الذى يحفزه على إنجاز مهمة يحاول أن يتهرب منها ، فيجهز على فتاة لا حول لها ، ويتمادى الكاتب فى أدائه الساخر ، حين يعكس تفكير البشر فيما حدث ، بإمكانياتهم البشرية المحدودة ، حين يرون أن على الفاعل الحقيقى أن ينتحر [وفق منطقهم القاصر] ، بينما رسول الموت مستمر فى أداء مهامه ، لا يملك من أمر نفسه شيئاً [قصة القتل والضحك] . وفى النهاية ، يبلور نجيب محفوظ رؤية متكاملة للموت ، حين يضعه فى إطاره السليم ، فى نهاية رحلة الإنسان عبر حيوات مختلفة [ما قبل الميلاد ــ الحياة الدنيا ــ ما بعد الموت] ، لكل منها مذاقها الخاص ، ويجب أن نتقبل كلاً منها بإيمان وسعادة [قصة السيد س] .

بناء القصص الفنى :

يبدأ نجيب محفوظ ــ دائماً ــ من الواقع المعيش ، حين يلتقط بحسّه المرهف ، مفردات الحياة اليومية من أفكار وانطباعات ووقائع وبشر وأماكن ؛ ليصوغ منها قصصه ، ويشيد أركان عالمها الخصب الثرى ، الذى يحتمل أكثر من تأويل . قد يقرأها قارىء ، فيجد فيها حبكة الواقع وحكمة الدنيا ، وهذا [ظاهر] القصص المألوف . وقد يتعمق قارىء آخر إلى [باطنها] ؛ محاولا أن يتفهم بناءها الفنى ؛ فتتفتح أمامه أسرارها المغلقة ، وتنفكّ عقدة رموزها الشفافة ، ليضىء عالمها [الداخلى] ، ويغمره فيض رؤيتها الكونية الباهرة عن الإنسان .

فى هذه القصص يتبدّى نجيب محفوظ كمهندس بارع للبناء الفنى ، وإن كنا نلاحظ أن قصة تحت السمع والبصر قد اكتمل بناؤها الفنى ، ولم تكن تحتاج إلى جملة الختام الأخيرة ، حين « يحكى الضابط الحادثة فى مجالسه ويقول بمرارة : كان من الممكن إنقاذ المرأة والرجل ولكن ذلك ما حدث دون زيادة ! » .

وفيما يلى نماذج لأشكال البناء الفنى الثلاثة من قصص المجموعة . . فى قصة التنظيم السرى » لجأ نجيب محفوظ إلى تسمية الشخصيات برموز [أ ، ب ، حـ] بدلا من الأسماء ، بما يتناسب وموضوع التنظيم ، وكأنها أسماء حركية . وامتد التجريد إلى أماكن العمل والجو العام ، إضافة إلى إشاعة جوّ من الغموض يظلل اللقاءات ، والأشخاص ، مما ساعد على إبراز جوّ التنظيم السرّى . كما أجاد رسم الشخصية الرئيسية المنتمية للتنظيم ، . لال مراحل العمل المختلفة ، وتطور أسلوب العمل ، بعد أن كان « التصدى للوجه القبيح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والانهيال على قبحه بالكلمات الصادقة » فأصبح « التغنى بالوجه الجميل المنشود . حلم اليوم وحقيقة الغد » ، وبعد أن أنجزوا » أعمالا كبارا ، حتى لاح النصر فى الأفق مثل إشراقة الفجر » ، إذا بالانشقاقات تتفشى بينهم ، حتى انتهى الأمر بكل فريق إلى التميّز لأسرته وإيثار أسلوبها والسخرية من أساليب الآخرين ، وتبادل السباب والشتائم حتى اشتبكوا بالأيدى . لتنتهى القصة ، وهو يسأل رئيسه [الأكثر خبرة بالحياة] « هل ما يزال لديه أمل ؟ » فيجيبه بأن ما يجرى « ما هو إلاّ امتحان ، وككل امتحان فالأجوبة الصحيحة معروفة من قبل » فتلقى كلماته كما « يتلقى الظمآن قطرة من الماء العذب » .

ولا يخفى على القارىء أن القصة وقت كتابتها [بين عامى ١٩٨٣ ، ١٩٨٤] ، كانت ترمز إلى المقاومة الفلسطينية ، التى دبّ الخلاف بين فصائلها المختلفة ، بعد أن اختلفت أساليبها ، ولعلّ نبوءة نجيب محفوظ التى اختتم بها القصة ، بأن ما يحدث كان امتحانا ، « فالأجوبة الصحيحة معروفة من قبل » ، تستند إلى استقراء شواهد التاريخ ، وإلى أن معركة التحرير الحقيقية ما أن تندلع شرارتها [انتفاضة الحجارة] ، حتى تتوحد الفصائل المتناحرة مرّة أخرى ، وهو ما تحقق الآن فعلاً . .

وهناك **قصة « البقاء للأصلح »** وهى من أروع قصص المجموعة ، فهى دائرية البناء ، يحكيها عجوز متزوج يعمل مترجماً ، ويمتلك بيتا مكونا من ثلاثة] أدوار وبدروم ، يسكن هو دوره الثانى ، أما الدور الأعلى فيسكنه محام ، ويسكن الدور الأول شيخ متدين ، وبالبدروم سيدة وحيدة ، يطمع كل من سكان البيت فى الانفراد ببقية المنزل بعد طرد السكّان الآخرين منه ؛ فيتهم المحامى الشيخ بأن شقته ملتقى للتيار المتطرف ، وأن السيدة تدير شقتها للدعارة ، ويتهم الشيخ المحامى بأنه يدير خليّه هدّامة وأن البدروم [حيث السيدة] بؤرة فسق . وكان كل منهما يطمع أن يحول البدروم إلى مطبعة والشقة إلى دار نشر . ثم تزور السيدة أيضا مالك البيت ، لتتهم الدور الأعلى بأنه وكر هدامين وأن الدور الأول وكر منحرفين ، وانها إذا حصلت عليهما ستحولهما إلى مطعم وكافتيريا . وتنتهى القصة باقتحام رجال الأمن للشقتين ، و « سمعنا أنهم عثروا على أدلة بينة » ، فتمّ تأجيرهما بعد فترة للسيدة ، التى حولت الدور الأول إلى كافيتريا والدور الأخير إلى مطعم ، وسرعان ما نجح هذا التحويل .

والقصة يمكن أن يراها القارىء فى الواقع ؛ فالمصالح الانفتاحية تسود على حساب التيارات الأخرى . لكن يبقى للقصة وجهها الآخر ؛ فالمحامى رمز للتيار الفكرى الذى يستند إلى العقل والمنطق ، والشيخ رمز للتيار الدينى الذى يستند إلى العقيدة والدين ، والسيدة ترمز إلى تيار الانفتاح الاقتصادى ، والمالك رمز السلطة الحاكمة ، والبيت رمز الدولة . والمغزى يفسّره بناء القصة الدائرى المغلق ، الذى يبدأ بجملة يكررها مالك العقار [رمز السلطة السلبية] ، حين يقول « المنة لله ، لا أحمل فى الدنيا همّا ، وينهى القصة بها ، فيعكس فساد عالم القصة الداخلى ، وتفسّخ علاقاته القائمة بين السكان واستحالة استمرار هذا الوضع . وكأن السيدة ستظل سادرة فى سياستها الانفتاحية بشكل متواز مع سلبية السلطة الحاكمة ، فى ظل مجتمع تسوده أطماع السيادة لكل طرف ، حتى لو كان بغرض نشر فكره وثقافته . فالقصة قدمت الصورة العكسية التى ستسود ، والتى سيظل فيها الوضع مقلوبا ، ولن يكتب فيه [البقاء للأصلح] ، إذا لم ينهض البيت/الدولة على تفاهم واحترام متبادل وتعاون تام بين مختلف الأطراف التى تعيش فيه ، فى ظل مناخ ديمقراطى ، تسوده المنافسة الشريفة ، لا أطماع وأثرة المصالح الفردية الضيقة .

مثال آخر لقصة بسيطة الأحداث ، بديعة التركيب ، عميقة المغزى ، هى قصة « **فى أثر السيدة الجميلة** » . وفيها نتابع شخصا يغادر منزله ، بادئا رحلة يومه [التقليدية] ، منذ الصباح المبكر منطلقا إلى عمله ، ويفاجأ بامرأة قادمة من الناحية المقابلة ، انها ليست امرأة عادية ، بل هى إغراء مخادع ، رمز لحلم السعادة المرتجى ، يتسلل منها نداء مبهم ، أمر لا يقاوم للآخرين ، [فإذا لم يكن الفرد قانعا ، راضيا بحياته] ، فإنه سرعان ما ينجذب إلى المرأة/الوهم/الحلم ؛ التى تبدو « كأنها غاية الدنيا وثمرتها النهائية » ، فينشرح صدره ويستسلم قلبه ، [لأنه لم يحكم فكره فيما يجرى أمامه] ، فقام بمتابعتها بإصرار ، وحين دخلت سنترال ميدان التحرير ، يسمع العاملة تقول لها رقم ١١ [وهو تكرار لرقم واحد مرتين ، وهو الرقم الذى يمثل القوة ، بينما يؤكد تكراره رغبة الرجل فى الاستمرار والارتباط والاتحاد بها] . وحين اشترت كتاب « القوى الخفية » ، إذا به يشتريه أيضا [تأكيد السطوة وسيطرة الحلم/الوهم على مشاعره] .

هكذا استمرت رحلة بحثه الشاقة طوال اليوم [التى يوظّف فيها نجيب محفوظ مفردات الوقائع البسيطة لتنمية رؤيته] ، حتى حلّ به التعب والاجهاد والجوع ، ونال علقة ساخنة نتيجة تبوّله على سيارة واقفة [تأكيدا لفقدانه رشده خلال انسياقه وراء مشاعره] ، فاعتبر ذلك « أنسب نهاية لرحلة سخيفة لا معنى لها » . وحين رأى نذر المغيب تحدث بالوجود [كان المفروض

أن يتراجع بناءً على قناعته بعبث رحلته وبإيحاء الطبيعة بالختام] ، لكنه استمرّ يتابعها فى الظلام ، فسقط فى حفرة ، فى انتظار عابر سبيل ينقذه ، « مستسلماً إلى قدره » ، بينما تنسرب المرأة/الحلم/الوهم ، ويغيِّبها الظلام .

هنا أيضا تواز رائع لرحلتين ، رحلة الإنسان فى حياته اليومية ، حيث دفء الحياة الأسرية واستقرار العمل . هذه الرحلة [الحيانية] تحكمها [القناعة] ويجب أن يعيشها الإنسان مقتنعا بفكره ومشاعره . فإذا تمرد على حياته الطبيعية ، ولم يحكم فكره ، وانساق وراء مشاعره ، هناك رحلة أخرى تنتظره ، تجذبه فيها رغبة عاتية فى العثور على [غاية الدنيا] ، وامتلاك الحلم المستحيل . لكنها رحلة شقاء فى النهاية ، وراء السراب ، لابد لها أن تؤوب بخسران مبين . . والطريق مفتوح أمام الإنسان ؛ كى يختار .

القاهرة : حسين عيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة : نجيب محفوظ

إعداد : توفيق حنا

قصة زعبلاوى

افتتاحية :

[تقاسيم عود . . يغلب عليها طابع الأناشيد الدينية . . هامسة وكأنها تأتى من بعيد . . وتستمر هذه الخلفية الموسيقية حتى النهاية] .

حسن يردد لنفسه :

علىّ أن أجد الشيخ زعبلاوى .

* المشهد الأول :

« فلا ش باك »

يسأل حسن أباه :

من هو زعبلاوى يا أبى ؟

ويكون الجواب :

فلتحل بك بركته ، إنه ولى صادق من أولياء الله ، وشيّال الهموم والمتاعب ، ولولاه لمت غما ـ

[كورس يردد بصوت خافت : الدنيا مالها يا زعبلاوى شقلبوا حالها وخلوها ماوى !]

المشهد الثانى :

حسن :

علىّ أن أجد الشيخ زعبلاوى . ولكن أين أجده ؟ .

أذكر الآن أن أبى قال لى إنه عرفه فى بيت الشيخ قمر بخان جعفر . والشيخ قمر من رجال الدين المشتغلين بالمحاماة الشرعية علىّ إذن أن أذهب إلى الشيخ قمر .

وذهبت وسألت بياع فول أسفل البيت فقال الرجل باستغراب : الشيخ قمر ترك الحى من عهد بعيد . ويقال إنه يقيم اليوم بجاردن سيتى ، وأن مكتبه بميدان الأزهار .

*

وذهبت إلى الشيخ قمر فى مكتبه وقلت له بعد السلام :

أنا ابن صديقك القديم الشيخ على التطاوى .

قال الشيخ قمر :

الله يرحمه . كان رجلا طيباً .

قلت له :

كان والدى قد حدثنى عن ولىّ طيب يدعى زعبلاوى ، قابله عند فضيلتكم . إنى ياسيدى أريده إن كان ما يزال على قيد الحياة .

قال الشيخ [بفتور] :

كان ذلك فى الزمان الأول ، وما أكاد أذكره اليوم .

وسألت الشيخ :

أكان وليّا حقا ؟ .

قال الشيخ :

كنا نراه معجزة .

وسألت الشيخ :

وأين يمكن أن أجده اليوم ؟

أجاب الشيخ :

مدى علمى أنه كان يقيم بربع البرجاوى بالأزهر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المشهد الثالث :

وانطلقت إلى ربع البرجاوى . . .

ها هو ربع البرجاوى ، لم يبق منه إلا واجهة أثرية وحوش ــ برغم الحراسة الاسمية ــ مزبلة . وها هو بائع الكتب القديمة فى محله . . وسألته عن زعبلاوى فاجاب باستغراب :

زعبلاوى ! ياسلام ! والله زمان ! كان يقيم فى هذا الربع حقا عندما كان صالحا للإقامة . وكان يجلس عندى كثيرا ، فيحدثنى عن الأيام الخالية ، وأتبرّك بنفحاته . ولكن أين زعبلاوى اليوم ؟!

وقلت :

نعم . . أين زعبلاوى ؟ علىّ أن أجد زعبلاوى مهما كلفنى البحث ؟ .

المشهد الرابع :

لماذا لا أقصد شيخ الحارة . .

ها هو شيخ الحارة فى دكانه الصغير يجلس إلى مكتبه مرتديا جاكتة فوق جلباب مقلم .

سألت شيخ الحارة :

إنى فى حاجة إلى الشيخ زعبلاوى .

قال شيخ الحارة .

على أى حال حىٌّ لم يمت ، ولكن لا مسكن له ، وهذا هو « الخازوق » ربما صادفته وأنت خارج من هنا على غير ميعاد ، وربما قضيت الأيام والشهور بحثاً عنه دون جدوى .

وقلت لشيخ الحارة :

حتى أنت لا تستطيع أن تجده !

قال شيخ الحارة .

حتى أنا إنه رجل يحير العقول ، ولكن احمد ربنا على أنه مازال حيًا . الظاهر أن حالتك شديدة .

قلت : جدا

قال : كان الله فى عونك ، ولكن لمَ لا تستعين بالعقل ؟ خذ هذه الخريطة الشاملة للحى بحواريه وأزقته وميادينه . هذه مساكن وهنا حى العطارين وحىّ النحاسين وخان الخليلى ، والقسم والمطافىء . خذ بالك من المقاهى وحلقات الذكر والمساجد والزوايا والباب الأخضر ، فقد يندس بين الشحاذين فلا يميز منهم أنا فى الواقع لم أره منذ سنوات ، وشغلتنى عنه شواغل الدنيا ، وقد أعادنى سؤالك عنه إلى أجمل عهود الشباب .

المشهد الخامس :

قلت : علىّ أن أجد زعبلاوى . أين أجد زعبلاوى ؟ .

قال لى كواء بلدى .

اذهب إلى حسين الخطّاط بأم الغلام فإنه كان صديقه .

*

ذهبت إلى أم الغلام .

وجدت عم حسنين يعمل فى دكان ضيق عميق الطول ، ملىء باللوحات وحقاق الألوان ، تنبعث من أركانه رائحة غريبة هى خليط من رائحة الغراء والعطر . كان عم حسنين متربّعاً فوق فروة أمام لوحة مسنودة إلى الجدار نقش فى وسطها باللون الفضى اسم الجلالة ، وكان مكبًا على زخرفة الحروف بعناية تستحق الاحترام .

قال لى فى لطف بلدى :

ــ نعم

قلت : أنا ابن المرحوم الشيخ على التطاوى ، قيل لى إن الشيخ زعبلاوى صديقك ، وأنا أبحث عنه .

قال : زعبلاوى ! يا سبحان الله !

قلت : هو صديقك . . أليس كذلك ؟

قال : كان ياما كان . . الرجل اللغز ، يقبل عليك حتى يظنوه قريبك ، ويختفى فكأنه ما كان ، لكن لا لوم على الأولياء . لازمنى عهدا حتى خلت أنى أرسمه فيما أرسم . . ولكن أين هو اليوم ؟ .

قلت : لعله مازال حيًا .

قال : هو حى بلا ريب ، وكان له ذوق لا يعلى عليه ، وبفضله صنعت أجمل لوحاتى .

قلت : يعلم الله أننى فى مسيس الحاجة إليه ؛ وأنت أدرى بالمتاعب التى يُقصد من أجلها .

قال : نعم . . نعم . شفاك الله . والحق أنه رجل كما يقال وأكثر ، وفى وجهه جمال لا يمكن أن ينسى . ولكن أين هو ؟ .

قلت : نعم . أين هو . . أين زعبلاوى .

المشهد السادس :

ومضيت أشرق فى الحى وأغرب سائلا عنه من آنس فيه طول عمر وخبرة حتى أخبرنى بياع ترمس أنه قابله فى بيت الشيخ جاد الملحن المعروف .

ذهبت إلى بيت الموسيقار فى التمبكشية .

وجدت الشيخ جاد فى حجرة بلدية أنيقة ، تتردد فى جنباتها أنفاس التاريخ .

كان يجلس على كنبة وعوده الشهير منطرح إلى جانبه ، منطوٍ على أجمل أنغام عصرنا .

قلت : ياشيخ جاد ، أنا من عشاق فنك ، طالما طربت له من أفواه المطربات والمطربين .

قال [فى سرور] .

تشكر .

قلت : [فى حياء] .

لا مؤاخذة على إزعاجك . قيل لى إن زعبلاوى صديقك وأنا فى أشد الحاجة إليه .

قال : زعبلاوى ! أنت فى حاجة إليه ؟ الله معك . ترى أين أنت يا زعبلاوى ؟

قلت : ألا يزورك ؟ .

قال : زارنى منذ مدة . قد يحضر الآن ، وقد لا أراه حتى الموت .

قلت : لِمَ كان كذلك ؟

قال : [وهو يتناول العود] :

هكذا الأولياء ، وإلا ما كانوا أولياء .

قلت : ويتعذب عذابى من يريدهم .

قال : هذا العذاب من ضمن العلاج .

*

قلت : [هامسا] .

إذن ضاعت زيارتى سدى ؟

قال : [وهو يتابع تقاسيمه على العود] : الله يسامحك ! . أيقال هذا عن زيارة عرفتنى بك وعرفتك بى ؟ .

قلت : [معتذراً] :

لا تؤاخذنى . أخرجنى شعور الخيبة عن حدود الأدب .

قال : لا تستسلم للخيبة . هذا الرجل العجيب يتعب كل من يريده . كان أمره سهلاً فى الزمان القديم عندما كان يقيم فى مكان معروف ، اليوم الدينا تغيرت ، وبعد أن كان يتمتع بمكانة لا يحظى بها الحكام بات البوليس يطارده بتهمة الدجل ، فلم يعد الوصول إليه بالشىء اليسير . ولكن اصبر وثق أنك ستصل .

الشيخ جاد يغنى :

أدر ذكرى من أهوى ولو بملامى فإن أحاديث الحبيب مدامى .

ثم قال :

لحنت هذه القصيدة فى ليلة واحدة ، وأذكر أنها كانت ليلة عيد الفطر ، وكان هو ضيفى طوالها ، وهو الذى اختار لى القصيدة ، وكان يجلس حينا بمجلسك هذا وحينا يلاعب أولادى كأنه أحدهم ، وكلما غلبنى الفتور أو استعصى علىّ الإلهام لكمنى مداعباً فى صدرى وضاحكنى فيجيش قلبى بالنغم وأواصل العمل حتى اكتمل لى أجمل لحن صنعته .

قلت : إنه الطرب !

قال : هو الطرب نفسه ، وصوته عند الكلام جميل جدا ، ما إن تسمعه حتى ترغب فى الغناء ، وتهيج أريحيّة الخلق فى صدرك .

قلت : وكيف يشفى من المتاعب التى يعجز عنها البشر ؟ .

قال : هذا سره . ولعلك تظفر به عند اللقاء . سمعت أنه يتردد هذه الأيام على الحاج ونَسْ الدمنهورى . ألا تعرفه ؟ .

قلت : كلا .

قال : هو من الوارثين ويزور القاهرة من حين لآخر فينزل فى فندق ما ، ولكنه يسهر كل ليلة فى حانة النجمة بشارع الألفى .

المشهد السابع :

وإلى حانة النجمة انطلقت ليلا .

هنا رأيت رجلا يجلس إلى مائدة وحيدا وأمامه فوق المائدة زجاجة فارغة إلى ثلثها ، وأخرى فارغة تماما . وعدا ذلك لا يوجد شىء من مزة أو طعام فأيقنت أننى حيال سكير خطير .

*

قلت : مساء الخير ياسيد ونس

قال : تفضل بالجلوس أولا ، واسكر ثانيا . ولا كلمة حتى تفعل ما قلت .

ـ أرجو أن تسمح لى بسؤال واحد .

قال : فى مجلس كمجلسى هذا لا أسمح بأن يتصل بينى وبين أحد كلام إن لم يكن سكران مثلى ، وإلا خلا المجلس من اللياقة وتعذر فيه التفاهم .

قلت : أنا لا أشرب ياسيد ونس .

قال : هذا شأنك ، وهذا شرطى .

قلت : [بعد أن شربت الكأس الأولى] .

إنه لشديد ، وأظن آن لى أن أسألك عن . . .

قال : لن أصغى لك حتى تسكر .

*

يقول حسن :

شربت الكأس الثانية ففقدت إرادتى ، وبعد الكأس الثالثة فقدت ذاكرتى ، وبعد الكأس الرابعة اختفى المستقبل . ومر وقت لم أدره حتى مال رأسى إلى مسند الكرسى وغبت فى نوم عميق .

المشهد الثامن :

الحلم :

أثناء نومى حلمت حلماً جميلاً لم أحلم بمثله من قبل .

حلمت بأننى فى حديقة لا حدود لها تنتشر فى جنباتها الأشجار بوفرة سخية فلا ترى السماء إلا كالكواكب خلل أغصانها المتعانقة ، ويكتنفها جو كالغروب أو كالغيم .

وكنت مستلقياً فوق هضبة من الياسمين المتساقط كالرذاذ ، ورشاش نافورة صاف ينهل على رأسى وجبينى دون انقطاع ، وكنت فى غاية من الارتياح والطرب والهناء وجوقة من التغريد والزقزقة تعزف فى أذنى ، وثمة توافق عجيب بينى وبين نفسى ، وبيننا وبين الدنيا ، فكل شىء حيث ينبغى أن يكون بلا تنافر أو إساءة أو شذوذ ، وليس فى الدنيا كلها داع واحد للكلام أو الحركة . ونشوة طرب يضج بها الكون .

المشهد التاسع :

قال ونس :

ــ نمت نوما عميقا لاشك أنك « جائع نوم »

قلت :

ــ رأسى مبتل

قال :

ــ نعم . حاول صاحبى أن ينبهك .

قال :

ــ أرآنى أحد على هذه الحال ؟

قال :

لا تغتم . إنه رجلٌ طيب . ألم تسمع عن الشيخ زعبلاوى ؟

قلت : [هاتفاً] :

ــ زعبلاوى ؟

قال :

ــ نعم . مالك ؟

قلت :

ــ اين هو ؟

قال :

ــ لا أدرى أين هو الآن . كان هنا ثم ذهب .

قلت : [بيأس] :

ــ ما جئتك إلا لألقاه . ساعدنى على اللحاق به أو أرسل أحدا فى طلبه .

قال :

ــ لم أكن أدرى أنك مصاب . آسف جدا .

قلت :

ــ لم تدعنى أتكلم .

قال :

ــ ياخسارة ! كان يجلس على هذا الكرسى إلى جانبك ، وكان يتغزل طيلة الوقت بعقد من الياسمين حول عنقه أهداه إليه أحد المحبين ، ثم عطف عليك فراح يبلل رأسك بالماء لعلك تفيق.

قلت :

ــ هل يقابلك كل ليلة ؟

قال :

ــ كان معى الليلة وليلة أمس وأول أمس ، ولم أكن رأيته منذ شهر .

قلت :

ــ لعله يأتى غدا !

قال :

ــ لعله

قلت :

ــ أنا على استعداد لأعطيه ما يريد من نقود .

قال :

ــ العجيب أنه لا تغريه المغريات ، ولكنه سيشفيك إذا قابلته .

قلت :

ــ بلا مقابل ؟

قال :

بمجرد أن يشعر أنك تحبه

المشهد الأخير :

غادرت الحانة وأنا أترنح ، وعند كل منعطف ناديت : يازعبلاوى . . لعل وعسى ، ولكن لم يفدنى النداء ؛ ولفت إلىّ غلمان السبيل فتطلعوا نحوى بأعين هازئة ، حتى لُذْت بأول عربة صادفتنى .

ساهرت وَنَس الدمنهورى الليلة الثالثة حتى الفجر ولكن الشيخ لم يحضر ،

*

علىَّ أن أنتظر وأن أروض نفس على الصبر وحسبى أنى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأكدت من وجود زعبلاوى ، بل ومن عَطْفِه علىّ ، مما يبشر باستعداده لمداواتى إذا تم اللقاء

*

كم من متعبين فى هذه الحياة لا يعرفونه أو يعتبرونه خرافة من الخرافات ، فلم أعذب النفس به على هذا النحو ؟ .

ما أن تلح علىّ الآلام حتى أعود إلى التفكير فى زعبلاوى وأنا أتساءل :

متى أفوز باللقاء ؟

فالحق أننى اقتنعت تماما بأن علىّ أن أجد زعبلاوى .

نعم علىّ أن أجد زعبلاوى .

[تقاسيم العود وصوت الشيخ جاد يردد : أدر ذكرى من أهوى . . . .] .

القاهرة : توفيق حنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكان ضيق للقلب

فاروق شوشه

نهضتْ من نومِها ،
واكتست وجهاً جديداً للصّباح
ها هو الوجهُ المراوغ
ينتقى أغلى المساحيقِ ،
وأبهى الأقنعة
علّهُ ـ قبْلَ طقوسِ الذّبْحِ ـ
يستدنى رجاءً ضارعاً منكَ
وتصديقاً لما يحدثُ ،
فالعبءُ ثقيل !
إنها تعرفُ ما تصْنعُ ،
ما سوف تقول
فلَديْها ألفُ عذرٍ يقتلُ الوعد ،
وألفٌ من أعاصيرِ الفُصول
سوف لا يستغرقُ الأمرُ سوى لفظةِ « لا »
وهى تهوى مثْلَ سكّينٍ يجول
وهى لن تفتح باباً للحكايا ، والفُضول
حسبُها أن ردّدَتْ « لا »
وانتهى الوقتُ المُتاحْ
فلماذا وقفةُ العاتبِ يا قلبى .

وإطراقُ الذهول
ولماذا لم تزل تسألُ . .
والعمرُ قصيرٌ ، وبخيل !

وانطوى يومٌ جديد
لم تمتْ !
مازلت حيّاً ، يَتَعَايَى
آهِ لو جرّبتَ أن تُغمد فى الصدرِ البقايا
لا سترحْت ـ
ولعُدتَ الآنَ من وهمٍ تصبّاك إلى الدنيا البعيدة
والمدى المفتوحِ فى وجهه النهار ـ
لمكانٍ ضيّق القلبْ ،
وحزنٍ جارفِ المدِّ
وظلٍ يحتويكْ
عُدْ إلى الكهف الذى يُعتمُ فيكْ
واسكن الظلمةَ ،
والوحشةَ ،
والصمتَ البليدْ
واستعدْ وحْدَكَ تاريخاً من القهر البعيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنَّها نفْسُكَ ،
فاسكُنْها ،
ولا تبحث لميراثك فيها عن شريك !

عبثاً يُنسيك « لا » وجهُ نَعْم
عبثاً تنهضُ من كبوةِ حلمٍ لم يطُلْ
حين داستْهُ الخيولُ الراكضة
وتلاشى فى سحابات الغبار
إنه الجرحُ الذى يُبعد فى الغوْرِ ويمتدُّ
ولا يدرى أحدْ
فتماسكْ
واتَّئدْ فى خُطواتكْ .
واحتملْ وقْع الذى يأتى من العمر ، ويمضى
دون أن تحفل فيه بانتظارْ

ها هو الوجهُ الذى أدمنْتَ ،
مبسوطٌ على الدُّنيا
فلا مهْربَ منه ، أو فرار .
ها هو الليلُ الذى واجهْتَ ،
أخدودٌ عميقُ الجبِّ ، من غير قرارْ
ها هو الحلمُ الذى طاردْتَ
تاريخٌ مدمّى ، وانكسارْ
فَتعلَّمْ
لا يَزِغْ خطْوُكَ فى الوجهِ المراوغْ
واغتسلْ —
هذا هو الضوءُ ،
وفى الأفقِ يتابيعُ نهار !

القاهرة : فاروق شوشة

ARCHIVE
http://Archive.Beta.Sakhrit.com

القـــصـــيدة .. والغـــزال

حســـــن توفيق

ليلٌ . . وطفلٌ ساهرُ
جاءا معاً يتجاذبان الروح من إغفاءةٍ نعمتْ بها بعد العناء
وتدافعَا فى عالمى . . والصمت فيه مُسامرُ
يستعجلان الروح حتى تنجب اللغةُ الخفيةُ كائناتٍ تقهر الصمتَ المسامر بالغناء

*

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتكشف اللغة الخفية عن غزالٍ يصعد التل الذى يكسوه بدرٌ ناعسٌ بندى الضياء
هذا الغزال النافرُ
أنفاسه نغماتُ ناى رفرفتْ بطيوفها البيضاء فى صفو الفضاء
وتشكلتْ صورا منورة على طول المدى يهفو إليها الشاعرُ
وأنا هنا فى عالمى ودمى حنينٌ صابرُ
والقلب مختلج كصدر البحر إن عصفَ الشتاء
أدنو فتنأى حلوة بدلالها . . ليشدنى شوق خفىّ آسرُ
والوجه يبقى مائلا ببهائه فى ليل أحلامى على أمل اللقاء

*

فى وحشة الصحراء أنيابٌ مسنّنة تتوق إلى بحارٍ من دماء
والشوك فى كل الزوايا
والأفق إعصارٌ من البارود يقتنص المباهج والوساوس والضحايا

والتل يفضحه الضياء
فاهرب بحسنك ياغزال
اهرب بحسنك ياغزال

*

ياساحرَ العينين حاذرْ وانتبهْ . . قلبى معك
المسك فى دمك الرهيف وأنت فى روحى كإشراق المنى . . ما أروعك !
ها أنتَ فوق التل تصعد ثم ترنو فى دلال
والحسن يبحث عن قناع موحش كى يحتمى من نظرة الوحش السفيه
وأنا هنا فى عالمى لا حولَ لى كى أفتديه
فالصائدون تسابقوا بدهائهم وتأهبوا كى يأسروا هذا الجمال
انظرْ . . فإن يمامتين شجيتين تغنّتا . . فتأهبت كل الشراك
اهربْ بحسنك قبل أن تلتفَّ حولك إذ تراك

*

الليل راح . . وما استراح القلب . . حيث الشوك فى كل الزوايا مُشرعُ
والطفل راح . . وفى العيون سحابةٌ تتجمعُ
والنور . . نور الصبح لاحْ .
لكنَّ قلبى . . ما استراح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدوحة:حسن توفيق

الخـــيزران والـــبلـــوط

ترجمة : نصـــــار عبد الله

تكتمل دلالة هذه القصيدة بالرجوع إلى الحكاية التى كتبها لافونتين والتى ستطلق عليها « الخيزران والبلوط»[1] ثم الصياغة التى صاغها الشاعر والكاتب المسرحى المعاصر جان انوى لنفس الحكاية والتى سنطلق عليها « الخيزران والبلوط »[2] وفيما يلى نقدم للقارىء نص الحكايتين اللتين صاغهما كل من لافونتين وجان انوى .
وقد اعتمدنا على النص الفرنسى مع الاستهداء بترجمة الأستاذ حلمى عزيز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« ١ » الخيزران والبلوط La Fontaine

قال البلوط للخيزران
لديك سبب وأى سبب يدعوك إلى لوم الطبيعة
فالعصفور الصغير بالنسبة لك . . حمل ثقيل
والرياح الشديدة الوهن
التى لا تكاد تجعّد صفحة الماء
تضطرك لخفض الرأس .
أما أنا ، فجبينى الشامخ كجبال القوقاز
لا يكتفى باعتراض أشعة الشمس
ولكنه أيضا يتحدى العاصفة
وهكذا . . كل ما هو عاصفة بالنسبة لك
ليس إلاّ نسيما عليلا بالنسبة لى
ولو أنك كنت قد شببت فى حمى الفروع

ألتى أستر بها ما حولى
لما كنت قد عانيت
إذ كنت سأحميك من العاصفة
لكنك تشب عادة على الشطئان الرطبة لمملكة الريح
إن الطبيعة ــ فيما يبدو لى ــ قد ظلمتك .
فأجاب الخيزران :

إن شفقتك تعبر عن قلب طيّب ، ومع هذا فلا تشغلنّ بالك بى
فالرياح أقل إفزاعا لى منك
لأننى أنحنى ، ولا أنكسر
وقد قاومت حتى الآن لطماتها القاسية
دون أن يتقوس ظهرى
وعلى أية حال . . فلننتظر ماذا يكون الختام
وبينما هو يقول هذه الكلمات
تمخض الأفق
عن أشد أبناء الشمال قسوة
مندفعا فى غضب
وقاوم البلوط ، أما الخيزران فقد انحنى
وضاعفت الرياح شدتها
فانخلعت من جذورها
تلك الشجرة التى كانت تلمس السماء بهامتها الشمّاء ،
وتجاور بجذورها مملكة الموت .

La Fantaine Fable 22 Livre I

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

Jean Anouilh

« ٢ » الخيزران والبلوط

قال البلوط للخيزران
: ــ ألم تسأم بعد من تكرار هذه الحكاية السخيفة ؟
إن مغزاها من ذلك النوع البغيض
الذى ما فتئ البشر الحمقى يرددونه لأطفالهم
انحنوا . . . انحنوا ، أليس هذا كثيرا علينا
. . . .
أن تمارس الانحناء الذى هو طبيعة البشر ؟

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

قال الخيزران :

الطقس لا ينبئ بخير

وإن كان لى أن أتكلم من موقعى كخيزران

فهذه الرياح التى تهز فروعك

يمكن أن تقدم لك البرهان على أننا

نحن الصغار ، الضعفاء جدا ، الهزالى جداً

الأذلاء جدا ، الحذرين جدا ،

الذين هم مهمومون دائما بحياتهم البسيطة ،

أكثر قدرة مع ذلك على مقاومة كل عواصف العالم ،

من بعض المغرورين الذين يتخيّلون أنفسهم ضخاما !

عند هذه الكلمات هبت الريح وزمجرت العاصفة

وإذا بالنفثة العميقة التى دمرت الغابات

كما فى المرة الأولى تماما

تلقى أرضاً بشجرة البلوط المزهوّة

وما إن مرت العاصفة ، حتى قال عود الخيزران

« وكان ما يزال منحنيا أمام ما تبقى من الريح)

: ــ ما قولك الآن ياصديقى ! (لم يكن مسموحا قط

من قبل استخدام هذا اللفظ)

ألم يحدث ما توقعته ؟

كان صوته يتم بوضوح عن الملل الذى ارتوى

أما نظرته الخابية فقد اشتعلت

وأما العملاق الذى كان جريحا يعانى من آلاف الميتات ،

وآلاف الآلام

فقد ابتسم ابتسامة عليلة جميلة

وقبل أن يموت قال وهو ينظر إلى عود الخيزران

ورغم هذا فمازلت بلوطا

Jean Anouilh Fables 5 .

« ٣ » « الخيزران والبلوط »

نصار عبد الله

الخيزران قال للبلّوط ساخرا

أهذه هامتك الشمّاء فى الثرى

أهذه هامتك الشماء

ألقت بها العواصف الهوجاء ؟
أمّا أنا فواقف أرنو إلى السماء
أنا الضئيل والنحيل
أنا الذى أميل حيث الريح بى تميل
ثم أعود واقفا كأنما لا شىء قد جرى
أنا الذى . . . .

ثم تمادى شامتا وساخرا :
ها أنتذا يجفّ منك الماء والدماء
من بعد خضرة تصير حطبا
وبعد نضرة تصير خشبا . .
حنيئذ أجابه البلوط غاضبا :
ياسيِّئ الأقوال والفعال يامبتذل المعانى
أنا أموت ميتة الرجال
ولا أعيش عيشة الغوانى

*

الخيزران لم يكفّ
وقال للبلوط : حينما تجفّ
هل علمت ما تصير ؟
نيراً على قفا الثيران أم على قفا الحمير ؟
نافذة تصير أم سرير
ينام فيه الطهر ربما
وربما يُرتكب الفجور !!
[ومال ميلتين . . . ثم عاد . . ثم مال
لكى يغيظ ذلك الذى
يقول إنه يموت كالرجال !]

*

وفجأة أرعدت السماء
واهتزّت الضفاف بالزلزال
ومادت الجبال
تدحرج البلوط داهسا بجذعه العيدان والسيقان
. . . الخيزران صار قطعة من العجين فى يد العجان

*

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانفجر النجيل ضاحكا :
إنى أنا المنتصر الوحيد فى النهاية
أنا الذى أهمله الكبار فى الحوار
ولم تُشر إليه أسطر الحكاية

سوهاج : نصار عبد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عتاب من سوالب الأسلاك

أحمد فضل شبلول

الكمبيوتر الصديقُ خاننى . .
لأننى . .
لم أُعطه الإشاره
ولم أبدِّل الحروفَ بالرَّقَمْ
ولم أبرمج المشاعرْ
وأُطلق الأوامر .

الكمبيوتر الذى علمته الحنانَ والأمانَ . .
خاننى . .
لأننى . .
أدخلتُ فى اللغات والشرائح الممغنطه
عواطفَ الأزهارِ ، والأشجارِ ، والأنهار
وقصة العيون ساعة السحر
ورقصة الأغصان والأحلام والمطر
أدخلتُ ، واسترجعت بسمةَ العيون
إشراقةَ الجبين
تكبيرةَ الحنين
نداء هذه البحار
الكمبيوتر المحار

علَّمْتُه الأسرار
فخاننى . .
ولم يعد يحار

الكمبيوتر الصديق . . !
آهٍ من الحديد عندما يخون
آهٍ من الأزرار واللوحات والأرقام !
أطلقتُ فى السوالب الهامده
شعاعَ كهرباء
علَّمتها البكاء
علمتها الفرح
رافقتها للبحر والرمال والضياء
جعلتها . . تصادق النوارس المهاجرة
وتطلق العنان للأفكار
تحب وقتما تريد
وتلعبْ
تكهربُ القلوبَ وقتما تشاء
وتذهبْ
تحاور العقول والأشياء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتغضبْ
منحتها السرور والغضب
منحتها اللعب
وهبتها الذكريات
سألتها تخزين كل لحظة تمر بالشموس والنفوس
تسجيل أجمل الثوانى
وأفخم المعانِ
وأروع الأغانى
فعاتبت . .
سوالبُ الأسلاكِ عاتبت . . !

تراجعت . . !
وأصبحتْ حديد !
« آهٍ من الحديد عندما يخون ! »
تبرمجتْ . .
تحوَّلتْ جليدا
ولم تزل تحنّ للقصدير والنحاس والمطّاط
ولم تزل
تحطّ من مشاعر الانسان
وتطرد النوارس المهاجره
عن شاطىء الأحلام .

الرياض : أحمد فضل شبلول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

لعـــزة ماتشـــتهيـــه

نـــاصر فرغـــلى

[وما كنت أدرى قبل عزّة ما البكا]
« كثيرٌ عزّة »

لـعـزّةَ

يرتفعُ الآنَ هذا النشيجُ
يمرُّ على زهرةِ القلبِ طائرُ قلبى ،
ويفجؤُها بالسؤالِ
فيفجؤه عبقٌ وأجيجُ !

لكمْ قلتُ أغلقُ نافذةً كنتُ فتَّحتُها فى سكوتى
فأُعلنْتُ فى شارعٍ غامضٍ ضاقَ بى ،
فى احتراقِ الأصابعِ بالماءِ ،
فى تعبى ،
فى قناديلَ ضوَّأها البرقُ
حينَ رآنىَ فى همهماتِ البيوتِ
لقد صارَ ياعزُّ للصمتِ ما بيننا لغةٌ وضجيجُ !

أقـــولُ :
لعزَّةَ ما تشتهيهِ
لها قلبُها ، وكتابى
لها ألفُ نجمٍ تَجَمَّعُ فى قمرٍ كاملٍ ، وغيابى
لها أنْ يكونَ إليها انتسابى ،
وكلُّ سحابى لها
لتسيرَ إلى مقلتَيْها المروجُ !

لعزّةَ ما تشتهيهِ ، ولى
جنَّةُ الله ،
نارُ القصائدِ ،
لى من بلادىَ تيهى
لقد عمَّدتْنى المسافةُ والشعرُ فى الغرباءِ
احترفتُ الحنينَ ،
احترقتُ سنينَ ،
وذابتْ على جمرةِ اليدِ كلُّ الخرائطِ
ثمّ علّتْها الثلوجُ !

ومالتْ على النبعِ صبَّارةٌ واستقامتْ ،
فقمتُ ،
ظننتُ بأنّى غفرتُ لنفسى من العشقِ ما قد مضى ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واسترحتُ ،
نسيتُ على شرفةِ الحُلمِ أنّىَ لم أنسَ شيئاً !
وأدركنى الحبُّ فى لحظةٍ
شيَّدَتْ نفسَها حولَ روحىَ فيها البروجُ !

وصحتُ :
ممالكُ قلبى مقابلَ هذا النخيلِ الذى قد تنامَى
وطاولَ نافذتى فاعتصمتُ بصمتىَ عاماً فعاماً
وأعلنْتُ ــ مُنتصراً ــ إنهزامى
لِتُطفىء هذا الشذى وتناما !

وراقبتُ جنَّةَ ربِّ التى وَعدَ العاشقينَ
تمرُّ على برزخٍ للطفولةِ ،
ثُمَّ يمسُّ مَساها ملاكٌ
فماستْ عراجينُ أثقلها بالنُّضارِ النضوجُ !

وساءلتُ عِذْقاً توجَّعَ بالتَّمرِ
من أينَ فى كلِّ هذا البهاءِ
سيبدا العروجُ ؟

وأذكـــرُ
كنتُ جميلاً ، فأودعنى سرَّهُ ،
فاستجبتُ ،
أجبتُ نداءَ الفصولِ ،
وجبْتُ الصحارى ،
بذرتُ بِذارِى ،
استضأتُ بنارى على منحنى الانتظارِ ،
ونمتُ جوارى
لأونسَ وحدةَ رُوحى الجريحِ
فلا تستريحى
أيا امرأةَ النخلِ
لا تستريحى

فليلتُنا هذهِ ليلةٌ
تتشابكُ فيها الطقوسُ ،
ويُمْسَكُ فيها بكلتا اليدينِ الأريجُ !

تُراكِ تأخّرتِ ؟
هــذا أنا ،
مُمسكاً خيطَ فجرٍ قديمٍ ، وخيطاً من الكلماتِ ،
أُعِدُّ لعَزَّةَ فستانَ عُرسٍ على مغزلِ القلبِ فى الصبحِ ،
ثمَّ أمزِّقُهُ فى المساءِ ،
وأنتِ تأخرتِ مليونَ عامٍ ،
وأتعبنى بالسؤالِ متى سيتمُّ النسيجُ ؟

وهأنتِ جئتِ ،
تُقَبِّلَ منى إذنْ .
فكيفَ استطالتْ على ضفَّةِ النهرِ هُجْنٌ وعوجُ ؟
وجئتِ ، أما جئتِ ؟ جئتِ !
إذنْ قد تُقُبِّلَ منّى .
فما للديارِ خلتْ ، وامتلتْ بالحداءِ الحدوجُ ؟!

وناديتُ صحبىَ من غيبةٍ تصطفيهمْ ، فجاءوا
لكلٍّ بلادٌ تنامُ على صدرهِ ،
ولكلِّ جراحٌ تسمَّوا بأسمائِها :
فليلَى ونُبنى ، وبثنَّ ، رقيَّةُ
نِعْمَ الجراحُ ، ونعمَ النساءُ
وأخرجَ كلَّ دماً من سلالِ القصائد
عتَّقَه بالحنين ،
وأفرغَه فى كؤوسِ أخيه ،
احتفلْنا بما يُشبهُ الطعنَ فينا ،
انتشيْنا ،
وأخرجَ كلٌّ دماً آخَراً
فاصطلينا ،
وأخرجَ كلٌّ دماً آخِراً ،
فانتهينا
لقد تمَّ للدمِّ طقسُ الطقوسِ
وسالَ بكلِّ فصائِلهِ فى الكؤوسِ
تقدَّسَ هذا المزيجُ !

تقدَّسَ نايٌ أتتْه براهينُ عَزَّةَ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى لحظةٍ
همَّ فيها وهمَّتْ صنوجُ !
تقدَّسَ صدرٌ تكدَّسَ فيه الحنينُ
إلى أنْ تفجَّرَ صفصافةً ، أوْ قصائدَ
تجْرَحُ حتَّى الهواءَ ، وليستْ تروجُ !
تقدَّسْتِ يا دارَ عزَّةَ حين بُنيتِ ،
وحين بَقِيتِ ،
وحين انتظرتِ مجيئى
لأهتفَ فى الصحبِ « عوجوا » !
تقدَّستِ فى مطلعِ الشِّعرِ
بالرغم من كل من حَرَّفُوكِ ،
ومَنْ حرَقوكِ ،
ومن حرَّكوكِ من القلبِ عبْرَ الحقائبِ
حتى تجاوزكِ الأطلسُى ،
وزوَّجَكِ المستحيلَ خليجُ !

تقدَّستِ
كيفَ حَمَتْكِ الظباءُ الجميلةُ
إذْ ما تبقَّى من الفارسِ المتسربلِ
إلاّ السروجُ ؟
تقدَّستِ يا عزُّ حينَ تُحِبِّينَ ،
كم شبَّهوكِ بأحلامهم ، فاشتبهتِ عليهم ،
وشابهتِ حُلمَ الصحارىٰ ،
وما اشتبهَ الرملُ فيكِ
ـ وأنتِ التى لا تكونُ سوى نفسها ـ
بل توجَّدَ فى صمتِه كى تجيئى ،
وها أنت جئتِ ،
إذنْ قَد تُقُبِّلَ منِّى ،
وآنَ ليُدخَلَ فى الياسمينِ الخروجُ ! .

الاسكندرية : ناصر فرغل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هُـتَـافٌ أخـيـر

مصطفى العايـــدى

تَجَرَّعتُ كأسَ القَصِيدِ الْمُعَادْ
وأطلقتُ خيلى ،
بليلى
لعلِّ أُنَازِلُ زَحْفَ الرَّمادْ
أنادى القبيلةَ ذاتَ العِمادْ
[مِكَرٌّ . . مفرٌّ . .
كجلمودِ صخرٍ . .]
مِفَرٌّ . . مفرٌّ . .
دعانى لأمرٍ
فلا الليلُ ولىٌّ
ولا الصبحُ عادْ

تناثرتُ فوقَ جفونِ البلادْ
أرشّ الحنَايا بماءِ الودادْ
فقالتْ : ترفّقْ !
أنا الآنَ بعْضٌ رَمِيمٌ
وبعضٌ تَغشَّاهُ ظلُّ السَّوادْ

تبوحُ لِمَنْ . . ؟
وكيفَ تُخَاطبُ . . هذَا الجمادَ
الذى فى الحشا مُسْتِكنّ
تَبُوحُ لَمِنْ . . ؟

تَجَرَّعتُ كَأسَ الحديثِ المُعَادْ
وصَوَّبتُ قلبى إليْهَا
ونادتْ حروفى عَلَيها
هى الآنَ تعدو وراءَ النَّهارْ
هى الآن تعدو أَمَامَ النّهارْ
وقلبُ الفتى تحتَ سيفِ التَّتارْ
نَظَرْتُ . .
هى الآن تُشعلُ خيَط الكلامْ
هى الآنَ تهبطُ بَين السّنَا
والظَّلامْ
فمنْ يشتهى للهوى مَوْعِدَا . .
ويملك صكَّ الغرامْ ؟
ومن يبتغى سُلَّما . .
لينظر بدرَ التمَامْ ؟
أخيراً قَعَدتُ . .
كأنى بُلِيتُ بسبع شِدَادْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وَسَبْعٍ تقَاسَمَنَّ مِلحَ الغِيابْ
أخيراً نَهَضْتُ . .
وأوصدتُ للحلمِ باباً . . فَباباً . .
وعدتُ غَرِيبًا . .
فقد نَازَعتنى رقابُ العِبادَ
وطَافَتْ بِوَجهِى رياحُ العذابْ

هَتَفْتُ بغَيْرِ هوىً . .
فَفَوْقَ الحناجِرِ أَقْفالُهَا
ودونَ المفازةِ حُرّاسُهَا :
لكِ المجُد ياشهرَ زادْ
لَكِ الخُلْدُ يافتنتى . .
وَلى ما ثوى فى ضريحِ الْفؤادْ

أبو ظبى : مصطفى العبادى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بكائية الرمق الأخير

حسين سيد أحمد

[١]

كان يعرفُ انتكاسَ حُلْمِه
منذُ أَنْ بدأ
وأن خطوةَ انتهى
للموضعِ الخطأ
وأنه صبأ
لكنه ..... بدأ
واختار أن يموتَ مرتينْ
حينما اشتعل
وحينما انطفأ

[٢]

أراد أن يقولَ : إنّها ... وطن
وإن لحظةَ انتفاض كفِّها
فى كفّه ... زمن
وإن حلُمَه الكبير
أن يعيشَ عمره
يعانقُ الوثن
ويخلطُ الحُبُورَ بالشجن
والليلَ بالحَزَنْ
لكنه ... دُفن

[٣]

أماطَ عن وجودِهِ اللِّثام
وفَجَّر الدماءَ والبُكاءَ والكلام
وكان ... إن نأت
يَعَضُه الظلام
وإن دَنَتْ
يخافُ الابتسام
وحينما استطال نحو شمسِها
تنكرتْ لَه
فمات فى سلام

[٤]

حبيبُها ... قَتِيلُها
وقلبُها حَجَر
فى قلبِهِ المُدَى
فى عينها الشرَرْ
أراد منقذوه بعثَه
لكنها .. أَبَت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانساب صوتُها :
لأننى أُحبُّه
وأعشقُ ابتسامَ عمرِه
دعوه يحتضر

[٥]

جاء فى كتابِ وصفها
ـ أنَّها مَلَكْ
وأنَّها تضىء ليلَه الحَلَكْ
وأن من يحبُّها
يدورُ فى الفَلك
فحاول الفِرارَ من فرارِه
ونامَ بين جَفْنِها
فى دربها . . سَلَك
وفجأةً . . . هَلَك

[٦]

غريبةٌ . . قصائدُ الغَزَل
تجيئُه
بالوهم والخيالِ والخَبَل
وتعلنُ انتحارَ عمرِه
فى لحظةِ الدَجَل
وتكرهُ الكَسَل
لأنها من عَيْنِ عيْنِهِ
تعيشُ إنْ يعش
تموتُ . . . إنْ قُتِل

الأقصر : حسين سيد أحمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من سِفْرِ الخروج

ناجى عبد اللطيف

أخرجُ من أرضكِ . .
ظالمةٌ أنتِ لنفسكِ . .
ظالمةٌ أنتِ لحسنكِ .
ظالمة للأرض . . . وللقيد . .
وللخبز المتناثر فوق قمامتك اليوميّه .
ظالمة . . أنت . . ،
أنوثتكِ الثكلى . . ،
وعناوين صحافتك الحرة .
آهٍ مُـرَّهْ . !
من يدفع عن دمكِ الآنَ أريجَ النفط . . ،
وأسعار الدولار . . ،
وأسرار اللعبه .
آهٍ مُرَّة
سيّدتى . . ضاع زمانك . . ،
من بين أصابعك الهشةِ . . ،
تسَّاقطُ كل تواريخ القلبِ . .
على أرصفة الميناء الباردة الصلبهْ .
آوٍ مُرّه . !

الآنَ أغادرُ تاريخكَ . .
أعلمُ أن توايخَ العشاقِ مواسمُ حبٍ . . وقصائد .
أعلمُ أنكِ تفترشين القلب بنادق . .
أعلمُ أن العشقَ قدرْ .
والموت قدر .
وخروجى من بين أصابعك . .
الآن . . أللمُ بعض حكايات الليلِ . .
وتذكارات الموتِ . .
وأرغفة الصبرِ . .
رذاذ المطرِ الرّاقد فوق نوافذك التعبَى
أحرفك البالية . .
البحرُ . . وبعضٌ من سُفن غرقَى .
آهٍ غرقى .
وضنٌ . . بين أصابعه الآن دمى .
وأنا . .
بعض حكايا تخرج من أرضكِ . . ،
عالقة بالقلب تواريخاً . .
وقصائد شعر .

الاسكندرية : ناجى عبد اللطيف

إدراكٌ تـأخرَ بعــضَ الشيء

فؤاد سليمان مغنَّم

هكذا .....
صوَّبَ القلبُ أوجاعه كلّها
ما الذى يتبقَّى لنا
غير حلمين منطفئين
وحزنٍ تمدَّد فى الطرقات
يحزُّ المسافة بينى وبين النوافذ
والقمرِ المحتبسْ

*

يدرأ القلبُ هيأته
أم يقيم بها . . . ؟
فى طفولته
خبّأ الوردَ وانحاز للحلم
كان يضمّخ ــ قبل الأحاديث ــ
ألفاظه بالنّدَى
ويطيل الإقامة بين القصائد
حتى استبدَّ
ودارت به الأرضُ دورتها
وهْو منكفئٌ فوق أحلامه
يتشظّى نجوماً
ووروداً
وشعراً
فما شبَّ عن طوقه واكتهلْتُ أنا
ما يزال يخطّ على الرَّمل نهراً
ويأسره
مستريباً يحاوره بالإفاقة
حتى انتهى فى حبال الظمأ

*

اقترحْ ما تشاءْ
[إنَّ بى صَمَما]
سوف أبرى الأصابعَ وحدىَ
من أوَّل النهر حتى نهايته
وأسمِّى البلادَ غزالاً أطارده
ثمَّ أستلُّ وجهاً أغيِّره فى المساءات
لستُ الذى كنتهُ
هل تصاحبنى الآن ياصاحبى . . ؟
[أنت متهمٌ بالعذوبة مازلت]
والطرقات على أعينى تتقاطع
والوقتُ منفلتٌ من أصابعنا فى الشقوقْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل تصاحبنى الآن يا صاحبى . . ؟
أترى تدرأُ الآن عنك الهزائم

هل يا ترى
تدرك الآن حجمْ الخطأ . . ؟

منيا القمح . الشرقية : فؤاد سليمان مغنْم

ص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

شـــــــوارع الضيـــــــاع

بشير عبد الفتاح عياد

ومرَّ كالخيالِ في الدجى
ـ وكنتُ واقفاً أراوغُ الظلامْ ـ
رأيتُهُ مُسافراً بلا وداعْ
عَدْتُ خلفَ طيفهِ البعيدِ لمْ أصِلْ
بكيتُ ما بكيتُ ما سَمِعْ
وصِحْتُ في خطاهُ بالرجوعِ ما رجعْ
أقولُ : يا . . . أبي . . . . . .
أدورُ لليمينِ للشمالِ للجنوبِ للـ . . .
أذوبُ في فراغِ غربةِ المكانْ
وهوةُ الظلامِ شاسِعَهْ
أصيحُ . . يا طَريقُ
يا طريقُ
يا طريقْ
متى يكونُ مَوْعِدِي ؟
فَيَصْرُخُ السّرابُ في يَدِي :
شوارعُ الضَّياعِ واسِعَهْ

*

مدينةٌ
عَميقةُ الأسى ، حَزينةُ العُيُونْ
على جَبِيْنِهَا تزاوَجَ الظلامْ
وماتتَ النجومُ والشموعُ والشموس
أتوهُ في الأزِقّةِ الصغيرة
أضيعُ في الشَوارعِ الطويلة
أهادِنُ الرياحَ والجراحَ أنطوي مُسالماً
أغيبُ في مجاهلِ الصقيعْ
أنامُ عند غفوةِ المطرْ
فأسمعُ المدى يصيحُ
والرعودُ خفقةٌ فصرخةٌ
فثورةٌ فَزَوْبَعَهْ
أطالعُ السّحابَ باكياً
مَدينةٌ
عَميقةُ الأسى ، حَزينةُ العيونْ
أغيبُ في غيابها البعيدْ
وأنتَ يا أبي
تمرُّ كالخَيالِ في الدُجَى
فلا زمانَ
لا مكانَ
لا أمانَ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا صـــديقْ
أصيحُ : يا طريقُ
يا طريقُ
يا طريقُ
متى يكونُ وعدُنا ؟
فيصرخُ السؤالُ فى يدى :
شوارعُ الضياعِ واسعةْ

*

مضيتُ يا أبى
مضيتُ فى الشوارعِ الطويلةِ
الأزقةِ الصغيرةِ
مضيتُ فى الظلامِ والدروبُ قاسيهْ
أصيحُ فى الفراغِ : يا . . . أبى . . .
وأنتَ يا حبيبُ
لا تجيب !

مضيتُ كالغريب
أراكَ فى البعيدِ غائباً وغارباً
فكيفَ صِرْتَ غائباً ؟
وكيفَ صِرْتَ غارباً ؟
ووجْهُكَ الجميلُ ـ يا جميلُ ـ
كيفَ صَارَ شاحباً ؟

نهيمُ فى الدروبِ يا أبى
فيهجُرُ الفؤادُ مَوْضِعَهْ
ويفقدُ المكانُ مَوْقِعَهْ
نجوسُ فى الغيابِ صامتينْ
وتصبحُ الجراحُ مُفْزِعَهْ
أراكَ

كيفَ لا تَقُولُ لى مَتَى نَعُودْ ؟
إلى متى تَصُدُّنى ؟
إلى متى تَرُدُّنى ؟
إلى متى ؟
إلى متى ؟
أصيحُ : ياطريقُ يا طريقْ
مَسَاحَةُ الدموعِ شاسِعَهْ
فيصرخُ الحنينُ فى دمى :
شوارعُ الضياع واسعهْ

*

شوارعُ الضياع واسعه
والناسُ يَضحكون !
شوارعُ الجراحِ واسعهْ
والناسُ ! بالغريب يمزحونْ
الناسُ !
فى الضياعِ ضائعونْ
رأيتُ دمعتيكَ ليلة الوداع
وأنتَ تمسحُ الظلامَ عن عيونى
وترشقُ الورودَ فى جبينى
وحينما مضيتَ فى الزحامْ
بكيتُ ما بكيتُ لم تعدْ
والناسُ من بكائىَ الطويلِ ساخرونْ
الناسُ ساخرونْ !
وضِعْتُ منكَ يا أبى
وضاعَ مِنْكَ كلُّ شىءٍ
ضاعَ مِنْكَ كل شىء
ضاعَ كلُّ شىء

*

شوارعُ الضياعِ واسعة
وفى الظلامِ
تسرحُ الكلابُ
والذئابُ
والضِباعُ
جائعةْ
صغيرُك الصغيرُ يختبى بحفرةٍ
كَضفْدَعَه

كفر الدوار : بشير عبد الفتاح عيّاد

أغنـــية الوهـــم الدائـــــرية

أشرف أبو جليل

واهمٌ أنتَ . . ،
حين تخيَّلتَ أن النخيلَ . . ،
سينبتُ من قولك البكرِ . . ،
أن الصباحَ سيأتى . . ،
إذا عانق النهرُ حمحمةً خائفهْ
أنت فى المدنِ الزائفهْ
سترى ألف سيزيفَ . . ،
إن قفاهُ تعود حملَ الصخورِ . . ،

ـ بلا تعب ـ
أجهضَ النسوةَ الحاملات الصباح . . ،
وغطّى سواعدَه بصحيفته
إنه الآن يملكُ كلَّ صكوكِ النعاسِ . . ،
ويشربُ قهوتَه المسكرهْ

حين يأتى الصباحُ
يدندن لحناً عن الحبِّ . . ،
حين يجىء المساءُ
يدندن أغنيةً للتعبْ
[يا قصة الأمسِ
إن الشقا ينُسى]
يا رأسىَ المخبولْ
إنى أنا المقتولْ]
ثم يغرقُ فى نومه السرمدىِّ
ويشعلُ حرفَ قصيدتك المجهدهْ

*

واهمٌ أنت
حين تخيّلتَ
أن احْتراقَ القصائدِ . . ،
قد يَفْلقِ الأرضَ . . ،
تسرى بها من أغانيك ترنيمةٌ
لانطلاقكَ نحو مدائن شوقكَ
للفرحِ المستحمِّ وراء الضبابِ
لك الآن بحرُ العذابِ
فخلِّ الصنوبرَ فى مدن الوهمِ
يملأُ فى ناظريك المدى
صادِق الأرق/الثورة/الكاسَ/
دينوسَ/طِرْ
تحتويك بحارُ التوجعِ . . ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعرف كل المداراتِ . . ،
إن ارتحالك عربدةٌ
واشتعالَ القصائد أكذوبةٌ
والنخيلَ الذى قد أردت له الـ . . .

قد تهاوى مع الحلمِ
حين تخيلت أن النخيلَ
سينبت من قولك البكرِ
فى المدن الزائفهْ

الفيوم : أشرف أبو جليل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهـــــــــــلالى

محمود فتحى أبو مسلم

[فى وداع الرائد الدكتور/عبد الحميد يونس]

أَتيْتَ عَلَى شَجَرِ الحَرْفِ مُغْتَسلاً بالنَّقاءِ
شفيفَ التَّحرُّكِ نحو الكفورِ النُّجوع
يعانُقك الطُّهرُ فى الزَّقْزقاتِ
ويهوِى فراديسَ مشحونةً . . . بالأَمانى
مُضَفَّرةً بالْمزاهرِ ،
ضَوَّأْتَها بالبيارقِ ،
عَبْرَ دُخَانِ المباخرِ ،
أَجَجْتها بالخفوقِ
فموَّالُكَ المتوهِّجُ تنهيدةٌ
فى ارْتعاشِ القلوبِ ،
تُغَنى الصَّبابَةَ ، تُشْعل نَهْرَ الْعَذارى
تقاسيمَ بوحٍ ،
عَلَى الْمَشْربياتِ فى الغَسَقِ البدوىِّ
ورَجْعُ الرَّبابةِ تذْكَارُ جرحٍ
وفى قَسَماتِ الوجوهِ صلاةٌ . . .
وأُغْنيةٌ من ضلوع الرؤى . . . تَسْتدلُّ عليْكَ
لتزرعَ ــ من راحتيْكَ ــ صباحاً جديداً

يُقَاسمُكَ الإِحْتراقَ
وأَنْتَ تعيْدُ إلى الأَرْض سُمْرتَها ،
تَمْنحُ القادمينَ منِ اللَّيْلِ ،
والوافدينَ إلى النِّيل ،
والغائبين عن الوعْىِ ،
والخارجينَ عليْكَ ،
يديْكَ المُرَصَّعتينِ بطَمْى النَّشيدِ
فليس لنا فى المدينةِ
دَوَّارُ عِشْقٍ . . . سواكَ
نَبُثُّكَ ضعفاً ، وقلّةَ زادٍ . . .
فأَنْتَ الوجيبُ الهوى
فى بِلادٍ . . . مُعبَّأَةٍ بالحزانَى ،
تُغَنى شتاتَ البرارى ،
يبيعُ تواريخَهَا شُعراءُ الدواوين ،
والعائداتُ من الزَّبَدِ الغجرىِّ ،
إلى زمن لائذٍ بالتَّخلِّى ،

يجيئُون آباءَهم فى العشيَّاتِ
يَبْكونْ
يقولون : ليس لأنْعامِنا . . . من بقاءٍ
وليس لنا وَتَرٌ
فى حروفِ عروبتِنا الْمُنْتقاه

فدرْبُ الرَّبابةِ ،
تغلقُهُ الشُّهُبُ الإصْطناعيَّةُ . . السُّحبُ الْمُشْتراه

ليصبحَ معنى الغناءِ الخواء
أَظَنُّوا هلالَكَ يَهْجَعُ فى الْمَحْبسين ؟!
سطوراً مُنَمَّقةً بالسُّكون !
يُصَاحِبُ فى ظلِّها الَّيْلكىَّ . . . غيوماً
يُماشى سَماسرةَ اللُّغةِ الكاظمينَ
كلامَ الخُنُوعِ

فصدّقتُ رُؤْياكَ . . .
أَنَّ الهلالىَّ لا يعرفُ الإنْحناءَ
ولا يتسوَّلُ حرفاً . . . وسيفاً
هُوَ العاشقُ الأبدىُّ

لبوحِ السَّنابلِ ، لِلْقَمرِ العربىِّ
وللْمُبْصرينَ يُضىءُ شموعاً
ليسَّاقط الضوء بينَ الصَّحائفِ
موَّالَ عشقٍ
ينادى العشيرةَ من خِدْرها الرَّطْبِ
للصحْوِ ، للشدْوِ ، للْكِبْرياء
يزفُّ الندى للحقولِ ،
ليخْضَوضرَ الغُرْسُ فوق الشِّغافِ
زنابقَ حبٍّ
تُداعبُ حلماً قديماً
تُراودُ أُمْنيةً عانقتْكَ
ومُنْدفِعاً للسَّماءِ الرحيْبةِ تَمْضى
وحيداً إلى الشَّاطئِ الأَزَلىِّ
ومازال فى الْقَلبِ سرٌّ ،
وفى غَفْوةِ الهُدْبِ حلمٌ ،
سلامٌ عليْكَ . . .
سلامٌ عليْكَ . . .
سلامٌ علينَا .

القاهرة : محمود فتحى أبو مسلم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

بطـــاقـــة المـــــطر

مـــؤمن أحمـــد

بين انتظار الغيم والشوك المسافر فى العيون ، تجيئنى :
ضرباً من الحزن الكظيم ،
ورعشة التهويم فى جسد بلا ثمرٍ
يؤجِّج أفرُع الروح انفلاتاً من ربابتها
ضربٌ من التهويم . . لا يَخْضَرُّ حُلماً . . ، أو عروساً زُيِّنَتْ للقادم
المجهولِ
والأوجاعُ زينتها !

من للفتى . . ؟
من للفتى بعد ارتداد الجنِّ عن شطآنهِ . .
من يملأُ الفَمَ بالغمامِ ، ويحتمى بالورد فى قحط الشتاءْ ؟
للجنِّ أن يَبقَىٰ حصاةً فى الضلوع وللفتى أن يُلقىَ الألواح فى سوق
الدماءْ
[من ياتُرىٰ حَبَسَ البكاءْ . . ؟!]
من ياترى يجتثُّ شوكات/أساطيراً عوَتْ فى ساعديهِ ،
ودمدمتْ فى مفرقِ الشَّعر المبينْ . . ،
. . من للمَهَينْ ؟

يبقَى التساؤلُ ، فى مسائى ، ثاوياً . . ليست تجسِّدُه العيونُ
. . . خُطًى على القلب الجَبِينْ . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يحتلّنى جسدى . . ،
وجنٌّ يحتوى شوقى لرشف ضياء سيِّدةٍ تَخَصّب جمرُها
. . ياوَيْحَ أمنيةٍ هَوَتْ من هُوّةِ المنفى لهوّةِ الانتظارِ ،
وأخبَرتْ جهرِى بسرِّى . ،
أفصحَتْ عن بُغية « الحلاّج » ،
واسْتَعْدَتْ سكوتَ المؤمنينْ
. . . رُدِّى إلى القلب الجبينْ . .
ردّى إلى القلب الجبينَ وغرِّدى ألَمى إذا اشتدّ الزحامُ
على شبابيك « الحُسينْ » . .
طفرَتْ دموعُ الفتح فوق رصيف أوراق اليتامَىٰ ،
وانثنَتْ لُغةٌ تحدَّرَ نسلُها من لغوها دهراً . . ،
وأرهَقَها السكونْ . . !

بين انتظارِ الغيم والشوك المقيم يخبُّ حُزنُ المرسلين . .
بينى وبينك أُمّةٌ تهوى ، وتهوَىٰ ،
وارتقابٌ للذى أهوَىٰ . . ،
وكلّ صحائفى نبذَتْ نعيمَ الرَّوْحِ ، وانتبذَتْ قُرىٰ الجِنِّ اشتهاءَ للجنونْ !
كم مرّةٍ طالَعْتُ وجهَكِ بابْتساماتِ الجروحِ . . ،
وخالَجَتْ روحى غموضاتُ الملامح . . ،
والمدى لونُ اضطرابِكِ . . ،
والمساءاتُ اختلاجاتٌ تُنَظِّرُ للسكونْ . . !
فإلامَ أثقُبُ أرؤس الألوان ، بحّاثاً ، عن القوس المجنّحِ
فى اشتباك الأبيضِ السحرىِّ باللون الخؤونْ
هذى « الإلام » . . إلامَ تفترس العيونْ . .
أممٌ من الألوانِ . . تغتصبُ المسافةَ بين طفلٍ حالمٍ بالماء
والماءِ المضىء

يشتدُّ حُلمٌ بالوضوءِ ،
وفى المساء يشُدُّهُ رَمْلُ الإذاعاتِ ابتداءً بالتيمُّمِ ، وانتهاءً بالكُمُونْ . .
هى حيرةُ الكشف المباغتِ للتَّبَعْثُرِ فى مفازات الطيورْ . .
لونٌ : يُغرِّدُ فى الشمالْ
لونٌ : يزقزق فى الجنوبْ
لونٌ يحُطُّ ولا يطيرْ
. . لونٌ . . يغيبْ . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أيُّ الطيورِ يَشُدُّ لون الطَّمْيِ والحِنّاءِ للزغب المُغبَّرِ بالصفيرْ . . ؟!
. . . صُوغى من القلب المصير . . .
صوغى من القلب المصيرَ ، وغَرْبِلى لُغتى . .
يحتلنى رعدٌ بلون الطَّمْى ؛
فاغتسلى بحنّائى . . ، امنحينى خطوتى
. . بين اشتعال الغيْثِ والرّعد الكظيم أشُدُّ أشرعتى . . ،
وأعلن للمدى .
لون الجبينْ .

حلوان : مؤمن أحمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

تفاصيل سيناريو لم يتم

ياسر محمود اسماعيل

قال سأزرع قلبى فى جبلٍ . .
لمآ نودى من أقصى الوادى . .
ترك الحفل الطينىَّ . .
شجيرات التوت المتجهمةَ . .
طراوة لون العشب على أوتاد الفجرْ
. . . والملكة نامت فى الخدر تنادى الخصيان
[حُلُّوا اليوم أساور ذاتى]
كان البدء دخاناً فى البحرِ . .
فلا تجرؤ سفن الطفل بأن تتأمّل أركانهُ
دشّنها فى الرملِ . .
ونام على نبضات القبرِ يوشوش سكّانهُ
. . . طابور قرابين الملكة يسرى
[اللقطة لم تكتمل الآن ولا فى الزمن الآتى]
غُصَّ بطعم الحافلةِ . .
رصاصاتِ الصبحِ قبيل الإفطارِ . . .
سخونةِ ضلع الأمِّ
تباشيرِ الأمطارِ . .
ونَعلٍ يعلو عن أرضهم الصامتة رويداً
حتى يتضجّر صاحبه من غلظة حبل الإعدام
[بعض رتوش فوق الظل العاتى]
خيط بسمائك يتمدّدْ
والريحانة توشك أن تهمس لكَ :
موعدنا فوق الجبلِ . .
فلا تقطفنى إلاَّ . . . .
والنوتىُّ الجامح يتوعدْ : ــ
الغيم بَراحٌ فى صدأ البحرِ . .
فلا تقْربْنى إلاَّ . . . .
الملكة صرخت بأنوثتها السرطانيةِ : ــ
كـــلاَّ
[أطِّرْ بالوَهْجِىِّ سكون حياتى]
فُتح الشبّاك فحطت كِلمهْ . .
تلهث فوق الحافهْ . .
تتهجى فى الجرح زِفافه
قال سأخلع تلك الكوفيةَ . .
أحذية الخجل وأصدافه
[صرخ المخرج لا تفعل]

الزقازيق : ياسر محمود إسماعيل

البنت الغجرية .. والولد البدئى واخر تظليل فى الصورة !!

السعيد عبد الكريم

كان النيل كتوماً
الولد القابع للصُّور التذكاريةِ
يرقب هدأتهُ
والبنتُ الغجرية تخلع معطفها
وتطيِّر أفراخ يمامٍ للبريةِ
كنت أنا فى آخر جنبات الصورةِ
أستجلى نوبات غيابى
وأسرّب وجهى لنخاعى
وأصادق سوسنةً
وأقدِّم للنيل قرابينى
كيف إذن تفجؤ نى البنت الغجرية بيمامَيْها
وتحاصرنى بعيون البحرِ
وبالشَّعْرِ الليلِ تغطّينى
وتميل فتسحب من رئتى أذيالَ قصيدةِ عشقٍ ليمامَيْها ؟

*

ياهذى البنت الغجرية لا تشتعلى بحضورى
فأنا ما آخيت ذراع امرأةٍ
منذ سنين ما قرَّبنى وطنٌ
كيف إذن أُدرج للنيل تباريحى !

*

صمتـــــت
دَلَّت أبحاث الولدِ القابعِ للصُّور التذكاريةِ
أن البنتَ الغجريةَ
ما فتحت للشمس نوافذها
ما غنت لصباحى
ما همست للنيل بأغنية
كيف تغيب إذن ؟
فى كل دروب العتمة
فى الغابات ، الأنهار ، الأبْحُر فى النار مشيتُ
ونقّبتُ
جميعَ البحارة عنها ولصوصَ الفقراء سألت !
على سوسنةٍ صَورتُها وضَّحتُ
فقالوا . .
كانت تخلع معطفها قبل الريح وتطلق للبرية
فرْخَ يمامٍ
وتجدّد أبعاد بداوتها

وتمرغ فى الطمى صدودى !

*

ياسوسنة البرِّ أجيبى
يا آية موسى يُدركنى البحرُ . . .
المُدُن ، الأرصفة الآن محاصرةٌ
وحدود اللوحة ضيّقةٌ
أين أفرُّ ؟
البنتُ الغجريَّةُ تخرج من صمتى وشرودى
وترشرشُ أغنية للبدءِ
وتفتح للغجرياتِ شراييني/تنتشرُ . .
يا آية موسى يدركنى البحر . . البحر . . البحر . . الـ !
كان شُرُوقا فى كل حدود الوطن العربى يطالعنى وجهُك.
طالعنى مغتسلاً فى دجلة
فى نهرالأردن ــ تَعَمَّد
مشّط فى النيل ضفائرهُ . .
فى الدار البيضاء استوقفنى
فى الجيزة طالعنى
واعدنى فى بنها
فتّحتُ شراييني ، شرَّعْتُ الأبوابَ
كسَرت نوافذ صمتى ومددت يدى
وأَمْت عرائى
وظللت وحيداً أنْتظرُ . .
كلُّ فلولِ الغجرِ المأمولِ رجوعَك فيها مرّوا
يا آية موسى
قال التقرير البَدْئىُّ بأن البنتَ الغجريةَ
ما فتحت للمشس نوافذها
كيف تغيب اذن !
يا آية موسى
هل يدركُها البحر ؟
وهلْ . . ؟

قال رجال الشارع
كانت فى ميدان التّمْثَالِ
يُلَوِّح بضفيرتها
تركضُ

ماسمعتها الريح وما أدركها الظلْ
البنت الغجرية كالشمس بشعرٍ من خُصَلِ اللَّيْلِ
وأكثرُ منى طيشاً وولوعاً بالفجرِ
وتصعدُ فى الليل جبالَ الغجر المعتادةِ
ثم تهيم كما الفرسِ الجامح فى البريّةِ
عيناها من حَوَر أَحْوَرْ
وبقلبٍ كالنبتَةِ أَخْضَرْ
مثلى ما آخت كفُّ فتى . . منذ سنين ما قرَّبها وطنىٌّ
هذا آخر إعلان عن أوصاف البنت الغجريةِ

*

كان النيل يمرّ كتوماً
والولدُ البَدْئىُّ على آخر جنبات اللوحة يبكى
ويغلغل أغنيةً
فى قلب النخل ، يسرِّب وجهى لنخاعى
ويصادقُ أغصانَ الحزن
وأشجارَ الصبّارِ
وينشر للشمس مواجعَهُ
والولدُ القابعُ للصُّورِ التذكاريةِ يرقب
حشرجَة النيلِ صَموتاً
والبنت الغجرية تخلع معطفها
عرفَتْها أخْيلةُ الولدُ البَدْئى فنادَى
يا هذى البنت الغجرية . . . . يا
يا سوسنة البر . . . ويا
ما التفتتْ . .
ضَمَّتْ أزهار الفلِّ المهروس ومرَّت !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــة

بورتـــريه لكلب العـــائلة

الحكاية الأولى : « ابن آوى »

استهلاك أول :
ولما كنت سيدا للأرض المقدسة
دستاو » ، ورئيساً لبهو الآلهة
وابنا لأوزيريس ، وحاميا للملك
المحارب ، ومانحا للملكة المقدسة
قدسية الحكم ، وطول البقاء
كرهتُ خنقة القلب ، وحبسة
الروح ، وحلمت دوماً بالبرارى
البعيدة .
نقش على الحجر

صرختُ

ــ كلب يابه كلب .

رفع ظهره عن قناة الماء ، وركن فأسه فى المجرى الصغير وقال :

ــ إيه اللى هيجيب الكلب عندك ياله ؟ .

كنت أقف على مربط البهيمة والحمار ، تحت ذكر النخل الوحيد ، وأتأمل ذلك الحيوان الغريب وهو يتطلع ناحيتى بعينين لا تطرفان .

عندما اقترب أبى منى يحزم وسطه بذيل ثوبه ، وعلى ساقيه لُطخ الطين ، وعلى جبهته العرق . . توقف وتأمل ما ظننته كلباً وقال :

ــ ده مش كلب ياله . . ده ديب . . ديب صغير تايه عن أمه .

دق قلبى بسرعة واندهشت وأنا أنظر للذى يجلس على مؤخرته ، ويزرر أذيه ويتطلع ناحيتنا بجسارة . . كانت جبهته عريضة ، وفروته بنيّة فيها تطلق عيناه بريقا خاطفاً . . كنت أتخيل أمه الآن تقطع الغيطان باحثة عنه .

قلت :

ــ أربّيه يابه ، ويبقى عندى كلب ابن ديب .

دار « قمرى » فى الفضاء وحط بالقرب من الذئب فزام ، فحلق « القمرى » فى سماء المغارب .

وكنتُ أقف على عتبة اكتشافى ، أنظر إلى ما وجدته غير مصدق ، يتأملنى الذئب بعينين مليئتين بالعداء . . اقتربتُ لأحمله فتغير العداء فى عينيه إلى خوف ، وانكمش أسفل جذر النخل وَنَهْنَهَ بصوت الغريب . . مددتُ يدى لأحمله غير أنه تحفز ووقف شعر رأسه وأظهر أنيابه الصغيرة وزام . . خفتُ منه إلا أن أبى لكزنى فى جنبى وشخط فى قائلا :

ــ مد يااابن الكلب ، حد يخاف من ديب صغيّر ؟ . التقطته فى حضنى ففلفص وخمشنى فى ذراعى فتركته ينخبط بالأرض ويعوى من السقطة . . جرى بين خطوط الزرع فلاحقته وجئتُ به .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابتسم أبى وقال :

ــ انبسط ياسيدى ، والله وبقالك كلب ابن ديب ! تمم أبى ريّ الأرض ، وحلّ البهمية من الساقية ، ولف على رقبتها شحاطها وأطلقها . . أركبنى الحمار وسرتُ خلف البهيمة أحمل الذئب إلى صدرى الذى استكن للأسر بلا حول .

فى الكفر قال لى العيال :

ــ حدّ يربى ديب ؟

قلت لهم :

ــ آه . . أنا .

قالوا لى :

ــ إنت انهبلت يا ابنى ؟ . . دا يأكلك ! .

قلت :

لما يتربى معانا يألفنا

قالوا : ــ يألف مين ياعم ! . ده ديب . . إبن برارى . . أى أسر يقتله .

كان عمى حكى لى حكاية « ابراهيم العرينى » الذى كان يعمل عندنا أجَريًا ، عندما سرح فى الليل لينام قرب المياه . . فى الفجر رتب منامته ، واستلقى على مدار الساقية وشخر . . بعد حين استيقظ على شىء ثقيل يجثم على صدره . . انتبه وتأكد أن ذئباً فى حجم الخروف الكبير يستوى فى هدوء على قلبه ، ويحدق ناحية القمر . . مات « الأجرى » فى جلده ، وتأكد أنه ملاق وجه رب كريم ، وانه بعد انتباهة واحدة سوف يمزق الذئب ضلوعه ، وسوف يروح بإذن الواحد الأحد فى شربة ماء . . استعاذ « العرينى » من الشيطان الرجيم وقال فى نفسه « العمر واحد ، والرب واحد » وزحفت يده فى هدوء وقبضت على مقبض « الشرشرة » بجانبه ، وبكل عزم ، عزم خوفه رشق « الشرشرة » فاخترقت العين واستقرت بضربة الخوف ، وعزم الرحمن فى دماغ الوحش الذى اندفع فزعاً ، متخبطاً فى طين المراوى ، عاوياً فى الليل ، فيما انطلق « ابراهيم العرينى » وقد بال فى هدمته بلا عقل يصرخ « روحولى جاى . . روحولى جاى » .

فى النهار عاد الرجال فوجدوا الذئب فطسان ، غاطسا نصفه فى المصرف ، ونصفه الآخر على الشط بعينه يستقر نصل « الشرشره » لحظتها تقدم « ابراهيم العرينى » وانتزعا من عين الوحش وشق بها بطنه ، وانتزع قلبه ، وأكله نيئاً أمام الجميع .

يقولون فى بلدنا إن من يأكل قلب ذئب لا يعرف قلبه الخوف لذا عاش « العرينى » لا يعرف الخوف حتى عقرته ذئبة مسعورة فمات وهو يعوى مشدوداً إلى ساق شجرة تظلل داره عند تخوم الخلاء البعيد .

أمام دارنا عشة من البوص تظللها صفصافة وجزورينا وذكر توت من زمان . . بيتنا آخر بيوت البلد ، يحزمه من الشرق النهر ، وماكينة الطحين من الغرب ، وأمامه تنفسح الغيطان إلى مدى الشوف عطوفة ، حتى تصل أول الصحراء ــ أول البريّة ــ حيث الرمال التى تنتهى بالبحر الكبير . . تهب الرياح فأسمع الجزورينا وذكر التوت والصفصافة يتكلمون بكلام الريح ، أخاف وألبد على فرشتى يجافينى النوم ، أحاول طرد الف عفريت وعفريت .

كنتُ شددتُ الذئب إلى سلسلة رفيعة ، وطوقت عنقه بجلدة بنيّة منقوشة ، وربطته فى وتد بالعشة البوص ، ووضعت أمامه « منابى » من لحمة العشاء ، وما تبقى من عظم الطبلية ، وشالْية من حلْبة الليل . . انتظرت أن يأكل . . كان لابداً أسفل الجدار ، لائذا منى بغربته ، يستوحش المكان والناس ، ويتوق للبرارى البعيدة ، وفسحة الجبل ، وصوت الريح ، وجحور آبائه .

عاف الطعام والشراب ونظر ناحيتى بغير ألفة .

خبطتُ الأرض بقدمى ورددتُ الباب قائلا :

ــ ساعة مهيجوع هياكل ورجله فوق رقبته . فى الليل . . آخر الليل . . أتانى عواؤه .

كان عواء ممدوداً يرجف بدنى ويشعرنى بالخوف . . عواء زحف من العشة البوص مخترقاً لُعمار حتى الغيطان البعيدة ، كأنما يرد على أصوات لا أسمعها . . خفتُ من النوم حتى لا أراه جالسا على صدرى . . نهضتُ ، ونظرتُ من النافذة فرأيتُ القمر يطل بعيون مفتحة ، والريح تهب باردة ولها رائحة الزرع ، والماء الجارى .

عاد العواء يستجيب للقمر ، وسمعتُ ضربة على باب العشة ، ونهنهة صادرة عن الحيوان الأسير .

قلت :

ــ هَيْهدُّه التعب وينام .

ونمت .

الصبح لم يقرب الطعام ، ولم ينم ، وتأملت عينيه فوجدت بهما ما يشبه الحمى .

فى الغيط قال لى عمى :

ــ يابنى الديابة بتكره الحبسة .

قلت :

ــ هَيتْعَوّد .

قال :

ــ ياابنى أنا منمتش طول الليل من نواح الديب . . كأنه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان بينادى على أمه . . أطلقه يا ابنى ينوبك ثواب . . دى حيوانات خلقها ربك حرة .

قلت :

ــ أبدا .

نظر ناحيتى ، وخطا ناحية ذيل الأرض وسمعته يتمتم :

ــ عنيد لأبوه .

الليلة الثالثة سمعته يخمش الباب ، ويعض السلسلة ، وبدا كأن نوبة من الجنون قد استبدت به . . كان يطلق عواءه كلما زهزه القمر ، وأطل عليه من الكوةالصغيرة أسفل جدار العشة . . كان يندفع من جدار لجدار وإحساسه بالأسر يخنقه ، يشتد عواؤه كلما اشتد صوت الريح آتياً من البرارى البعيدة .

زلتُ من حجرتى وفتحتُ باب الدار . . خوضتُ فى بطن القمر ابن اربعتاشر ، وسمعت طلقاً نارياً فى الحقول فجن الذئب ، وشم من بعيد رائحة صيد .

عندما فتحتُ باب العشة رأيت عينيه تتوهجان كجمرتين لهما برقة النار خفتُ من لمعة العين ، والأسنان المكشرة ، وذلك العداء الذى يقابلنى به الحيوان .

الفجر صمت العواء ، ومات ضرب البوص ، وخمش السلسلة .

الصبح فتحتُ باب العشة . . كان ابن البرارى الصغير ممدداً بطوله وقد مات . شفته المجروحة تنزف ، ومخالبه ملطخة بدم فيما يبرز رأسه الصغير من الفتحة الصغيرة بالعشة ، تحدق عيناه المفتوحتان عن آخرهما ، تتطلعان بأمل الفرار ناحية البراح ، حيث الغيطان ، والبرارى البعيدة .

الحكاية الثانية : جرس صغير من فضة .

استهلال ثان :

« أروقة لا نهاية لها فى الذاكرة »

« أبواب مشرعة على قاعة فارغة » .

« حيث فصول الصيف تتعفن وماء »

« عنيد يسيل بجانبى » .

« نقش على قلب أوكتافيوباث .

يمتد شارع « مزهرية الخريف » مفسحاً المدى لفيلات من دورين ، وأشجار على الجانبين ، وينتهى عند تلة تلوح فوقها مصلية قديمة من حجر ، مسقوفة بجذوع النخيل ، بعدها تنفتح الصحراء حيث تلوح مضارب لبدو يتأهبون للرحيل .

رأيناهما يهبطان التلة ــ طفل وكلب ــ يصيح الولد « لقيت كلباً » . . جرى الكلب من أول الشارع لآخره ، وأطلت الرؤوس من الشرفات وهمست الشفاه :

ــ كلب شكله غريب ! .

خرج العم العجوز « عبد المطيع أفندى عبد المطيع » وربت على عنق الكلب وعلق به جرسا صغيراً من الفضة ، وعندما دخل به إلى فيلته سمعنا صريرا نحيلا للجرس .

فى النهار أطلق « عبد المطيع أفندى عبد المطيع » الكلب فرأيناه يقتحم سرب العصافير ، ويطارد الفراشات ، ويأتى للأولاد بالكرة ، ويقف على قائمتيه راقصا ، وكنا نسمعهم يصيحون به :

ــ اجر « ركس » .

فيجرى .

ــ نط « ركس » .

فينط .

ــ هات الكرة « ركس » .

فيأتى بها .

تأكدنا نحن سكان شارع « مزهرية الخريف » أنه قد صار لنا كلب يهش فى وجوهنا كلما رآنا ، ويمتلك قدرة اللعب مع الفراشات ، ويقدم لنا المحبة عربوناً لعلاقة ممكنة .

« عبد المطيع أفندى عبد المطيع » جارنا القديم ، بلغ من العمر السبعين ماتت زوجته ، وفارقه أبناؤه ، يستعين على قضاء زمنه بالقراءة فى حديقة فيلته ، وفى المساء يتمشى فى شوارع الحى بلا هدف .

وكنا إذا ما مررنا به يقف عند بابه مسندا ظهره للسور نلقى إليه بالسلام فيسرع ناحيتنا ويمسك بأيدينا قائلاً « تفضلوا . . ادخلوا والله . . لا أحد بالمنزل . . اشربوا الشاى . . عندى اسطوانات . . « السيد درويش » و « داود حسنى » . . « عبد الوهاب » « القديم كله عندى » وكنا نسحب أيدينا منه قائلين فى لهوجة « شكرا ، شكرا ياعمو » . . نتركه وقد خبت الفرحة فى عينيه عند ذلك نسمعه يحادث نفسه بصوت مسموع ، وبعدها يفارق بوابته الخشبية داخلا إلى بيته .

منذ وجد « عبد المطيع أفندى عبد المطيع » « ركس » وجد كنزا . فنحن لا نعرف لماذا اختار « ركس » « عبد المطيع أفندى عبد المطيع » رفيقاً وقد أكد له محبة خاصة ، لا ينام إلا فى بيته ، ويأكل طعامه ، ويبصبص بذيله كلما رآه ، وفى النهار يطلقه الرجل ليلعب مع الأولاد فيما يصلصل جرس الفضة الصغير يعلن أننا امتلكنا آخر المطاف كلباً من أصل حميد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شهور ونحن نراهما يتأهبان للخروج ، وكنا نسمع صوت « عبد المطيع أفندى عبد المطيع » وهو يحادث الكلب « يا الله ياركس » فأخرج إلى الشرفة المقابلة لبيته وأداعبه وهو يسحب الكلب وأسأله : « إلى أين العزم ؟ . . إلى التلة بالتأكيد » فيرفع رأسه تجاهى ويبتسم ويشير إلى « ركس » ويجيب « طبعاً إلى التلة . . مع ركس » . كان يمشى فأرى جسده النحيل متكفئاً على حيّز من الهواء أمامه ، كنا قد اكتشفنا كم كان الرجل وحيدا بعد رفقته للكلب . . يجوبان الشوارع ليلا ، يلقيان بنظراتهما على أبراج البيوت القديمة ، ويطويان الليل . . وكان إذا ما تعب العجوز يجلس على المقعد الخالى يرقب عربات المترو الذاهبة ، وينظر إلى الكلب بنظرة مغمغمة بالود والجميل . . يهمس فى أذنه « ركس . . ركس . . لن تتركنى . . هه . . لن تتركنى » . . . يربت على رأسه بألفة ، ويمسح شعره المسترسل فيتقدم الكلب من الرجل قافزاً عليه دافناً فمه فى صدره .

تنطفىء مصابيح البيوت ، وتسدل الستائر فينهض العجوز ساحباً الكلب [عظيم ركس . . عظيم . . من الأفضل أن نتمشى قليلاً . . انحرف يساراً . . حاذر شوك السور . . ابتعد يا ابنى عن بركة الماء . . الليل فى هذا الحى موحش بدرجة لا تصدق . . يخوّف . . انظر ركس . . الناس يسمرون الآن على مقاعدهم أمام الصور الملونة ، ويضمون عيالهم لصدورهم . . حاذر الحفرة يا أخى . . لا تركض ركس . . كفّ ولا تجذب ذراعى . . أنا شيخ مسن . . افهم . . ألا تفهم ؟ . . من الضرورى ركس أن يفتح الإنسان قلبه لمخلوق حتى لو كان كلباً . . لا تندهش ركس . . ها هى الفيلا سوف نجدها غارقة فى الظلام . . نفس الأثاث ، وطاولة الأكل ، وساعة الحائط التى تدق بانتظام كل تلك السنين ، وسنجد عمك « درويش » ، وعمك « الحامولى » فى استقبالنا كالعادة . . ككل يوم طبعاً . . الليلة ستتعشى قطعة من اللحم المشوى . . سآكل أنا فاكهة وأترك لك اللحم . . لو ذقت طعامها ياعكروت . . كانت تطبخ بشكل جيد . . فات زمن طويل « بوّخ العمر وطال . . على كل ، خريف هذا العام يُجمّد العظم . . والفيلا كانت فى المكان وحدها ، هى والبدو الرحل . . الآن الدنيا زحمة ، والناس كثار ، ومع ذلك لا يطرق بابك أحد . . مع أننى هنا طول الوقت وأنت سيد العارفين » .

يدخلان من الباب ويندفع « ركس » قافزا على « الفوتيه » ويرفع عينه إلى الصور على الحائط . . يضع « عبد المطيع أفندى عبد المطيع » يده على الرخامة الباردة ويحدق فى الصور فيما تربت يده على رأس الكلب « على كل حال ياركس ليس ثمة وهم أن الأمور ستتغير ، وعلى كل فإن اليوم سيصبح ماضياً غداً ، وكل حىّ فى نهاية الأمر إلى زوال » .

يحدق « ركس » فى الرجل الذى يضع الآن يده على فخذه ، وقد تجلى أصله الطيب فى نظرة عينيه ، ويصلصل جرس الفضة الصغير فى الفيلا الخالية فيسمع له صدى كرنين فى أركان المسجد القديم .

فى الليل فزعنا جميعا ، ونزلنا من بيوتنا مهرولين . . كان « ركس » يقف على السور ويعوى منتحباً ، وينزل الدرج ثم يصعد تجاه الباب محموماً بأسر الحيرة ، ووجع فطرة الحيوان .

فتحنا الباب ودخلنا . . رأينا « عبد المطيع أفندى عبد المطيع » متوسداً وسادة وكأنه فى إغفاءة الظهر ، مسلماً روحه إلى باريها ، فيما عتم البيت ينتظر الوارثين .

بعد حين لم نعرف لماذا ساورنا هذا الشعور وتساءلنا :

هل يحزن الحيوان ؟ .

بالتأكيد والا ما لزم « ركس » حديقة الدار طوال هذه المدة .

كنا نذهب اليه ، نضع أمامه الطعام والماء ، ونراه نائما وقد دفن رأسه بين يديه فإذا ما أحس بنا زام بصوت حزين فنمسح على ظهره مشفقين .

مرت شهور نوّرت شجرة الرمان فى الحديقة ، وقرع جرس الكنيسة الإنجيلية عند منحى الشارع قرب قصر « البارون » فى العيد ، وانتقل من الحى بعض أفراده ، وهاجر منه آخرون .

ذات عصر خرج « ركس » يصلصل جرسه الفضى ، فَقُلنا « عادت الحياة لركس » ، ورأيناه يجرى ناحية التلة ويصعد . دار حول المصلية ، وشرب من ماء الطلمبة ، وجلس حيث كان يجلس سيده ثم نبح فارتد نباحه من عند مضارب البدو الرُحل .

فى الصباح جلس على السور ونبح . . تجمع حوله الأولاد وصرخوا : « ركس على السور » .

صاح ولد .

ــ أهلا ركس .

صاح آخر .

ــ انظروا كم هو تعبان .

ربتوا عليه ، واحتضنوه فتمسح بهم . . صاح ولد :

ــ كل واحد يأتى من عندهم بأكل لركس .

اندفعوا ، فقفز من فوق السور يجرى فى أثرهم ، فرمى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الولد بالكرة فجاء بها الكلب وعادوا يركضون من الشارع إلى التلة .

بعد ذلك تواصل الركض ، وعاد « ركس » لمطاردة الفراش ، واقتحام سرب العصافير ومن ثم عدنا نهتف « عاد لنا الكلب » .

وبهدوء مفعم بخيبة رجاء كرت الوقائع بلا ترتيب أو تدبير .

جذبت فراشة « ركس » من التلة فهبط يطاردها ، وأتت صدمة السيارة من حيث لا يدرى فألقت به جانب السور . . انكمش تخفق أقدامه فى رعشة تعكس آلامه . . لم يمت إلا أن ما يعذبه أنه لا يستطيع النهوض فزحف على بطنه مكسور الظهر والخاطر .

استقر « ركس » بجانب السور ، يزحف على بطنه كلما رأى واحداً منا ، يصدر تلك الأصوات المتوسلة وقد فارقه زمان الرمح ، واختراق سرب العصافير .

« أيها الكلب الطيب لسوف تبرأ باذن الله » .

بعد ذلك فارقه الأطفال ونسوه ، وكنا ننزل منفلتين بخطوات عجلى ولم نكن نلقى عليه نظرة .

شح أمامه الزاد ، وأخذ يطلق نباحاً له طابع الرثاء والحزن ، وكنا نراه يعالج عظمة سوداء باقية بجانب السور من أيام موائده الاحتفالية فيما فرغ إناء مائه وكنا نسرع الخطى لنلحق المترو عند أول محطاته .

شاخ « ركس » ونسلت فروته ، وبان جلده مشدوداً على ضلوع بارزة .

فى الليل رأيت العقيد « حكيم » يقفل باب سيارته حين تعثر بالكلب الذى أراد أن يتمسح به فركله العقيد صارخا :

ــ يوه . . من يوارى هذه الرمة !

ثقل زحف « ركس » الذى كان يرمح على أربع ، الآن يزحف على بطنه ، وكنا فى كل الأحوال نمنى أنفسنا بنهايته القريبة .

بعد أيام رأينا « سِمّاوى » الكلاب يدخل شارع مزهرية الخريف » ويسأل عن الكلب المريض فدخلنا وأغلقنا النوافذ لكن « ركس » لم يكن موجوداً فأفلت من الموت .

فى الصباح نهضنا مبكرين ، وضعت نساؤنا زينتهن ، وحلقنا ذقوننا ، وجهزنا أولادنا ، ونزلنا من البيوت فى بهجة الأعياد ، إلا أننا وقفنا على الرصيف مشدوهين ، نحدق فى شجرة الرمان وقد تحولت لمشنقة كان « ركس » معلقا ، يلتف حول رقبته حبل ، يتأرجح فى الريح ويدور الهواء به ، كلب الماضى ــ الذى لعب مع الفراشات ، واقتحم سرب العصافير . بكى الصغار ، ونظرنا فى عيون بعضنا باحثين عن اعتراف ، إلا أننا دفعنا بأولادنا وانحدرنا عبر الشارع نتطلع إلى التلة نرى البدو يتجهزون للرحيل .

الحكاية الثالثة : « خط الزوال »

استهلال ثالث :

« أعطى رب الدار « اللواء » الطفلة »
« القروية الخادمة غذاء الكلب وقال »
« أطعمى سيدك . . نزلت البنت »
« لبيت الكلب سيدها ــ لتقدم له »
« أَكْلَتَهُ فالتهمها . . وحينما صرخت »
« مستغيثة هرول سيدها اللواء بلا عجل »
« ولحظة فتح الباب خاف من الكلب »
« المسعور فأغلقه على البنت والكلب »
« الذى يباشر التهامها » .
« نقش فى جورنال »

ذات يوم وعلى حين غرّة .

اكتشف « أبو السعد » البهلول بعد أن تأمل قصبة صيده ، وخرُجه الفارغ أنه يذهب كل صباح ثم يعود قبل المساء خالى الوفاض . . اندهش ، ثم ابتسم وقال :

ــ سنوات طويلة فى الصيد ، والخرج خالٍ . . أرزاق .

وبالفعل ذهب النهار فعاد .

شارع مثبت على النيل يُبدى أفضل ما فى المدينة . . قصور بقباب شيدها الأغراب ، وهوائيات للإرسال تضغط على قلبه ، وعمارات عالية يصهرها الأسمنت . . بنك ، وهو تيل ، وحانة ، وصالة للعب ، وملهى ليلى ، ووكالة بالعمولة ، وشركات إعلان بأسماء أعجمية ، وأشخاص يتسكعون على الكورنيش من غير ما حظّ ، يسوّد وجوههم عادم السيارات ، وشط بلا عشب يلهو عليه بعض أطفال المدارس أسفل السور وقد ركنوا حقائبهم .

بالأمس ادعى صديق له أن أحد حكام مصر السابقين كان ما سونيا .

قال : « ما جرى جرت به المقادير ، وأنا أمنع قلبى عمن أحبيتهم » .

بدا على الشاطىء كمهرجى السيرك ، ببنطلونه الواسع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« الكاروهات » ، وسترته الحمراء الفاقعة حيث تفرد جناحها على صدره حمامة طائرة ، وخوصته على رأسه كخوصة « فان جوخ » فى « صورة شخصية » .

قال :

ـ نهار جميل .

وأطلق صوته بالغناء .

« أبو السعد » البهلول . . . « أبو السعد » البهلول . . .

درويش فى غير أوانه . . ينتعل حذاءه « الكوتش » ويتأمل أفعال البارى بلا بهجة ، ويتعجب من تغيّر الأحوال . . يقاوم النسيان ، ويطلق عقيرته بالغناء « كادنى الهوى وصبحت عليل . . ياليل . . ياليل » .

اندفع يعبر الشارع وقد رفع قصبته . . سمع من إحدى السيارات من ينهره « فتح يا أهبل » . . وقف يتأمل السيارة وهى تغيب ، يمصمص شفتيه فى دهشة .

أمام بائع الكتب سأله :

ـ الاقى ديوان « عفيفى مطر » الأخير ؟ .

ـ مين ؟ .

ـ « أنت واحدها وهى أعضاؤك انتثرت » .

ـ إيه ياخويا ؟ . انتوا بتجيبوا الأسامى دى منين ؟

انفجر « أبو السعد » ضاحكاً ، ضاربا فخذه بيده وهو يقول للبائع « الله . . الله . . نهارك فل يا سيدنا » . . وسحب الأهرام من على الفرش ودسه فى خرجه . انصرف . تملكت الدهشة البائع من منظره فصفق بيديه وقال مستنكراً :

لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ! . العالم اتجننت . . بالذمة ده شكل راجل . . دا بلياتشو . . أنت واحدها قال ! . بلاوى !

سار « أبو السعد » غير قادر على دفع الرضى الذى يغزو قلبه . . يتأمل المدينة فى العصر ، ودفق الشمس يدفع بالضياء إلى النيل فيضوى . . عاد يرتل مايحفظه من شعر . [تساءل « أينبغى التعرف على كل ما ترى بقلبك فقط ؟ . . الرضى له أوان ، وكذلك الحزن . . حاذر أن تكون عيناك مرآةللوهم . . أفق « أبو السعد » قبل أن تذهب لغير زمانك » .

قال فى نفسه . « بَطّل فلسفة » وضحك . . عاد يطلق عقيرته بالغناء . . « لما انت ناوى تغيب على طول . . مش كنت آخر مرة تقول » .

جلس على النيل بعد أن أسند قصبة صيده إلى السور . فرد الجريدة وأخذ يقرأ .

« صبى جارح يخنق سيدة تحت السلّم بعد أن اغتصبها » طوى الصحيفة بعنف وهب واقفا . . كاد يصرخ لكنه دس الجريدة فى الخرج وسار يصفع الأرض بقدمه .

صعد كوبرى ٦ أكتوبر يملأ صدره بالهواء ويتساءل : ما الذى يجعل هذه المدينة ، التى لم يحبها على هذا القدر من الوحشية ؟ . .

تخيل الغلام الذى كأنه ، والذى كان قلبه فى الطفولة يندفع إلى النقاء . . وتذكر أباه عندما أغلق داره على ولائمه . . وتذكر أنه قال لأمه « أكرمى أبى فهو عزيز قوم ذل » . . ردت عليه . . « اليد العاطلة نجسة » . . فقال لها . . « ياأمى الغنى طارىء والفقر أيضا » فقالت له « لا يعاشرنى السفيه » . . ولحظة أن غادر ابوه الدار جرى ناحيته وصرخ فيه « لا تتركنا » فتوقف واستدار لكنه لمح فى عينيه الدموع . . بعد أن مات خبا دخان الولائم . . وغابت رفة العين ، والأبراج السماوية ، وبهجة الماضى . . تنهد « أبو السعد » وقال : « هيه يا أبو السعد . . لم يدخل الليل بعد حتى تستدعى الحنين ، وحاذر من الحكايا التى يمكن أن تكون ضدك » .

عاد وغطس فى ذكرياته ، ونس أنه يمشى فى نهر الكوبرى ، وأن « المرسيدس » آخر طراز تطلق « سرينتها » بإلحاح من زمن ، وأن كمًّا هائلا من السباب ينزل على رأسه .

أفاق « البهلول » على صفعة تهوى على قفاه ، فاندفست رقبته فى كتفه وقفز مرعوبا إلى الرصيف ، استدار وهو يتحسس قفاه فرأى العربة تقترب وتقف فى مواجهته ، تجلس خلف مقودها بنت موردة الخدين ، بعينين متألقتين ، تنتفض كطائر جميل ، يصل صوتها الناعس وله ايقاع النحاس :

ـ ياحيوان ساعة وأنا بضرب لك كلكس ، مشغول فى إيه ياضنى أمك ؟ .

وضحكت فى برود .

انزعج « أبو السعد » ولمعت عيناه ، وضغط أضراسه ، وصرخ فيها :

ـ حقيقى إنك واطية ، وبنت ناس واطيين .

قالت :

ـ كده ؟ .

وسمع شدت فرملة اليد ، ورأى الباب يفتح وتنزل منه ، فيما أطل من شباك السيارة الكلب « الجولدن ستر الأسكتلندى » أسود كجناح غراب .

بدلة من الجلد الأسود مطررة بخيوط من خرز أحمر ، مشدودة على بدن فارع يعلوه دغل من الشعر الأشقر ، تتمنطق بحزام

عريض تتوسطه « توكة » على شكل عقرب ، وحذاء بكعب عال ، ورقبة طويلة حتى الركبة لها أبازيم على الجانبين كأحذية جنرالات الجيوش . . تحت البدلة بلوزة حمراء لها أناقة الدنتلا تبرز ياقتها خلف العنق الملتف حوله ايشارب موشوم بزهور ملونة ، عينان وحشيتان وبسمة ساخرة ، باردة على شفتين ابتعلتا « أبى السعد » الذى بدا فى مواجهتها كأحد المتسولين .

قالت :

ـ أيوه ياروح أمك . . قلت إيه ؟ . . واطية وبنت ناس واطيين .

وفتحت الباب للكلب الذى زام وشلح شفتيه فتدلى لسانه فى عرض كف ، وبرزت أنيابه . . هتفت فى الكلب بصوت بارد وبهدوء منقطع النظير :

ـ « أودلف » Kill him . . . اقتله « أودلف » .

فى التو ، وعلى حين غرة .

نبت للوحش جناحان . . جناح من نار ، وجناح من عواصف وقفز من الباب فاغراً فاه ، نابحا حتى الشمس التى كانت عند خط الزوال ، آخذا البلهول فى حضنه ، الذى رفع قصبة صيده يدفع بها عن نفسه الأذى فيما كانت الأنياب القواطع كسكين تنتزع باصرار منقطع النظير ، وبحالة تدعو إلى العجب حنجرته التى اندفع منها شريان من دم على شكل نافورة حجبت وجه النيل ، ومن ثم وجه المدينة .

القاهرة : سعيد الكفراوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــــة

وش الفجـــــــــر

ـ يا أهل الدار .

ويطل رأسه من وراء ضلفة الباب المغلقة .

ـ ادخل يا « عبده » .

ويعبر العتبة ، وهو يرفع شاله القطنى عن رأسه ، يمسح بأطرافه العرق الغزير عن وجهه ، ويقعد على طرف الحصير المفروش بالصالة إلى جوار الأختين العائدتين ـ لتوهما ـ من السوق ، كانتا تفرزان الخضار ، هذه بندورتك ، وهذه بطيختك ، وهذه ربطتك من الخضرة والبقدونس ، وهذا ليمونك ، يرقبهما « عبده » على استحياء ، وتعبث أصابعه داخل السلة التى لم تنعتق ـ بعد ـ من ذراعه ، ثم يعود للترويح على وجهه بأطراف الشال .

ـ ياأختى السوق زحمة .

ـ مولد . . كل سنة وأنت طيب .

ـ بالعافية خلصت بنص كيلو لحمة رأس .

ـ الله فى عون أصحاب العيال .

وتقوم الأخت الكبيرة لتصنع القهوة كالمعتاد ، وقبل أن تدخل الكرار ، تنحرف إلى حجرة النوم ، وتطل برأسها لتقول لشخص لا يرى : جئت لك بالليمون .

ويسأل « عبده » : الحاج هنا ؟ .

وترد الأخت الصغيرة باقتضاب : فى الشغل .

ويشتبك معها فى ثرثرة متدفقة ، فيشكو لها أحوال الدنيا ، وكيف أنه هو الوحيد فى غلب لا ينتهى ، ففى هذا الأسبوع داخ حتى حصل على قدحين من القمح وكيلة ذرة ، وسعى بها إلى الطاحونة ، وكيف أن الحاج زوج أختها شخط فيه ونطر ، ويتساءل باندهاش : « ليه الرجل دا مايطقنيش كنت فاكره حيكرمنى ، أخد الطاق طاقين . . يكونش عامل له عمل ! .

ويلقى نظرة حذرة نحو الباب ، فيرى أهل القرى المجاورة يعبرون فوق الحمير متجهين إلى المولد فى قوافل فاقعة الألوان .

ويواصل حكايته مع الخبيز ، وكيف أنه قضى الليلة بطولها يعجن ، ويقطع ويحمى الفرن ، ولا أحد من الجيران يقول « عنك » أنا عبده بتاع زمان . . ما كانت الرِّجْل تنقطع من عندى « ولا السهرة تحلى غير فى بيتى » « يكونشى يا اختى الواحدكبر وأنا مش دريان ! .

وتتجعد سحنته لتتهيأ للبكاء ، فيلم سبابته على العينين خشية أن يسيل منها الكحل ، ولكن الدمع يغالبه ، فيسيل فى خطين أسودين ، ويقطع إجهاشه « سلفينى شوية كحل حجر ياغالية » .

ـ ما كان يتعز يا « عبده » .

ـ والنبى عمرى ما أخذت منك حاجة . . البركة فى أختك . . أنت بخيلة . . . من أيام ما كنت أزوركم فى داره ، ألف رحمة ونور عليك ياغالى ياطيب . . أبوك يابت كان سيد الرجال ، لما كان شيخاً للخفراء كانت دارى تصهلل للصبحية ، وكان يعدى علىَّ آخر . . .

ـ قطع لسانك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ فكرك راح لبعيد ، كان يجيء للانبساط ، آه منك يابلد . . طول عمرك ظلماني .

وتعود الأخت الكبيرة بصينية القهوة ، تضعها أمام « عبده » وترفع سلة الخضار إلى الداخل ، بعد أن عبأتها بأشيائها ، وتنشغل الأخت الصغيرة بجمع أشيائها ، لتعود بها إلى دارها ، ويكلبش « عبده » على فخذها .

ـ والله ما أنت ماشية قبل ما أشوف لك الفنجان .

وتدخل الأخت الكبيرة حجرة النوم بكوب من عصير الليمون ، ويسمع « عبده » صوتها تحادث الشخص الذى لا يظهر وراء الضلفة المغلقة ، ثم جاءت لتجلس معها ، وترفع الفنجان ، وترشف منه على دفعات ، وهى مستغرقة فى سرحات طويلة ، وتتأمل باب الحجرة المغلقة تارة ، وتنظر إلى باب الدار المفتوح تارة ، لتلحظ طلعة زوجها ، خشية أن يعود فيجد « عبده » إلى جوارها ، فيلقيه بسلته إلى الخارج ، فكم مرة حذرها من استقباله .

ـ والنبى أنت أميرة ، أما أختك . . أعوذ بالله ! .

ـ لم لسانك . .

ـ الله يسامحك .

ـ خلّص يا « عبده » قبل ما الحاج يطب على غفلة .

ـ هو أنا باشوفكم غير من السوق للسوق .

ـ شافتك العافية .

ـ هو أنت يامزغودة لا ترحمى ، ولا تخلى رحمة ربنا تنزل . . شاطرة فى الكلام ، لا باشوف منك أحمر ولا أخضر . . البركة فى حبيبتى الغالية . . والنبى طالعة لأمك .

ومال بجذعه كله ليطبطب على كتف الأخت الكبيرة ، وارتجفت الكتف تحت لمساته ، وانشدّت منه فجأة ، فكاد يسقط على جنبه .

ـ احكى لكم على المولد . . . من نفسى يا اختى ، زهقت من قعدة الدار ، قلت أزور صاحبة المقام العالى ، وادخل « التياترو » وقطعت تذكرة ، واشوف لك اسم الله على مقامكم جاموسة لا تدخل من الباب ، تطلع على المرسح وتروح عاملاها . والناس فطست من الضحك ، قلت فى سرى : ينيّلكم ! هو الناس هنا ناقصة جاموس ! ما تروحوا تفرجوها لأهل البندر . . بسلامته ابنك كان هناك والتم علىّ الجدعان ، وزفونى ، يادى الفضيحة ، أخذونى من باب « التياترو لغاية باب المقام ، والله يخليه لشبابه طردهم ، وأخذنى فى حمايته ووصلنى لدارى .

ـ رجع على وش الفجر ، وراقد فى فرشته من ساعتها .

ـ ماله ؟!

ـ لا يقوم إلا ليدخل الحمام ويرجّع كل ما فى بطنه .

ـ ألف سلامة عليه . . ارقيه .

وجمع أطراف جلبابه ، وسار ناطراً يديه إلى الوراء ، وهو يهز ردفيه تحت الجلباب ، وقامت صاحبة الدار خلفه ، والأخت الصغيرة رفعت سلتها وقال : ارجع لك المغربية .

كان الولد يتصبب عرقاً ، حين أحس بالداخلين أزاح عن جسده الغطاء ، وانكمش نحو الجدار ، وكشر جهة الرجل بعداء ، وأشار إليه ، وقالت الأم مستنكرة : دعه يرقيك . . فى يده البركة .

ولم يحفل الرجل بنظرة العداء ، وقعد على حافة السرير ، وطلب من صاحبة الدار ورقة بيضاء وإبرة خياطة ليغرسها فى كل عين حاسدة ، وقبع الولد بعيداً بأقصى أطراف السرير .

وخرجت الأم لتحضر الورقة والإبرة ، وسمع صوتها تبتهل بالدعاء ، ومد يده إلى الجبهة العرقانة « باسم الله أرقيك . . والرب يشفيك » دفع الولد يده بعيداً عنه ، وأمسك بطنه بيديه ، ونام على وجهه يتلوى من الألم ، وعادت الأم لتجد الرجل يمرر كفه على ظهر ابنها المنتفض « قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق » ويقطعها يتثاؤب يخلعه من جماع جسمه ، ويعصر عينيه بسبابتيه ، ليثير دمعهما نحو النافذة المفتوحة .

وتقلص جسد الولد فجأة ، ومال برأسه على الأرض ليدفق من فمه المفتوح على آخره عصارة المعدة ، وهرعت إليه الأم بالطشت ، فجعلته تحت وجهه المزرود .

حين نظر « عبده » إلى الطشت قال : طالما هذا السائل الأصفر قد نزل . . قولى الحمد لله . شدت الأم المنديل من صدرها وراحت تجفف به الجبهة المبللة ، وفردت الغطاء على الجسد الذى هدأ قليلاً .

القاهرة : يوسف أبو ريه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

وقع الخُطى

ارتحتُ إلى المسير فى هذا الطريق . أحتاج إلى هدوئه ، وحفيف أوراق أشجاره التى تتناثر على جانبيه . انتبهت لوجود الكثير من النوافذ المفتوحة ، تتسرب منها أشعة ضوء محاولة الامتداد إلى آخر مدى . لم أشعر بأية حياة داخلها كأن الضوء وحده يسكنها .

حينما أعود إلى البيت من الطريق المعتاد ، أشعر دائماً بفقدان بهجة السير ، خطواتى تجد مبتغاها حينما تسير فى الطرق البعيدة . كلما ظننت أن الزمن سيقضى على رغبتى هذه أجد عشقى لها رفيقى الوحيد ، وأجدها طريقاً أمضى فيه دون نهاية .

ما الفاصل بين هذه الطرق كلها وطريق العم ؟ هل تتواصل فيما بينها لتبرز خرائط تتشابه دون أن تتحد . أم تضع الفواصل ليستهدى بها خطوى نحو طريقى الأخير ؟

مازلت أرى أول الطريق ممتداً أمامى يذكرنى بوجوده دون أن يحثنى على العودة للسير فيه ، يمتد لأبصر العم يحمل خرائطه المخطوطة على ورق حال لونه وتستقر فى قلبها أعمدة المعبد المتناثر فيما بينها أحجار كأنها سقطت الآن فقط . لم يهمنى هذا المعبد أبداً ، انشغلت عنه بتأمل خرائط العم والسير معه فى طرقه ، وتتبع حركة أصابعه فوق خطوط الخرائط وتوقفها ومحاولتها إظهار ما بلى من خطوط . لم يعد يخرجها كثيراً من كيسها الجلدى ، صار سهلاً عليه أن يرسم أى واحدة منها بامتدادات الخطوط وانحرافاتها وتقاطعاتها دون أن يضيف أو ينقص خطاً واحداً .

ظننت فى البداية أننى الوحيد الذى يخصه العم بالخروج معه إلى الطرق وعرفت بعد حين أن كثيرين ساروا معه . لم يذكر أسماءهم ، يكتفى بترديد أن جميعهم وجدوا الطرق بعد عودتهم وكأنهم لم يسلكوها من قبل . معه فقط كنت أعيش هذه الطرق ، حينما أمضى فيها بمفردى أجدها مألوفة صامتة .

لم يكن يتحدث كثيراً أثناء السير ، يحرص على التوقف وهو مستغرق فى النظر إلى الأمام لينظر للطرق التى قطعها ، ويحدد بكلتا يديه اتجاه السير كأن كل هذه البيوت والشوارع والمزارع والنخيل خرجت بإشارة من يديه لتأخذ مكانها فى صمت يشى بامتدادها فى أزمنة عديدة .

لاحظت فى يوم ، أنه لا يلتزم بخريطة واحدة دائماً . قد يتوقف ليسلك طريقاً جديداً ، ثم يعود ليدخل فى آخر . يتنقل فوق الخرائط جميعاً دون أن أجد فواصل بينها ، بل أرى الطرق تتفتح عارفة خطاه ، وعارفة أنه يرومها كلها . حينما يلمح فى عينى السؤال ، يأتى بها ويفرد إحداها أمامى ثم يطوى جزءاً من خريطة أخرى ويصل بقيتها بالأولى ويضع ثالثة فى جانب آخر ، ثم يطوى رابعة حريصاً على إظهار خط واحد يمده بين الخطوط المتداخلة . وينظر إلىّ ويدعوه تحاولان أن تبقيا على تكوينه ، فأنشغل بتأمل أصابعه وكيف تمسك بكل هذه العوالم . لا أذكر أنه تحدث عن هذا المعبد الذى يكاد يكون مركزاً تنطلق منه كل

طرقه ، لكنه حينما نصل إلى نهاية السير ، يرفع يديه ليجعلنى أنظر ، فأجد المعبد يواجهنا من بعيد . معه تأخذنى الطرق لأتتبع ما تخفيه من حياة ومحاولاً استشراف لحظة توقف العم ، ودائماً تفاجئنى هذه اللحظة ويفاجئنى ظهور المعبد الذى ظننتُ أن الطرق حجبته ونأت بنا عنه .

هل أفضى المعبد بكل أسراره للطرق ؟ أم أنها امتدت لتكمل ما صمتت عنه جدرانه وأعمدته ونقوشه ؟

رحابة المسافة الفاصلة بين نقطة نهاية السير والمعبد أنظر فيها الأكف المتشابكة التى طالما حاولت قراءتها والحضور داخل سبلها . نداء العم لى فى هذه اللحظة يغيب ، وأنصتُ لخطى فوق طرق سأقطعها دون معرفة منتهاها . وددتُ لو لم ينادنى كنت أريد هذه اللحظة صامتة تمنحنى رحابة المدى دون نداء .

هل آن لى رسم الخرائط أم أن العم أغلق الباب دونها وترك لى الرحيل ؟ صار يجلس قرب النافذة ويظل ينظر ، سائلاً من يجاوره عما يحدث فى الخارج . وقبل أن تأتيه الإجابة كانت أصابع يديه تحدد خطوطاً فوق الحافة الخشبية للنافذة ؛ كثيراً ما حدثنى عن رغبته فى العودة للخروج ويضرب ساقيه لاعناً الألم ، لكنه لا يلوذ بالصمت بل يحكى كيف سيرى الطرق حينما يعود للسير ، وأى الاتجاهات سيسلك ويشير إلى المكان الذى سيتوقف عنده . ويؤكد أنه يستطيع من هناك رؤية البيت والنافذة من خلال الأعمدة . كان يعرف أنى لم أعد أمشى فى طرقه ، بل أترك قدمىَّ تخوضان البعيد . ظننتُ أنه سيسألنى عما أرى . لكننى وجدته يخرج الخرائط طالباً أن أكتب خلف كل واحدة منها كيف كنت أراه أثناء سيره .

وجدتُ كلماتى تنتظم فى جمل كأنها هى وحدها التى تعرف مساراتها ، وأين ستنتهى . لم أشعر بالقلم فى يدى ، كتبتُ بكل ما رأيته وعرفته معه فى طرقه ، وبما تكشف لى أثناء سيرى فى طرقى البعيدة . الفواصل بين الطريقين بدت وكأنها تسلك سبيلاً آخر يمر بين الأعمدة ليستقر فى قلوب أناس مضوا فوقه راغبين فى شقه إلى آخر العمر . لم تتوقف كلماتى عند العم ، وقع خطاه كان يبدده منى ، أبدأ فى ندائه من جديد فيذهب النداء إلى كل الأنحاء محاولاً أن يستعيده ويعود قابضاً فقط على نظراته العارفة المتسائلة أبداً .

امتدت أصابع يديه توقف كتابتى لتأخذ أناملها فى التنقل بين الأسطر فى حذر كاشفة لى ما خطته كلماتى من خرائط أبصرتُ فيها طرقى البعيدة . انتظرت أن يتحدث لكنه أخرج لى أوراقاً عديدة قرأت فيها كلمات كل من مضوا معه ، والخطوط التى حدد بها خرائطهم ، لم تكن متشابهة ، لكن تباينها يبين عن مفترقات الطرق المنتشرة فى كل واحدة منها .

وبعد صمت طويل عاد خلاله إلى النافذة ، أخذ يحدثنى عن البلاد كلها ، وعن سبل لم تضمها خرائط وعن خطى آتية من بعيد وعيون تكشف ما نأى .

القاهرة : منتصر القفاش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــــة

فـــــــــــرار

متناسياً الهموم والإحباط . خاض فى الصباح الباكر النظيف . استقبله المدير على غير عادته منشرحاً . دعاه لتناول فنجان قهوة فى مكتبه وقدم له كرسياً بنفسه . ابتسم بمكر وناوله بعض الأوراق . تردد مستفسراً فخلع المدير نظارته وبانت عينه الحمراء متوعدة بخبث ، ومستعيدة مواقف صارمة كانت معه ، فامتدت يده ووقع على المستخلصات غير القانونية .

فى الطريق إلى المستشفى . ابتسم جاره صاحب السيارة ابتسامة لزجة وسأل بمواربة عن إمكان الحصول على إذن صرف من خلف العيون . كانت زوجته فى السيارة تتألم مستغيثة ، وقد أغاثه الجار صاحب السيارة . لم يتأخر حين طلب منه فى حياء نقله وزوجته إلى المستشفى ، وهو الفطن أدرك تلميح جاره إلى خدمته له ، فوعد بالإذن غير الشرعى من خلف العيون .

فى الشقة ذات الحجرتين ، فاجأته كمية من حاجات البيت التى لم يشترها موضوعة بعناية . فكر وتدبر ، وتعرف على صاحب الهدية . . قدّر أن مطلباً خلفها لا ريب ، وتردد فى ردها ، ثم استقر مضطراً ، فمن أين يحصل عليها بعد ذلك ، وكيف ؟! ولم يمهله مانح الهدية إلى صباح . . مجرد توقيع ! فوقّع .

قدّرَ وقدّر ، هو الذى لا يملك . ماذا يقدم لهذا الذى أهداه جهاز التسجيل ، والذى سهل له دون أن يطلب ــ الحصول على ثلاجة . . دعوات الزفاف وأعياد الميلاد . . صاحب الكشك الذى يقرضه بالأجل . كيف يرد على الهدية بمثلها ؟ وإذا استطاع ! فهناك الواقعات التى ألّمت به ، ووقف كثيرون خلفه ، حتى أصبحوا دائنين ، يلقونه فيخفض رأسه .

قدّرَ وقدّر . هو المتماسك خوف أن يزل . لم يجد حتى سمّ الخياط ينفذ منه . ملوث هو أو كاد . دارت برأسه الظنون ، وأعيته الحيل فتأوه . حمل أشياءه ومضى فى مساء مختلط بالشوائب . على أطراف الحقول جلس . مسنداً رأسه المنهوك على كفيه ، محدقاً فى السماء الصامتة . لم يأبه لولولة الزوجة واندهاشة الجيران . كيف يترك مسكناً من حجرتين ، وهدايا ، وحياة ؟ . . يتأمل فى الفضاء الواسع صامتاً حزيناً ، وينهض ببقايا عزم يجمع أعواد البوص ، يبنى بها سكناً على أطراف الحياة المنسية .

القاهرة : ربيع الصبروت

قصـــــة

زيـارة لرجـل مهـم

جلست متململا أمام السكرتير الممتلئ، وشقيقى الأكبر « مرسى » ينظر إليه فى ابتسامة خجلى . قال السكرتير وهو ينظر إلى باب الحجرة المغلق :

ـ محروس باشا مشاغله كثيرة هذه الأيام .

قال أخى :

ـ كان الله فى العون .

أراد السكرتير أن يعود إلى الورق أمامه ، ليشعرنا بمدى انشغاله ـ هو الآخر ـ لكن أخى أسرع قائلا :

ـ هكذا محروس باشا منذ صغره .

ترك السكرتير القلم ونظر إليه فى اهتمام ، فقول أخى يعنى أنه يعرفه منذ وقت طويل .

أسرع أخى فرحا :

ـ أجل ، منذ أن كنا أطفالا ، وهو يأخذ الأمور مأخذ الجد .

كنت غير راغب فى الذهاب لمقابلة محروس هذا ، فلم أكن أصدق أنه وصل إلى هذا المنصب الهام . . كان فى قريتنا بليدا ، لا تحس أبدا أنه سيحقق شيئا . وهو لايعرفنى معرفة تسمح لى بأن أطلب منه شيئا . فقد كنت صغيرا عندما كان يجىء إلى بيتنا ليستذكر دروسه مع أخى .

لكن مرسى ألح ، بأنه قادر أن يحل مشكلتى ، وأنه لن يرفض لى طلبا .

قال السكرتير مبتسما :

ـ حضرتك تعرفه منذ وقت طويل ؟

قبل أن يجيب أخى ، دخل موظف مسن ، يحمل ورقا ، انحنى على أذن السكرتير هامسا ، صاح السكرتير فيه ، مما يوحى بأنه يرأسه . وأخى يجلس على طرف المقعد محنيا ظهره ناحية السكرتير ، وابتسامته جاهزة ، ليواجه بها وجه السكرتير ، والكلمات ترتعش فوق شفتيه ، كان يود أن ينتهى حديث الموظف بسرعة .

قال السكرتير :

ـ سيادتك كنت تعرفه ؟

قال أخى وأسهب ، حدثه عن مشوارهما الطويل ، من قريتهما الصغيرة حتى طنطا ، بعد أن التحقا بالمدرسة الابتدائية هناك ، وسهراتهما فى ضوء القمر يمصان القصب .

نظر السكرتير إلى باب محروس المغلق وصاح فى طفولية :

ـ كان سيادته يمص القصب معك ؟ !

ـ نعم ، وكان . . . .

لكن الباب فتح فجأة ، فنظرنا جميعا فى اهتمام . . خرجت امرأة ، كانت لا تزال تبتسم وتتحدث مع محروس .

وقف السكرتير لها فى احترام :

ـ مع السلامة يا افندم .

ثم شد بذلته حول جسده ، ونظر إلينا دون قول . ودخل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحجرة ، وأغلق الباب خلفه . قال أخى :

سترى محروس الآن .

خرج السكرتير وقال :

ـ تفضلا . الباشا فى انتظاركما .

كانت الحجرة متسعة . ومؤثثة بأحدث الأثاث ، ومحروس يجلس خلف مكتب كبير ، لو كنت رأيته وحدى وفى ظروف غير هذه ـ ما كنت عرفته ، فقد امتلأ جسده ، وازداد وجهه احمرارا ، وشعره الذى كان مجعدا ، صار ناعما . والنظارة الطبية تشغل جزءا كبيرا من وجهه .

عندما اقتربنا منه وقف مرحبا :

ـ أهلا مرسى . أهلا .

قال مرسى فى احترام شديد :

ـ أخى محمود ، أتذكره ؟

نظر إلىّ طويلا ، قبل أن يقول فى حماس :

ـ محمود ، آه ، لقد كبر كثيرا .

ثم صافحنى ، جلسنا فى مقعدين بعيدين عن المكتب ، ثم سار هو ناحية مكتبه ، أمسك المسبحة ، وجاء إلينا مرحبا مرة أخرى .

ـ وقت طويل لم أرك يا مرسى .

ـ نعم ، والله ياباشا ، كنت أود هذا منذ وقت طويل . . .

لا أدرى كيف جاء السكرتير ملبيا طلبه ، وما الذى دعاه ، فلم أره يضغط على جرس .

ـ أحنى السكرتير رأسه :

ـ قهوة للبهوات .

جاء السكرتير إلينا ، أحنى رأسه ولم يتكلم . قال أخى :

ـ قهوة سادة .

وارتبكت ، أردت أن أقول « لا أريد » ، لكن الموقف كان شديدا علىّ ، فقلت :

قهوة زيادة .

قلت هذا رغم أنى لا أحب القهوة .

داعب محروس مسبحته وقال كيف حال البلد ، أم أنك لاتسافر إليها ؟

ـ أسافر كثيرا ، كل شهرين تقريبا .

ـ كيف حال الشيخ مهدى ؟

الشيخ مهدى ، هو المعلم الذى علمها القرآن فى طفولتهما .

أخفى أخى ابتسامته ـ أول مرة لا يبتسم منذ أن دخل المكتب ـ قال :

ـ تعيش أنت .

ـ مات ؟

قالها محروس دون تأثر ، ثم توالت الأسئلة :

ـ مشاغل كثيرة ، لا تجعلنى أستطيع زيارة البلدة ، تصور . . سافرت إلى طنطا كثيرا ، لكن فى مهمات عمل ، لم أجد الوقت للمرور على قريتنا .

كان أخى يومىء برأسه إيماءات تعنى الموافقة .

تطرق الحديث بعد ذلك عن سيدى أحمد البدوى وعمر بن الخطاب وأبى ذر الغفارى ، والحجاج بن يوسف الثقفى .

كان محروس يتحدث بحماس شديد ، أحسست أنه كان فى حاجة لهذا اللقاء ليتحدث عن موضوعات بعيدة عن أحاديثه اليومية عن الأمن والنظافة والإسكان . .

وكان يبدو أنه مهتم بالدين اهتماما خاصا . حتى نسى منصبه الهام وتحدث مع أخى كأنهما مازالا رفيقى القرية والمدرسة الابتدائية فى طنطا .

دق الباب ، دخل جندى طويل يحمل صينية كبيرة ، سار كأنه فى طابور عرض ، ثم انحنى فى احترام شديد وضع فنجان القهوة أمام أخى ، والآخر أمامى .

صاح محروس صارخا :

ـ ما هذا يا مغفّل !

انتصب جسد الجندى ، وارتعشت يده حتى وصلت إلى هامته ، وحيا ، وهو يردد كلمات غير مفهومة :

ـ اسألهما عن نوع القوة قبل أن تضعها .

أحنى جسده ثانية ، قلت مسرعا ، ومشفقا على الجندى :

ـ قهوتى زيادة .

وضع الفنجان أمامى ، وأسرع أخى يأخذ الآخر .

أحسست أن محروس قد افتعل هذا لكى يسب الجندى ويصرخ فيه أمامنا .

ابتسم محروس لنا ، وأكمل حديثه عن عمر بن الخطاب ، وكيف قتله أبو لؤلؤة المجوسى .

لم يكن حديثا معا عن الحادثة المشهورة بل كان رأيا خاصا فى تناول كتاب كثيرين لهذه الحادثة.

اعتدل محروس ، وضع ساقا فوق ساق ، وأمسك مسبحته مبتسما ، دخل السكرتير ، وحدثه هامسا ، فوجدته يصيح غاضبا :

ـ سأخرب بيته ابن الـ . .

همس السكرتير فى أذنه ثانية ، فصاح به فى ازدراء :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ أجل ، أجل .
ثم أشار له بيده بأن يخرج الآن . وابتسم لنا قائلا :
ـ أهلا بكما .

أحسست أن أخى يريد أن يبعده عن الحديث عن الدين ، حتى يمهد للدخول فى الموضوع الذى أتينا من أجله .

قال أخى :
ـ مشاغلك كثيرة فى المحافظة .

قال فى برود شديد :

ـ أجل ، كل هموم المحافظة على رأسى .

كان قد جاء أخى إلى منذ أيام ، بعد أن تناولنا العشاء ، جلسنا أمام التليفزيون ، مر الوقت ونحن نتحدث عن البلدة ، ونعلق على برامج التليفزيون ، وزوجتى تعد لنا أكواب الشراب ، حتى نام الأطفال الثلاثة ، واحد نام فوق السجادة المفروشة ، والآخر نام متكئا على ساق أخى ، والبنت كان جزء من جسدها تحت الكنبة . كانت الحجرة التى نجلس فيها مخصصة لنومهم ، والأخرى لنومى أنا وزوجتى .

حملت زوجتى الولد ، لتدخله حجرتنا ، صاح أخى :
ـ الشقة صغيرة عليكم .
قالت زوجتى وهى تحمل الطفل فى عناء :
ـ نعم ، قلت لأخيك أكثر من مرة أن يبحث لنا عن شقة أكبر .

لم أعلق ، فليس جديدا ما سأقوله من أن الشقق الخالية الآن من الأشياء النادرة .
لكن أخى صاح فجأة :
ـ لماذا لاتذهب لمقابلة محروس بن عبد الله رشوان ؟
كانت زوجتى قد عادت ثانية ، قالت :
سمعت أنه أصبح مسؤ ولا كبيرا فى المحافظة .
ـ أجل . وهو صديق طفولتى كما تعلمان . ولن يرفض لى طلبا .
هه ماذا سيفعل لنا ؟

قلت هذا فى ضيق ، فطول البحث عن شقة أخرى ، جعلنى أفقد الأمل فى أى شىء ، سوى المال المطلوب كمقدم للشقة . لا أملكه .
قال أخى :
ـ يعطيكم شقة فى المساكن الشعبية ، أو أى سكن تابع للمحافظة .

كان محروس مازال يتحدث عن أعبائه فى متابعة الأمن والغذاء ونظافة المدينة ، وعندما وصل الحديث عن الإسكان قال أخى :
ـ بلغنى أن لديكم مساكن جديدة . ستوزع . .

بدأ يحكى لنا عن مشاريع المحافظة فى بناء المساكن الشعبية والاقتصادية . وشرح الفرق بينهما . فلابد للمساكن الشعبية أن يكون شاغلها فى أمسّ الحاجة إليها .

كان يتحدث بنفس الحماس الذى يتحدث به عن الدين ، وكأننا سنعد بحثا عن هذا الموضوع .

قال أخى :

ـ محمود شقيقى يسكن شقة من حجرتين ولديه ثلاثة أطفال .
ـ للأسف ، لقد انتهت المحافظة من كل الوحدات الاقتصادية منذ شهر تقريبا . لكن المساكن الشعبية لم تشغل للآن .

قام فى خفة . وأمسك المسبحة بقبضة يده وقال وهو يسير ناحية مكتبه :
ـ إنها شقق جيدة . ومتسعة . يمكنك أن تأخذ شقة من ثلاث حجرات .

قال أخى :
ـ لابأس .

لم أجد ما أقوله . كان أخى يقوم بالرد بالنيابة عنى .
تحدث محروس مع سكرتيره فى « الديكتافون » :
ـ اطلب لى إدارة الإسكان ، أريد ملف المساكن التى لم تشغل للآن .

كان فرحا لأنه حقق لزميل طفولته أمنيته .

قبل أن يعود لحديثه مع أخى ، دخل الموظف حاملا الملف ، انحنى وقال بصوت ـ أراده أن يكون خافتا لكننى سمعته بوضوح :

ـ كل المساكن محجوزة الآن ، ولقد أعددت بيانا باسم كل ساكن ورقم الشقة التى يسكنها .

قام محروس فى هدوء شديد :

ـ ، اشطب اسم أى حاجز واكتب اسم الاستاذ .
سار الموظف خطوات ، ثم عاد ثانية وقال فى صوت أكثر خفوتا :
ـ هذه المساكن للذين تهدمت بيوتهم . وللمتزوجين حديثا . وهم يحجزونها منذ سنوات . . .
قاطعه محروس صارخا لدرجة اننى خشيت أن يقوم ويصفعه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ليس لك شأن بهذا ، نفذ ما آمرك به .

سار ناحية مائدة كبيرة مخصصة للاجتماعات لينفذ الأمر .

قمت فجأة ، كان محروس وأخى مشغولين بالحديث عن الحجاج بن يوسف الثقفى ، هل كان محقا فيما فعل أم لا .

قلت للموظف ، الذى ابتسم لى بود شديد :

ـ قلت إن هذه المساكن للذين تهدمت بيوتهم ؟

قال فى ابتسامة متوددة :

ـ لاتهتم . سأختار لك أحسن شقة .

صحت فيه :

ـ لا . لا أريد . إننى أسكن فى شقة . صغيرة ، صغيرة . ليس مهما .

كان صوتى حادا وعاليا لدرجة أن محروس وقف وجاء إلينا .

ظن الموظف قد أساء إلىّ فى شئ ، صاح به غاضبا :

ـ لقد قلت لك .....

قلت لأخى :

ـ أرجوك . لا أريد شقة ، هيا بنا .

سار أخى وهو حائر بينى وبين صديقة القديم ، الذى كان مندهشا من تصرفى .

الاسكندرية : مصطفى نصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طـــارق المهـــدوى

قصـــــة | الحفـــــــــرة

لملم بمكنسته أكوام القمامة المتناثرة على جانبى الطريق ، ثم أخذ يعبئها فى الجوال حتى امتلأ عن آخره فحمله على ظهره وزحف باتجاه الحفرة الواقعة فى نهاية السوق . طالبته إدارة المستشفى بدفع تكاليف علاج ابنته فلما عجز عن تدبيرها تلقى خطابا من المشرحة باستلام الجثة الصغيرة . أفرغ جوال القمامة فى قلب الحفرة وعاد أدراجه ليكمل جمع القمامة من بقية شوارع السوق . صفعها على وجهها عندما شبهته بالقمامة التى يجمعها فتدخل الجيران ونصحوه بالبحث عن عمل إضافى لزيادة دخله حتى يمكنه إسكات اللسان للزوجة المشاغبة .

رغم جهله بما تحويه أعماق الحفرة إلا أنها أنقذته من عمليات إحراق القمامة التى أصابته بالسعال المزمن . كان الرد الوحيد الذى تلقاه من أصحاب الأكشاك هو أن حالة الركود تضطرهم إلى التخلص ممن لديهم من عمال ، خرج من السوق تطارده شتائم زوجته فرأى نفسه وقد تحول إلى كوم متحرك من القمامة تحط عليه أسراب هائلة من الذباب ، أخذ يعدو مسرعا من الطنين المزعج حتى وجد نفسه يقف على أطراف الحفرة ، رأى أسراب الذباب وقد أحكمت الحصار حوله فألقى بنفسه إلى الداخل .

انقضت عليه جماعة من الأقزام الذين بدت وجوهم حالكة السواد بفعل الظلام المطبق فى الحفرة ، طرحوه أرضا وخلعوا عنه ملابسه وألبسوه جلبابا بلا أكمام كانوا جميعا يرتدون مثله ، وضعوا على فمه كمامة وأفهموه بالإشارة أن كل شئ مباح فى الحفرة ماعدا إخراج أى صوت قد يتسرب إلى الخارج فيعرض وجودهم للخطر . أمسك بقوة العصا الخشبية الغليظة لمكنسته العتيقة ، أكسبته قدرا من الطمأنينة فقرر أن يخوض التجربة .

كان الأقزام ذوو الوجوه المظلمة يجتمعون يوميا فى دوائر مغلقة ليتحاوروا فيما بينهم بالإشارة ثم لا يلبثون أن ينهضوا جميعا على أقدامهم ليمسك بعضهم بخناق البعض الآخر ويتبادلوا الصفعات واللكمات والركلات ثم يعودوا لمواصلة الاجتماعات . فى إحدى المرات استل أحدهم سكينا وطعن به رفيقه فانفجر الدم من صدر القتيل متناثرا على الوجوه . تسربت من تحت الكمامة صرخة مكتومة فاستدار إليه الجميع وانهالوا عليه ضربا بينما القاتل قد انحنى يمتص دم القتيل ، حاول أن يدفعهم عنه باستخدام مكنسته ، انتزعها أحدهم وحطمها إلى قطع صغيرة ثم ألقى بها فى وجهه .

على مدى سنوات طويلة وحياته تدور حول هذه المكنسة ، لم تكن مجرد مصدر رزقه بل كانت أنيسته ، قطع فرعا صلبا من إحدى أشجار قريتهم بالبلطة وشذّبه حتى استوى كالعصا وجمع سباط البلح بيديه من النخيل وحاكها حول العصا بسلك حديدى استجداه من الحداد .

رافقته منذ ذلك الحين ، يكنس بها شوارع السوق ويتكئ عليها فى خطوه ويهش بها الكلاب الضالة ويرفعها مهددا فى وجه من يهينه أو يسخر منه ، خلال استحمامه كان يأخذها معه ليغسلها بالماء والصابون ، وقبل نومه كان يمددها برفق أسفل

الفراش حتى يلتقطها بمجرد نهوضه ويذهبا سويا إلى السوق . . وها هى ذى قد تحطمت .

نزع الكمامة عن فمه وصرخ بأعلى صوته طالبا النجدة، أصيب الأقزام بهلع شديد وأخذوا ينوحون ويلطمون الخدود ، ولما تدفق الناس إلى داخل الحفرة استجابة لنداء النجدة كان الأقزام يقفزون قفزات مجنونة فى الهواء وقد تدلت أذرعتهم حتى لامست الأرض ، وفى اليوم التالى نشرت الصحف خبر إنقاذ مواطن وقع فى براثن قطيع من القردة .

القاهرة : طارق المهدوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سـعد القـرش

قصـة

الإعـدام فى ميـدان .. خـاص

الطرقة على الباب تستأذن فى حياء . لا أحد يرد . أصوات تعلو ، تشتبك ، ثم تموت . الطرقة الخجول ما تزال . لويتمكن من الرد ! بقايا قوة تتبعثر فى الأطراف . لكن هناك بقايا رجولة . لم يلتقيا قبل ذلك . رسول من هناك . رد من هنا . أحاديث الهمس . ضحكات حذرة فى البداية . ضحكات واثقة بعد ذلك . الزغاريد . صوت الملاعق فى الأكواب . الصوت المختنق هناك على البعد . فى حجرة بعيدة ، يقف على حافة الحياة . يتمنى أن يهوى فى أحضان الموت . زفرات مبللة برائحة الموت والحياة .

ـ أريد ماء .

المرأة لا تسمع . البنت تخشى أمها . حين تخرج الأم . تندفع البنت إليه . تبكى . يحتويها . تلتقط شفتاه حبات العرق وخيوط الدموع . طعم الملح رمز الحياة .

ـ لقد خطبت يا أبى . . . ألم تحدثك أمى ؟ سوف يأتى ، وتتحدث إليه . .

أريد أن أسمع رأيك .

بنت وحيدة . واحدة فقط . لو كان له مائة بنت يولدن مرة واحدة ، يتلقاهن من رحم المجهول ! ماذا كان يحدث لو أن كل أم ماتت عقب الولادة . تضع فى كف الحياة وليداً . وتسلم نفسها إلى قبضة الموت . تختفى الأم فجأة . يختلى إليهن . يداعب « علا » تأتى « نهى » من حيث لا يرى . تزيح أختها . يطيّب خاطرها . يعلّم « هدى » كيف تأكل بيمينها . يهمس إلى « مها » ألا ترفع صوتها على أخواتها ، أو أترابها . يقوم إلى « منى » يحملها فوق ظهره . . . لماذا تغضبين من أخواتك . هل تغارين ؟ . لن تكونى إلا امرأة ! . يتبسم لشقاوة « سها » يجذب شعرها الفاحم . تجهش بالبكاء . . . لا . لا تكونى كاذبة . تخدعين ـ بالبكاء ـ من ؟ . أبوك ! .

كلهن تاج . درّته « رنا » . تبدو وديعة . خجولاً . لو تستمرين إلى النهاية هكذا . يهاجر بهن إلى هناك . إلى عالمه . بشرط أن يكون أباً

●

طرقه ثانية على الباب . .

لو يقدر على الرد ! . .

كان الوقت عصراً . على كرسى مقابل قعدت حماته . باسمة .

ـ أين ؟ .

ـ حبيبة القلب ! ستعود بعد قليل .

ـ أقصد أين الأستاذ ؟

ـ طمئنى عنك أنت . تكلم .

ـ ألا أستطيع أن أقابله اليوم ؟ .

ـ ربما غداً . لا أريد أن أوقظه وهو مريض .

يومها . رأى لها وجوها بعدد الكلمات التى نطقت ، كانت واحدة من الحرباوات التى طالما سمع عنها . احتقر كل نساء العالم . أخذ يمنى نفسه بأن زوجته ـ ابنتها ـ سوف تكون شيئاً

آخر . قفز إلى ذهنه كل ما سمعه عن النساء وهو صغير . وكل ما رآه بعد ذلك . حتى الشابة ـ جارتهم ـ كانت وجنتاها أكثر توردا . وعيناها أشدّ بريقاً وجلاء . بعد يومين فقط من رحيل زوجها . . . حتى دموع الحزن يا . . ، يا امرأة ! . تستغليها لتعلنى عن الميلاد الجديد . تتمنين لى ذلك ؟! . لن أتيح لك هذه الفرصة . تريدين دفنى فى قبر الحياة . تحاصرينى من كل الجهات . لن أعلن الاستسلام أبداً . . .

فى شبابه . كان يتحدى ـ بها ـ العالم . بدت له شيئاً آخر . قبل أن يغوص إلى أعماق أعماقها . أزاح قناعاً بعد قناع . لم يصل إلى الوجه الحقيقى . تخطى كل الأقنعة . . دون جدوى . يحيره السؤال : كيف عرف الذئب ـ بعد أن أرضعته النعجة ، وربته ، وأنقذت حياته ـ أن أمه من جنس الذئاب ؟ .

●

طرقه ثالثة على الباب . . .

تخرج المرأة ، تطل بالقناع الباسم . أنين الباب يسرى فى الهدوء المفاجىء . هادىء الصوت . لا بأس . لكن . . . كيف يرضى المريض المبتلى بأن يجرى ما يجرى ؟ . لا يريد له أن يمر بالتجربة نفسها . سوف يفشل الفشل نفسه . وينام النومة نفسها .

ـ أبشع شىء ألا تصدقنى ـ يابنى ـ إلا بعد أن تتورط . كيف أتحدث إليك . وهل تسمعنى ؟ .

عبر الصمت التام . تحاصره أصوات الملاعق فى الأكواب . قبل قليل طلب ماء . لو تذهب إليه بأحد الأكواب . تطفىء عطشه . ربما ينسى . الثلاثة فى الحجرة . . . الأم ، وابنتها ، والشاب .

ـ لكن أين الأستاذ ؟

ـ طمئنى عنك أنت . تكلم ، . .

لن تكونى إلا ابنة أمك ، تركته يعانى حتى . . . لا . لا . لن أكونه أبداً .

لست مثل أبيك . كم حاولت أن أرفعك إلى منزلة بنى آدم . لكنك أبيت إلا أن تكونى امرأة .

ـ ألا أستطيع أن أقابله اليوم ؟ .

ـ ربما غداً . لا أريد أن أوقظه وهو مريض .

ـ كنت أبحث فى الصحف والمجلات القديمة . عثرت على مقالات وقصص . موقعة باسمه . كنت أريد أن أناقشه فيها إن كان صاحبها بالفعل .

وأريد أن أحصل ـ منه ـ على نسخة من كتاب له .

ـ كل الرجال يكتبون فى تلك السن . وبعدها يكون العجز .

العجز ! . لن يعجز عن أن يكون قوياً . يجذب ذراعه بعنف من تحت الغطاء . يرفع الغشاء عن عينين أكثر تألقاً . يتنبه إلى وجود المرآة . مع أنها موجودة منذ زواجه فإنه لم يرها منذ مرضه . يرى فيها شخصاً ـ كأنه هو ـ ممدداً تحت الغطاء . يسرى دبيب الحياة ببطء تحت الجلد الجاف . خطوط الزمن تنسحب . تتقهقر أمام عينيه . يستجيب الوجه . النضارة تكسو الوجه كله . كل ذلك عن الوجه فى المرآة . فماذا عن وجهه هو ؟ . يغمض عينيه . لا يرى فى المرآة شيئاً . يفتحهما . يفتح الآخر . يعبس ويتوعد . يعبس الآخر ويتوعد . يبتسم لا مبالياً . يظل الآخر عابساً متوعداً . يراه يدفع الغطاء بساقيه . فى هدوء ينهض . يسجل انتصاره فى دفتر الحياة . يمحو اسمه ـ وكان قد كتبه بعد اسم أبيه ـ من دفتر الموت . متمهلاً يمشى . تخنقه الضحكات . الشاب لم يعد يسأل عن الأستاذ . كلمات كالتى كان يسمعها من حماته . أيام الخطبة شهاب سريع يذوب فى فضاء أوسع . ما أتعس أيام الزواج . هذا الغرّ لم يستمع إلى نصيحة أحد . آن له أن ينصحه . يصطدم بالأكواب . تتكسر . لا أحد ينتبه . . . هل أستأذن ؟ . . . الوقت طويل وممتد . . غداً أرجو أن أقابل الأستاذ . . . لقد أوحشتنا من الآن . . . كيف الانتظار إلى الغد ؟ .

غداً سيأتى الشاب . مهنئاً أو معزياً ؟ . سيلتقيان للمرة الأولى . . . وربما الأخيرة .

تودعه بالنظرات المتألقة . يكتسى وجهها قناعاً جديداً .

تستدير إلى الخلف . لا تقوى حتى على الصراخ . . .

ـ أنت ؟! .

يلتقط سكيناً . يهم بالدخول .

القاهرة : سعد القرش

محمد سـليمان

قصـــة

ولا تمـر العاصـفة

* لما حياني جاري وهو مارٌ عن بعد ، رفعت يدي أرد التحية ، وزيادة في الاحتفاء أحنيت له رأسي .

* ونظراً لأن سقف السيارة التي تقلني إلى عملي منخفض ، فان رأسي كثيراً ما يصطدم به . لذا أتوخى الحرص دائماً ـ صاعداً وهابطاً ـ على إحناء رأسي .

* وكنت قد رجوت زوجتي أن ترتق فردة الجورب فغمغمت ببضع كلمات لم أتبين منها سوى قولها في النهاية : هو أنا حاعمل ايه والا ايه ؟ . . من ثم اضطررت صاغراً لإحضار الإبرة والفتلة ، وعكفت بنفسي على رتق الجورب حانياً رأسي .

* أما بخصوص الخلاف الحاد الذي نشب بيني وبين رئيسي في العمل ، وبرغم يقيني أني على حق ، فقد همس لي أحدهم بلهجة النصح : مهما كنت على حق فان له وسائله في الانتقام . . المكافآت . . الحوافز . . البدلات ولا تنسى الترقيات عندئذ أفقت لنفسي وتذكرت أن موعد الترقية سيحين هذا العام ، وأن الترقية يصحبها علاوة ، وأن العلاوة محسوب حسابها مقدما لرتق إحدى الثغرات الهامة في ميزانية البيت المتهرئة ، فانتابتني الحيرة .

* لبثت ساهماً بعض الوقت ، فعاد يهمس : احن رأسك حتى تمر العاصفة . . فأحنيت .

* وحمداً لله ألف حمد . . فلولا أن أحنيت رأسي في اللحظة المناسبة ، لاصطدمت بها كرة الشراب الضخمة التي لمحتها قادمة عن بعد في تصويبة رائعة ، جعلتني أتساءل بانزعاج شديد عن مغزى العلاقة بين رأسي الأصلع والكرة . . وما إذا كان الوهج الشديد البازغ منها بات مصدر جذب للكرات . . خاصة منها الشراب ! أم ترى التطور قد لحق لعبة الكرة الشراب ـ دون علمي ـ فتغير شكل العارضة التي يصوبون نحوها من المربع إلى المستدير لكن هاجساً ظل يلح بخاطري أن المسألة قد لا تكون هذا ولا ذاك ، وأن ما شاهدته ربما لعبة جديدة تشبه لعبة البلى التي كنا نلعبها صغاراً ، وقد حسبتها لسذاجتي لعبة الكرة الشراب !!والحق أن نفسي قد استراحت تماماً لهذا التفسير ، إذ أنه المبرر الوحيد لتلك التصويبة المتقنة التي كادت تطيح برأسي . . لولا أن أحنيتها .

* وفي البيت لبثت أتأمل صلعتي في المرآة خفية ، وقد داهمني يقين جارف أن ثمة علاقة أكيدة بين كثرة الانحناء وتلك الرقعة الجرداء ، وأن ذلك السياج المهوش من الشعر الكث الذي يحيط بقفاي والذي أتاح بلا شك لمصوب الكرة أن يحدد هدفه بوضوح تام ـ قد بات مصدر خطر أكيد ينبغي تخفيفه بالذهاب إلى الحلاق .

ويخفق قلبي بشدة عندما أتذكر نصف الساعة الرهيب الذي أمضيه أمامه محنى الرأس كمذنب نفذ فيه حكم الاعدام ! .

ـ أسعد الله مساءك . . .

أنجح بصعوبة في إخفاء نبرة الخوف . أجلس . يحيط رقبتي بالفوطة . يسألني عن الأحوال . أرد باقتضاب . يبدأ الإيقاع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقوة مثيرة يتملكنى الخوف . يغوص قلبى بين جنبى . أبادر كمن يتصدى لدرء خطر محيق :

ـ وحياتك ياأسطى « هلال » أنا عايزك تخفه بس . .

ـ حاضر . من عينى .

أعرف أن عبارق هذه سوف تذهب بعد ثوان أدراج الرياح . أرى تقاطيعه فى المرآة وقد تقصلت مثل قائد الأوركسترا الغائب عن الوعى . يلبد الرعب فى قلبى كخفاش مقيت . أغمغم بالشهادة . تمضى الثوانى بطيئة حتى أفيق على وقع الحركة الثانية . أستشعر دغدغات « الماكينة » الخاصة بالتدريج . تخفت نبضات قلبى وأبلع ريقى . تسترد أعصابى هدوءها نسبياً سرعان ما تطيح به طرقعات المقص الرهيب الذى يشارك الحركة فجأة . مرة أخرى يغوص قلبى بين جنبى . فأهتف بتلعثم :

ـ وحياتك متنساش يا أسطى « هلال » . . أنا عايزك تخفه بس ! .

ـ حاضر ياأستاذ . . ما قلنا حاضر . . هى سورة .

ألمح رأسه القنفذى يتحرك فى المرآة ضيقاً . ألوذ بصمت المغلوب . يستشعر جفاء لهجته فيعاود الشرثرة من الشرق والغرب . تتوقف فجأة طرقعات المقص . تتوتر أعصابى . أحس وخزات طرفه المدبب تضرب قفاى كمنقار ديك شرس . يلمؤنى الرعب . أتذكر حصار الديك الرهيب فى ركن العشة وأنا صغير . ربع ساعة ويزيد يتحفز . يقفز . ينقر ساقى ، وصراخى يملأعنان السماء ولا من مجيب . إحدى الجارات صعدت بالصدفة تنشر غسيلها فأنقذتنى . من وقتها لم أقرب العشة بل ولا السطح ! .

تخفت حدة الوخز . أخاله يجهز نفسه بحثاً عن شعرة معاوية . يمط الوقت لا لشىء سوى ليحلل الجنيهات الثلاثة . أتذكر زوجتى فجأة تستبد بى مشاعر الغيظ . .

ـ ياعزيزتى . . ممكن تفضى نفسك شوية .

وأتحسس قفاى فتدرك مرادى . تسأل بهدوء مثير وهى تبتسم ابتسامة غير مفهومة : ـ

ـ هو بياخد كام ؟

ـ هو مين ؟ .

ـ المزين ! .

أكظم غيظى بصعوبة . أعرفها تهوى الفصال فى كل شىء . لكن أن يصل الأمر إلى قفاى .

أبتلع الإهانة . يختلط الأمر فلا أدرى ان كانت جادة فى سؤالها أم تمزح .

ألوك غيظى قائلا : ـ

ـ تلاتة جنيه . .

تنفجر ضاحكة فجأة : ـ

ـ على إيه ياحسرة . . آل ياجحا عد غنمك ! .

ـ عليكى نور . واحدة نايمه . . والتانية فطيس . . يبقى إحنا أولى بيهم . . أهم يسدوا خانة .

يسود الصمت . . تبدو كمن تقلب الأمر فى ذهنها . تتفرج أسايرها وتقول : ـ

ـ آخد اثنين جنيه !

ـ يا « كريمة » عيب . . دا مش حا يأخذ منك أكثر من دقيقتين . .

ـ خلاص روح له وادفع التلاتة جنيه . .

تأخذنى العزة فأهتف حانقاً : ـ

ـ انت فاهمة المشكلة فى التلاتة جنيه ؟

ترمقنى باستغراب . يحدونى الأمل فأقول :

ـ المشكلة زهقت وتعبت . . . أكثر من أربعين سنة أوطى له دماغى . . وكمان أديله فلوس ؟! . . يعنى مش كفاية على الشغل . . والبيت . . والشارع ؟ . . كمان المزين ! . زهقت يا كريمة . . زهقت ! .

تأخذها الدهشة فتخبط صدرها قائلة :

ـ شارع إيه . . وبيت إيه وشغل إيه . . مالك ؟! عالعموم ما تزعلش . . أنا كنت باضحك معاك . . خليهم جنيه زى بعضه ! لكن قبل أن يستبد بى الغضب تستطرد قائلة :

ـ حالاً . . أصفى القوطة وافضى لك . . ثلاث دقائق بس . .

تعود الابتسامة لشفتى فأغمغم مداعباً :

ـ ما تنسيش المشط ! .

ولا تكاد تمضى بضع ثوان حتى تتوالى الطرقات فوق الباب . ويبدأ الأمل فى الشحوب إثر قدوم الأولاد . هذا يصيح . ذاك ينوح . تلك تضحك . أنسحب أنا فى قنوط بعد أن أتحسس جيبى لأطمئن على الجنيهات الثلاثة ! .

أفيق على صوت الأسطى هلال الأجش يقول :

ـ ارفع رأسك من فضلك . .

أرفع رأسى ؟ . . أخيراً . . حمداً لله الوحيد الذى يطلب منى ذلك دون سائر خلق الله . مست عبارته وتراً حساساً فى قلبى . كدت أسأله كيف ، لكن لذعة الصابون فوق ذقنى أعادت لى صوابى ! .

تسترد عروق رقبتى توازنها مع الحركة الثالثة والأخيرة التى أرفع فيها رأسى . يحفظ تضاريس وجهى جيداً . ينتهى سريعاً ويبادر باحضار الفتلة . أشير إليه بانزعاج ، يضحك ، ينزع الفوطة عن رقبتى ويقول : نعيماً . . .

أهتف بلا وعى : الحمد لله . . قصدى أنعم الله عليك ! .

وينتابنى الذهول عندما اختلس النظر إلى رأسى فى المرآة فأراها قطعة بطاطس مقشورة .

أهتف بغيظ :

ــ ياأخى أنا مش قلتلك تخفه بس ؟ .

ويرمقنى بنظرة ذات مغزى . يقول وابتسامة ساخرة تعلو شفتيه :

ــ حاضر . . المرة الجايه . .

نفس العبارة التى يقولها لى كل مرة . .

وتظل ابتسامته الساخرة تطاردنى طوال الطريق حتى يلقانى جارى بالصدفة . يصافحنى بحرارة . . يتأمل رأسى فيما يشبه الانزعاج . يسأل بقلق :

ــ أنت كنت عيان واللا إيه ؟ .

ويختلط الأمر على من جديد فلا أدرى أن كان جاداً أم مازحاً . أرمقه بنظرة فاحصة . أرد باقتضاب عاقداً ما بين حاجبى :

ــ آه . . شوية انفلونزا بسيطة . . الحمد لله . .

لكن بوادر الشك تلوح فى عينيه وهو يمسح رأسى بنظراته . أصطنع ابتسامة باهتة وأفر من نظراته . أحسم الموقف قائلا بسرعة : ــ

ــ سلامو عليكو . . . تحياتى للمدام والأولاد ! .

فى البيت كانت زوجتى غارقة كعادتها فى شؤون المطبخ . تسللت بخفة نحو المرآة ورحت أتأمل رأسى الجرداء . فجأة غمرنى يقين جارف أن ما أراه ليس رأسى . . إنما هو حالى ! .

القاهرة : محمد سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كامليا كمال

قصة الحصار

أطلقنى . . أطلقنى من سجن ذاتى . .

لسعة البرد الحقيقية تسللت من بين ضلفتى نافذتى المواربتين ، الستائر الشفافة تمددت وتموجت فوق وجهى . . أشعة الشمس الغائرة أرسلت شعاعاً دقيقاً تمدد على أرض الغرفة . . الضوء والهواء داعبانى . . صفو السماء أيقظنى ، تجمعت حواسى على نور قادم من بعيد . . اجتاحتنى ثورة مفاجئة . . متى . . ؟ لا أذكر . . لا أعلم . .

العقل الباطن دخل إلى العقل الواعى . . صارا فى حالة تلاحم . . طوفان كان يجيش داخل نفسى أثناء النوم . . تيقظت كالمذعورة . . ومشيت من فراشى فى قفزة واحدة . . ثمّ صوت داخل البيت . . أجهل مصدره . . انتفضت . . وانتفضت عنى أحاسيس حانت اللحظة الحاسمة . . تدخلت الأقدار . . أزاحت عنى كل ما كان دخيلا على نفسى . . دبت الحياة فى أوصالى . . دفعتنى روحى . . التصقت بروح الطبيعة ذبت فى جمال الكون روح خفاقة تلبسنى طافت بى . . استنشقت عبير الوجود . .

فى اللحظة كنت أفكر فى كل شئ . . انسحبت من عالم الأرض . . مشيت بخفة كانت مدفونة فى أعماقى . . لم يتسع لها ادراكى . . أكاد أطير . . أحلق . . أتحرك . . أدور حول نفسى . . لا أحدد المساحة التى قطعتها . . لعلها واسعة جداً أو محدودة جداً . . لا أعرف . . انطلقت . . انطلقت ـ رأسى تخبط فى باب المطبخ . .

قبضة مفاجئة قبضت قلبى . . تهاويت من علو روحى . . وقفت مكانى . . تحددت حركتى . . أدركت حدود مساحة انطلاقى . . زادت كثافة جسدى . . وقفت أمام الباب . . أشاهد الموت فى عالم الأحياء . . الموقد مشتعل . . إبريق الشاى فوق الموقد . . الماء يغلى . . وجه ، متغضن قريب من وجهى . . شعر أشيب كثيف . . قامة نحيلة . . ملابس نوم . . تعال حمام . . من يكون . . ؟ أعرف هذه الملامح . . أعرف هذا الرجل . . لكن ما معنى وجوده فى البيت . . ؟

اقترابه منى يكاد يخنقنى . . أنفاسه تكتم أنفاسى . . تجمدت كتمثال من الثلج . . ارتجف الكلام على شفتىّ . .

– من أنت . . ؟

ابتسامة استهزاء ضلّلتنى . .

– حالة جنون مفاجئة . . ؟

سألنى واستدار نحو درج الملاعق . . سألت نفسى ولم تجب . ما معنى وجوده فى المطبخ . . ؟

ابتسامته أثقلت صدرى . . أحبطت حركة خفاقة فى قلبى كانت تحملنى على جناح الإنطلاق . . مشى وهو يحمل صينية الشاى والإفطار مشيت وراءه . . صدى فى نفسى يحدثنى بأن لى عنده شيئا . . أخذ منى شيئا وتركنى أمشى وراءه أتكلم ولا يسمع . .

– من أنت . . ؟

لم يهتز له ساكن . . ابتسم بفتور وصمت . . صرخت . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- أطلعنى على أوراقك الرسمية . .

ضحك باستهزاء وقال .

- أكبرك بثلاثين عاماً . .

درت حول المنضدة والمقاعد . . درت حوله هو - تكلمت كثيراً أو قليلاً لا أذكر . .

- ما علاقتك بى . . ؟

حمل كوب الشاى وقدمه إلى . . ثم أخذ الجرائد . . فتحها . . قلب صفحاتها . . اختطفت الجريدة من بين يديه . . مزقتها ورميتها على الأرض . . قذفت كوب الشاى على المنضدة . . اندلق . . ماؤه المغلى انساب على الزجاج . . جرى . . وجرت وراءه التساؤلات . .

- من أنت . .؟ لم ترتدى ملابس النوم وتقيم فى بيتى . . ؟

لم يجب . . ظل كالتمثال . . سحب مقعدا من مقاعد المائدة وجلس أمام كومة من قشر البيض . . أخذ يقشر بيضاً آخر ويرمى قشوراً فوق القشور . . تركنى أدور حوله وحول المائدة من شدة الغيظ . . أنثر قشر البيض . . أبعثره أمامه . . أسأله :

- أنت ليس هو . . ؟

- تتأرجحين بيننا . .

نطق الجملة بفتور ثلجى . . اضطجع على ظهر المقعد . . وضع ساقاً فوق ساق . . تهاوت مشاعرى ، استصرخت الجدران . . ضربت الحائط بيدى . . ألفّ كالمجنونة فى الحجرة . . قطع زجاج مكسور مبعثرة . . تعثرت فيها قدماى . . أجلستنى على الأرض . . لملمت قطعاً كانت متناثرة تحت المقاعد . . وضعتها أمامه قريبا من بصره . . سألته . .

- ماهذا . . ؟

أى شئ . .

أخذت قطعة من الزجاج رميتها بين قشر البيض . . أخذها بيده ونقلها إلى الطرف الآخر للمائدة وقال :

- كثير من الناس يتصرفون هكذا . .

الكلمة دوت فى سمعى . . حيّتى ضاعت . . طاقتى تجمدت . . حواسى كادت تتفكك . . صورة ضائعة فى الأعماق . . طفت . . اقتربت واقترب معها الصوت . .

- كثير من الناس يتصرفون هكذا . .

جرت وراء الصورة صورة مدفونة فى الذاكرة . . صوت ساخر يُطل من حقيبة اليد الصغيرة . . بضعة قروش تتأرجح فى الفراغ . . تسخر منى . . طرقات الباب تتوالى . . مطالبون . .

- الإيجار . . المياه . . الغاز . . الكهربا . . التليفون . . مطالبون . . ومطالبون . . القروش تتأرجح فى قاع الحقيبة تسخر منى . . بواب العمارة يطرق الباب يوماً بعد يوم . . يطالبنى بالإيجار المتأخر . . يشير بيده إلى الطابق العلوى ثم الطابق السفلى ثم الشقق المجاورة . . أصابع يدٍ تثنى أصابع اليد الأخرى . . يعد الشقق المفروشة فى العمارة والشقق التى تؤجر غرفاً مفروشة . . يتمم بصوت خافت :

- كثير من الناس يتصرفون هكذا . .

ثم يرفع صوته قليلاً :

- المستأجر رجلٌ مسن . . محال إلى المعاش - سيكون أباً لك . . فكرى ياست « إشراق » . سيشغل غرفة واحدة .

القروش تتأرجح فى الحقيبة . . صوتها يسخر منى صوت البواب يضغط على رأسى . . يحكم الحلقة حول عنقى . . شئ ما يتهاوى داخل ذاتى . . لحظات الاستسلام تسلبنى تدريجياً . . الكلمة تقال تلقائياً فى كل لحظة . .

- كثير من الناس يتصرفون هكذا . .

تتكرر . . تُعاد . . تلح . . تبتز كلمة الموافقة . . رأسى يومىء ، شفتاى لاتنطقان . . حصل على الموافقة . . لا أعرف كيف . . ؟ لكنه استطاع أن يحصل عليها . .

حقيبة الملابس دخلت من الباب . . اصطحبت وراءها الأستاذ « صنوان » . . عقد الإيجار تمدد على المنضدة . . أوراق البنكنوت تتحدى سخرية القروش . . يده المعروقة ربتت على كتفى . . التردد والخجل والحياء تصرخ فى صمت . . ابتسامته تغتصب ابتسامتى . . صوته ينفذ إلى سمعى :

- كثير من الناس يتصرفون هكذا . .

يختنق معنى فى نفسى . . الكلمة تختلف مع طبيعة مشاعرى تتنافى مع طبيعتى . . أقبلها رغماً عنى . . تخطفت شيئا من حريتى . . تجمد فى قالب محدود . . أختلف مع نفسى لأول مرة فى حياتى . . لم أفقد شيئاً ملموساً . . لكن صورة المكان تحولت فجأة إلى مرئيات لا تربطنى بها علاقة . ابتعدت المساحة بينى وبين حقيقة ذاتى . . غفوت عاماً بأكمله . . اليوم فقط زال الأثر . . استردنى إدراكى . . فى هذه اللحظة . .

بين قشر البيض المسلوق وبقايا الزجاج المتناثر . . أجلس على الأرض . . ألملمها من بين أقدام المقاعد . أسمع صوته

يرشف الشاى ، يقضم قطعة من البيضة المسلوقة . . أنثر فتات الزجاج أمامه فوق المنضدة . . يجمعها ويضعها فى جانب على الطرف الآخر . . دمى يغلى فى عروقى . . يفور فى رأسى . . أصابعى ترتجف . نهضت . . أمسكت كتفه بكلتا يدى . . تأملت وجهه . . صرخت . .

- أنت . . أنت مستأجر الغرفة ؟ .

الصورة تتلاشى من ذاكرتى . . السؤال يتوه بين شفتىّ أسأله :

- من أنت . . ؟

فمه يلوك الطعام بتأن . . الكلمة تخرج بصعوبة من بين شفتيه نصف حروفها غير واضح . .

- صن . . صنوان . .

- أعرف أنك صنوان . . سألتك من أنت . . ؟

ابتسامته المتهكمة تطفىء نار جنونى . . ترجعنى إلى الوراء . . أياماً أو شهوراً . . تقذفنى فى لحظة الاختلاف الأولى مع نفسى . شبح فقدان القدرة يلوح من بعيد . . الانفصال عن الحياة يُرسل إشارة ضبابية . . تسيل من مجرى شرخ طولى فى نفسى . . تحيطنى بالصمت . . تجلسنى على أول مقعد صادفنى . . تخنق ثورتى ، تضعنى فى قالب من جليد . . قدماه اقتربتا منى . . يدٌ أمسكت بذراعى ويد ربتت على كتفى . . صوتٌ جامد هادىء نفذ إلى سمعى .

- أنت مسلوبة الإرادة . . فاقدة القدرة . . لاتصلحين لشىء . .

الصوت تسرب إلى أعماقى . . تغلغل فى أيام مضت سحبتنى إلى اليوم الأول . . أو بعد اليوم الأول بأيام . . أخذ الايصالات وذهب إلى مصلحة التليفونات . . شركة الكهرباء . . شركة الغاز . . سدد المبالغ المتأخرة وعاد يبتسم فى وجهى ، يحيط كتفى بذراعه . . يقبل رأسى . . يقول نفس الكلمة :

- أنت لاتصلحين لشىء أتقبلها بحياء من قبيل « العشم الأبوى » . . وأصمت . . يذهب إلى غرفتى يصفف ملابسى . . يخرج المكواه يُعد المائدة يكوى الملابس المغسولة . . ويطبقها بنظام . . ويكلمنى عن نفسه . أنتفض فى مقعدى . . أحاول أن أختطفها من يده . .

- دعك من هذا يا استاذ « صنوان » هذا عملى . .

يبتسم ويقول :

« سمية » ابنتى كانت لاتعرف شيئاً عن أمور البيت ولا حتى عن ملابسها . . اعتدت أن أقوم بكل الأعمال . عندما عرفتُ أن أمها تزوجت من رجل آخر بعد طلاقها منى اختطفتُ « سمية » . . ومنذ ذلكَ اليوم . . لم أدعها تقوم بأى عمل أو تذهب إلى أى مكان بمفردها . . لم أفترق عنها لحظة واحدة . . يوم تزوجتْ لم أحتمل فراقها عنى . . تركت الاسكندرية وجئت إلى هنا . .

كانت الدموع تنساب من عينيه . . صوته يرتعش . .

- الحرارة عادت للتليفون . . اتصلت « بسمية » وأعطيتها الرقم . . سوف تتصل بنا الآن . . أو غداً أو حتى بعد منتصف الليل . . « سمية » لم تعتد على فراقى . . مؤكد زوجها لن ينسيها أباها ، لن يقوم على رعايتها كما كنت أفعل . . شتان ما بين حنان الأب وعاطفة الزوج . . لن يعوضها قطرة من حنان أبيها لايملك هذا القدر من الحنان شاب من شباب هذا الجيل المجنون ، ماذا يعرف عن كلمة الحنان . . ؟

اعتادت أن أضحى بكل شئ من أجلها . . حتى . . استقرارى ، عمرى كله أفنيته لأتفرغ لها . . شاب من شباب هذا الجيل الأهوج ماذا يعرف عن التضحية . . ؟

أسمعه . . تكاد الدموع تنساب من عينىّ بريق الحنان الأبوى يختطفنى . . حنان لم أعشه لحظة واحدة . . لم أعرفه قطّ . . نهضت من مقعدى . . أحطت كتفه بذراعى . . أسلمت عاطفتى لواقعه الذى يحياه . . انسلخت منى حياتى . . ذابت سلطتى على قراراتى . . تركته يفعل مايشاء . .

يغسل الملابس . . يكويها . . ينظف المطبخ . . يشترى الطعام ، يطهوه ، يغسل الأوانى والأطباق . . يحدّد حركتى يمنعنى من الخروج من البيت إلا بصحبته . . يفعل ما يشاء « سمية » لم تتصل به . . لعلها غرقت فى عاطفة شباب الجيل الأهوج المجنون ! عندما تتصل به سوف أسترد حريتى . .

كان جالساً أمامى . . وجهه يتقلب فى دوامات . . ابتسامته الباردة المتهكمة تطفئ وهج مشاعرى . . خطواته الثقيلة تخنق أنفاسى أحاول أن أهرب من حصاره . . أصرخ فى وجهه . .

- لا أعرفك! .

أخذ يكمل الرشفات القليلة الباقية فى قاع كوب الشاى . . كتفاه يهتزان بلا مبالاة . .

- كم أسرة أفرادها يعرف بعضهم بعضا ؟ من منّا يُحس بمشاعر أبيه أو شقيقه ؟ كل منا يحس فقط بما يخصه وما يتعلق به من مشاعر . . ولعله لايشعر بمشاعر زوجته . .

رنين غريب دوى فى سمعى أكاد أجن . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم تكلم عن مشاعر الزوجة . . ؟ من ستكون زوجته . . ؟

شئ ما دفعنى . . جريت نحو الباب . . فتحته . . خطوت خطوة واحدة كانت يده تشديدى . . تجذبنى . . أعادنى داخل البيت وأغلق الباب وقال :

- لسعة الهواء الباردة قد تضر بصحتك . .

النظارة السميكة أخفت الكثير من معالم وجهه . . توارت وراءها نظرات عينيه . . تباطأت خطواتى . . أهملتنى ذاكرة الحياة للحظة . . برودته أطفأت نيران ثورتى . . جلست على المقعد صامتة . .

ملامح أيام مضت تطل من بئر الفقدان . . لمسات حنان ضائع فى فترة زمنية كلها انتظار . . « سمية » لم تتصل بالأستاذ « صنوان » . الدموع لاتفارق عينيه . . جلال الحزن يتوج سلوكه ، باب البيت ينغلق . . النوافذ أيضاً تنغلق ـ يدى تقترب من الزجاج . يده تلاحقنى . . صوته يعم سمعى .

- لسعة الهواء الباردة قد تضر بصحتك .

قدماى تقتربان من الباب . . يده تشدنى . . قبل أن أخرج . . صوته الفاتر يجمّد مشاعرى . .

- نحن فى عصر مجنون أخاف عليك سرعة السيارات .

عُدْت . . جلست على المقعد . . نبضاتى اختنقت فى صدرى . . « الأستاذ صنوان » يشترى كل حاجات البيت . . يقوم بكل الأعمال . . الطبخ . . الكى . . التنظيف - غسيل الأوانى . . كل شئ . . لم يُعد أمامى إلا الجلوس على المقعد . . تحكمنى ثلاثة نطاقات . . الضمير . . العاطفة . . الحنان الأبوى . . لها صوت رعدى . . يهددنى . . يجبرنى على التحمل . .

- لو طلبت منه إخلاء الغرفة سوف يتلقى صدمة أخرى - وهو مايزال تحت تأثير صدمة زواج ابنته . . لو عاملته بقسوة سيحرم من بقايا استمتاع بحنان أبوى وإن كان مستعاراً . . اعتدت الجلوس على المقعد إلى جوار التليفون أنتظر مكالمة « سمية » ، واعتاد هو أن يفتح الباب كلما سمع طرقاً . . إذا كانت زائرة أو زائرا . . يستطيع صرفها بلباقة . . وأذا كان خطيباً تقدم لى . . يصده بأسلوب مهذب ويرفضه بلباقة الرجل المجرب . . ثم يأتى إلى بخطوات متأنية يعرض علىَّ ما حدث . . ويحاول إقناعى الرفض متعللاً بجملته الشهيرة :

- نحن فى عصر أهوج مجنون . . شباب هذا الجيل لا يعرفون معنى الحنان . .

للتو وضع فنجان الشاى الفارغ على المائدة . . أشاهده فى صمت . . ذاكرة الحياة تستردنى . . تُنهضنى . . دفعت المقاعد . . على الأرض . . جذبت الملابس فى الدولاب . . رميتها فى كل مكان سمعت صوتى يملأ البيت :

- نحن فى عصر مجنون . . الملابس تتناثر من بين يدى . . نعم . . مثلى مثل أبناء جيلى . مجنونة . . لا أعرف الحنان . كلنا أبناء عصر أهوج . . ثائر متمرد . . ملابس « صنوان » تبعثرت على الأرض . . وسائد فراشه . . أشياؤه الخاصة . يده ربتت على كتفى قال :

- ستعود إليك نفس الحالة التى أصابتك بالأمس ؟ وتتحطم الأكواب والأطباق . . ؟

- أصابتنى حالة بالأمس . . ؟ لمَ . . ؟ كيف . . ؟

كنت أقبل رأسك كما اعتدت أن أفعل وقلت لك إننى لن أطلقك أبداً كما طلقت زوجتى السابقة . .

ضحكت . . ضربت كفاً بالأخرى . . مشيت أضحك . . أضحك . .

- مستأجر الغرفة يقارن بينى وبين زوجته ! .

كلمت نفسى . . زوجته أم ابنته . . ؟ من منهما ؟ من أكون . . ؟ كيف أكون الاثنتين معاً . . ؟

« سمية » لم تتصل بالتليفون . . ولن تتصل . . « سمية » مانزال فى مستشفى الأمراض العصبية . . كنت أنتظرها مثلما كان يومها . . كان يعرف وكنت لا أعرف . . ابنته لم تتزوج . . لأنه تركها فى مستشفى الأمراض العصبية . . كنت أنتظر أن تتصل به . . أنتظر وأنتظر . حتى وقّعت على عقد القران . . انتظرتها حتى أصبحت زوجة أبيها . . وانتظرتها حتىّ أرسل المستشفى يستدعى « الأستاذ صنوان » . وانتظرتها حتى نسى أن يذهب إليها . .

يداى مانزالان تخرجان ملابسه من الدولاب . . تقذفها أمام ساقيه المتربعتين على الأرض . . يداه تلتقطان الملابس . . تلملمان القطع المبعثرة . . تعيدان تطبيقها بتنسيق . . يضعها فوق الأرفف . . مرة أخرى . . يدى تشد شعرى . . أصرخ . . لايسمع . . أضرب الحوائط . . لايتحرك . . اندفع كعاصفة مجنونة . . أجرى فى الشارع بملابس النوم . . بين السيارات . . أتوه فى الزحام . . أضيع بين الناس . .

اللافتة معلقة على شرفة طابق علوى . . الاسم مكتوب بخط أبيض على لافتة سوداء « عيادة الدكتور وجيه صبرى » للأمراض العصبية والنفسية . .

القاهرة : كاملیا كمال الدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الغنى السيد عبد الغنى

قصة الريـــــاح

لاح فى السماء نصف قمر ونجوم مبعثرة . . لا أدرى أين اختفت « وفاء » . . تزوجت واختفت . . ولم يعد هناك سوى صفحة داكنة سوداء ينبثق منها نصف دائرة ونقط ضوئية متناثرة وبقايا رسالة تحوى كلمات قليلة يأبى قلمى أن يكتب غيرها . . أدرك يا قلبى أنى قد استنزفت مدادك . . جفت فى حلقك كلماتى وأصابك ــ مثلى ــ الصمت والألم . . ريشتى أيضا أصابها الصمت والألم . . تجمد عليها اللون الأزرق . . ذات صباح تلاشى اللون الأزرق من صفحة السماء . . وتراكم عليها سحابٌ كثيف فغابت الشمس . . دفن السحاب شعاعها وذابت آخر ذبالة ضوء فى الرماد الداكن . .

انقضى الخريف بسرعة غريبة . . هاهو المساء يأتى ببرد قارس ونصف قمر محاط بنجوم مكبلة سجينة تطويها زنزانات الظلام . . . تطالع فى يأس غرفتى الكابية ذات النافذة الوحيدة التى تواجه كل يوم ما يفوق احتمالها . . فى الداخل كان المصباح الغازى يحاول أن يبث بعض الدفء . . بسرعة غريبة تبدل الكون . . تكاثف السحاب مع هجوم الشتاء ودوىُ الرعد ومْض البرق . . انهالت أمطارٌ غزيرة من السماء ونفذت فى لحم الجدران . . نفذت إلى السلك المدلى من السقف وفجرت المصباح فاستبدلت به آخر ذا ضوء واهٍ ألفته تدريجيا بمرور الأيام . . أوقده وأدمج حواسى فى ذبذبات فتيله حين ينسلُ الليل . . حواسى تتأرجحُ بتأرجح الظلال المترنحة لأشياء الغرفة . . أجل يا حبيبتى هذا الموسم ينذرنى ببدء شتاء غامض يحمل فى طيه بوادر المجهول لكن ملامحك الدقيقة مازالت تستحوذ على ذاكرتى .

لازال ينبثق من الظلام عينان زرقاوان وشعر ذهبى ينساب كالشلال الهادئ على كتفين عاجيين . . إنك أكثر تميزا عنهن وأستطيع إعادة تكوين « بروتريه » آخر لكِ دون رؤيتك . . أودعت السماء فى عينيك هدوء اللون الأزرق والشمس الغاربة صخب الإشعاعات الذهبية فى الشعر المنساب . . بعد زواجك المباغت فقدت ريشتى تلقائيتها القديمة ولم تعد لها القدرة على الإنجاز العفوى . . منذ أيام قليلة تسربت بقايا مياه الأمطار على الأجزاء الهشة فى الجدران فكونت لطعاً مائية شاحبة غيرت معالم الطلاء .

فى أوقات متفاوتة تنهار من السقف الأجزاء الواهنة لطلاء الجدران وتتفتت فوق البساط المتآكل فى تخاذل . . قالت لى ذات مساء .

ــ عليك بطلاء جديد .

قلت :

ــ ستشوهه الأمطار أيضا .

اللطع المائية المتطفلة تحدد فى وحشية الأجزاء الخاملة فى الجدران ويطفح فى حوافها الرشحُ الملحىُ كالبثور . . إنها توقظنى دائماً من جوف الظلام حين تداهم أحلامى بكوابيس هلامية فأظل أتقيأ وأتحسس بلا وعى اللاشىء . . قلت فى نفسى .

ـ سأغطيها بلوحاتي القديمة .

راحت تتأمل فى سعادة أشجارى وفتياتى والقوارب الشراعية وأبراج الحمام فى القرية البعيدة المعلقة بجدران غرفتى . . ووقفت طويلاً أمام الطفل الرضيع القابع فى صدر أمه . . قلت لها فى يأس :

ـ لم يُجْدِ الطلاء .

قالت فى حماس :

ـ ذلك أجدَى .

أطرقت فى صمت لكنها لم تبرح الوليد الذى تربض خلفه إحدى اللطع المائية تهدده . . فى ركن الغرفة كان الغبار يتراكم على لوحاتى منذ زمن بعيد . . لم يغير الغبار شيئا فيها لكنها تغيرت كثيرا حين علقت بجدران غرفتى المتآكلة وكأنها تتمرد على هذا الذى شرعت فيه .

●

فى جوف الشمس كانت تذوب توجساتى حين تم بينى وبينها ألفة غريبة . . تعرفت عليها وتعددت لقاءاتنا وللمرة الأولى أحسست بالتغير وانتماء الشمس والدفء والسماء واليم إلى الكون الكامن فى أعماقى . . أحسست بسريان عاطفة جامحة فى لمسات الأيدى والشفاه . . قالت فى إصرار :

ـ ستتلاقى كثيرا .

قلت :

ـ أجل .

استوعبت خلال تعدد لقاءاتنا ملامحها تدريجيا . . صرخ فى داخلى العالم الراكد . . انتزعت ريشتى الكثير من أعماقى فذاب الصراخ فى أشعة الشمس وتدفق فىّ طموح كل صباح يطالعنى برسائلها الكثيرة . . أعدت لها لوحة لقوارب شراعية مبحرة . . تكلّمتْ كثيرا عن الأمواج والرحلات الصيفية وشباك الصيادين وذكريات قديمة . . سألتنى عن السباحة والصيف والشواطئ . . قلت فى أسف :

ـ لا أجيد السباحة .

قالت ضاحكة :

ـ سأدربك .

قلت :

ـ سأغرق .

اليمّ فى عينيها يجذبنى إلى قاع مجهول . . فوق الرمال اطلقتْ ساقيها للريح نصف عارية . . انطلقت وراءها ودفعتها إلى الأمواج . . رحلت بنا الأمواج نحو الأفق . . قالت معاتبة :

ـ أنت تجيد السباحة .

قلت :

ـ تعلمت . .

ـ ممن ؟

ـ من عينيك .

ـ حتما ستغرق .

ـ سأحاول من جديد .

عند عودتنا كانت غرفتى تدخر لنا بقية النهار . . نفذ إلى أنفى عبق الملح من جسدها الأملس . . حل الظلام فودعتنى منتشية . . ها هو ذا الشتاء يأتى دون مقدمات فى الخارج . . يتلاطم سحابه فيدوى الرعد ككتل حجرية تهوى من حالق فوق أرض ملغمة . . البرقُ المفاجئ يلتقط كالفلاش صور مدينة مخنوقة فى لحظات . . ترشحت مياه الأمطار على الجدران لتكوّن تقرحات اللطع المائية . . رحت أجوب الطرق الغريقة . . لم أجد سوى مصابيح ذات أضواء واهية وأشباح تتدثر بالبرد . . أدركتُ خلال الأيام الأخيرة زواجها . . سألتها فى حدة :

ـ أهذا لم أرَكِ ؟

قالت لامبالية .

ـ تغيرت الأمور .

قلت :

ـ تغيرت أنت

قالت :

سأظل وفاء .

ورحلتْ . . كانت قطرات طفيفة قد بدأت تطرق زجاج النافذة فى رتابة لكنها لم تعبأ ورحلت دون وداع تحت الأمطار .

●

تكاثفت الأملاح الجيرية فى اللطع وسقطت من زاوية السقف طبقة محارية ثقيلة . . بدا خلف لطعة أخرى جانب من الطوب الأحمر وجزء من أسياخ الدعائم كانت قد أهملته الطبقة الأسمنتية . . استوضحتُ خارج الغرفة بعض شقوق متعرجة ذات أشكال ثعبانية . . تسرب الماء وبخار الهواء إلى الداخل وبدأ يرشح بالجدران فتميعت أشرعة القوارب المنساقة باليم والسماء وأصباغ الغروب . . تحولت إلى مساحاتٍ سيريالية القرية البعيدة فدفنت تحتها أبراج الحمام . . ضمر الثدى النابض فى الأم وصارت ترضع وليدها النزيف الملحى المترسب من اللطع . . قلت فى نفسى :

ـ سنعود يوما ما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تداركت .

ــ سينتهى الشتاء حتماً .

لكنى أعرف أن الشحوب قد استفحل فى الوجوه المعلقة مع الأشجار الهلامية . . تبدلت الأشياء إلى هلامياتٍ بيضاء تسبح فى فوضويات اللون الأصفر الباهت . . أجل كانت تنساق نحو طوفان الألوان الهستيرية . . الصمت كثيف . . أكثر كثافة من ظلام لايجدى حياله ضوء فتيل يترنح . . الصمت صارخ يفجر من الجدران عويلهم ونحيبهم المكتوم . . الرعد لايتقاعس عن رعونته . . يفجر مع البرق السكون والظلام . . الأمطار تتراشق . . تتحول إلى رذاذات ثلجية تستأنف الطرق المتواصل على زجاج النافذة فى إصرار . . أحسستُ بالرطوبة تسرى إلى عظامى فتوقعت فى داخلى . . أدرك يامصباحى أن فتيلك يناضل ليبدد عنى بعض الظلمة لكن على ضوئك أبصر المأساةَ عالقة على جدران هشة . .

توقف إصرار الندف الثلجية كأنما يعلن إخفاق محاولاته تجاه صمود النافذة . . ثارت بعض رياح . . توترت ضلفتا النافذة . . تدافعت الرياح إلى الداخل فانطفأ ضوء المصباح الغازى وابتلعنى الظلام .

الاسكندرية : عبد الغنى السيد عبد الغنى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد الشافعى عبد العزيز

قصـــــة

المـــوت .. خـــارج الـــرحـــم

الغربة غابة استوائية .

الحنين إلى الوطن والأهل . . كالنقر على جدار القلب . تحسُّه دون أن تسمعه .

السيارة تنهب الأرض . .

ينفرط الشوق . يتلألأ مع بريق العين . . واللهفة الطافحة بالبشر .

عبر النافذة . . تحيض الأرض بناظريه . تفر الدمعة الحبيسة كالطير . يجأر منبِّه السيارة . يصم أذنيه . يومىء له السائق بابتسامة لا لون لها ولا طعم . يحتقن الوجه . ينحنى على اللعبة النائمة بين قدميه . يرفعها إليه . يريحها بتؤدة على فخذيه . . بعناية . يتأملها بوله كالعاشق . أول ما ابتاعه من نقود وصلت ليديه . طائرة صغيرة ، تفرد جناحيها حين تعمل . اختارها من بين أنواع شتى . . يزدحم بها محل لعب الأطفال . طرب القلب واشتد وجيبه . صغيرة يتلقفها بين ذراعيه . الصغار يتيمون بكل ما هو بالفضاء . . الشمس . القمر . الطائرة . العصافير . عبس لحظة . تقوض داخله . . إذ فشل فى استحضار ملامحه . فجأة ضاعت ملامح الوجوه . وجه إمرأته ، إبنه ، أمه ، أبيه . أجهد ذاكرته . فرك ما بين حاجبيه . استعصت محاولاته . مضى عام فى حساب الزمن . مسح على جبهته الباردة بأطراف كالثلج . زفر فى حرقة . اليوم الواحد كدهر . فكيف تكون السنة ؟ ! .

تماسك . . يرمم الصدع . أغمض جفنيه . مال برأسه على المقعد . فى عمق الكادر تتحدد أطر الوجوه ، مطموسة المعالم . مغلفة بهالة ضبابية كثيفة . . جاثمة على الأفق ، فى ساعة شتاء مبكر . عند الجسر المعلق فوق مصرف تحفه من الجانبين أعواد البوص المغسولة بقطرات الندى الرطبة . كان آخر عهده بها . العينان الخضراوان فى لون البرسيم . . يتألقان بسؤال حائر متردد . يستجديه أن يعدل . تخور بقرة جفَّ ضرعها . تزوغ النظرات هاربة . تنفلت الكلمات متآكلة . . عاجزة . . تموت . أشاح بوجهه . استدار إلى الطريق . ندت صرخة . أعقبتها نوبة بكاء . سقطت أمتعته قسراً . حانت منه التفاتة فزعة . . كادت تهوى به فى انهيار . « حمادة » يخبط بأطرافه الهشة جميع الجهات منبطحاً على الأرض الترابية . امرأته تحول دون أن يمرق راكضاً خلفه . هرول إليهما . . يلملم شجاعته . كالجريح . . تعلّق وحيده بساقيه . ارتخى جفناه . تهدلت عضلات وجهه . انحنت تخلص قبضتيه . . تهدهده . . تضمه إلى صدرها . اختلس إليها النظر . هاله ما تكابده . وجه مربد كسحابة رمادية تنتظر لمسة ريح . ثوان . تقاطرت الدمعات فى صمت برفق ربت بكفه على ظهر صغيره . مطأطىء الرأس . عيناه لاتبارحان موطىء قدميه . يضرب فى الطريق لايتبين منتهاه .

حدس أن السيارة الأجرة التى استقلها من المطار . . قد تجاوزت حدود قريته . استمهل السائق . توقف عن متابعة السير . مسح بناظريه جانبى الطريق . يدقق النظر . تاه فى الأفق الممتد . عاود النظر من جديد . فطن إلى تكعيبة العنب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقلمة فى حذر لذيذ لحراسة نخلات ثلاث سامقات فى طرف منها عند مزلقان السكة الحديد . تدافقت إلى مخيلته أيام الصبا ومداعبات مجموعة رفاق المدرسة الثانوية بالبندر . وعبثهم الفوضوى ، وممازحاتهم وضحكاتهم المنطلقة بلا رقيب . أثناء انتظارهم للقطار الذى يقلهم فى رحلتى الذهاب والإياب اليومية .

دهمه صوت السائق متذمراً . أن يخلصّه من حيرته أو يستدل من عابر سبيل . علت شفتيه ابتسامة خاملة تتمطى إثر غفوة حالمة . اعتذر بهمهمات.يمتص غضبه . بعصبيّة يعود السائق أدراجه إلى حيث أشار إليه . تعجب . . لِـوَهَنِ ذاكرته ، كمن دبت فيه شيخوخة مبكرة .

ما إن لفظته العربة . حتى طفق يعدو نحو جسر المصرف الموصل إلى بيته . يتأبط لعبة وحيده بحرص . يئن كاهله بأحمال متنوعة . حقيبة سفر ضخمة . . حقيبة يد صغيرة . . شنطة سمسونايت . لفافه تهرأ غلافها الورقى . الأرض تتماوج لينة كأمواج البحر . الشمس تسلط أشعتها الدافئة على بدنه . . ينتشى . اللحظة المرتقبة تغسل معاناة عام كامل . كتم المفاجأة وأسرها لينغمس فى فيضها . يرتمى بين الأذرع المفتوحة . . كالواحات الوارفة . كمن ارتد إلى رحم أمه . يقتحم سمعه نباح كلب مذعور . ينتشله كالمقرور . يقطب . يعرف فيه كلب حراستهم . يتلصص الكلب برأسه من خلال ركام حطب جاف . . يرقب القادم . ينزرع فى مواجهته يعترض طريقه . يواصل الكلب نباحه بين إقدام نحوه واحجام عنه . يتمنى أن يكف . ألاّ يفضح أمره . ألاّ يفسد المفاجأة . يثب على مؤخرتيه . . يهاجمه . يتجمد . يستجمع قوته يحث خطاه فى كلل . على بعد خطوات من مدخل البيت تبدو امرأته حاسرة الرأس والجيب . تقتفى أثر الكلب . تستطلع ما يحدث . ينعقد لسانها عن الكلام . . فاغرة الفم جاحظة العينين . تقبل عليه منكرَة فى بادىء الأمر . تتردد . ثم تندفع متهللة . يلفهما صمت بليغ . تمتد أناملها المرتعشة تعانقه . يتبعها إلى صحن الدار ، واللعبة بقبضته . يتفحص الزوايا والجدران . يتنفس ملء رئتيه تلمع عيناه بألق ذى شجون . يهم بالكلام . تصيح بوالديه مأخوذة . بعجلة كالمخبول يجوس غرف الدار . . غرفة . . غرفة . . فى حجرة النوم يلمحه . . على الفراش غارقاً حتى أذنيه ، يداعب هرَّة . الهرة تتمرغ بين يديه فى دعة . يتأمله دون أن ينبس . يحبس أنفاسه . . يتفرس ملامحه . إنه بشحمه ولحمه ماثلاً أمام عينيه . يقترب من الفراش يشبع نهمه لرؤيته . نبضاته تتلاحق كالمطرَقة . يود أن يطوقه بذراعيه . . يلثمه بقبلات محمومة . يذوب كيانه كذرات تتسلل جسده الصغير . يتراجع . لا يقطع عليه خلوته . . لهوه البرىء يشفق عليه من المباغتة . تحين من طفله التفاتة عفوية قبالته . تئد ابتسامة ولدت على شفتيه . يتجهم وجهه . . خوفاً . يعتريه رعب مفاجىء . يكف « حمادة » عن مداعبة الهرّة . تنسل القطة هاربة . تمتد أنامله فى محاولة . . يتحسسه . يهدأ من روعه . يعرض عنه . . ونهنهات خافتة تغص حلقه . يهرع إلى اللعبة . يدير الزمبرك وقلبه يغوص بين ضلوعه . تفرد الطائرةجناحيها . . تنفرج أسارير صغيرة . . ومضة . ما أن يرقص داخله حتى ينفجر « حمادة » فى نشيج حار . يحاصره مغرياً إياه أن يأنس إليه . . يعرفه بنفسه . يهتف باسمه فى تخاذل . ينكمش الصغير . . يلوذ بجوار الحائط . ينشرخ صدره . . ينزف يأساً وحسرة . تدركهما زوجة مفجوعة . من خلفها والديه ، برفقتهما بعض الرجال والنساء من جيرانهم . . سرى نبأ عودته بينهم . يقفز « حمادة » من الفراش كالموشك على الهلاك . يلقى بنفسه بين أحضانها . يدفن وجهه فى صدرها . تمسح على رأسه . تكفكف دمعه براحة يدها . تطبع على وجنتيه قبلة حانية . تهمس إليه مفترة الثغر . تقدم إليه أباه . ينتظر الاستجابة . تتعلق حياته بكلمة ينطق بها الصغير . يشيح عنه . . تسارع بسبابتها ، تشير إلى صورة لأبيه على الحائط . يضحك واثقا (بابا) يبرق الأمل . يضىء حلكة غشيته . تتناول الطائرة . تجذبه من ذراعه أن ينضم إليهما . يلين الصغير . تشدّه اللعبة . يوليها كل مشاعره . يفترش الأرض . تعيد أمه تشغيلها بين ساقيه . يهمهم فى عالمه . فى محاولة أخيرة . . يجثو إليه . يشرع فى تقبيله . تثور ثائرة الصغير . ينتفض فى عصبية . يركل الطائرة . تتوقف . يستعدى والدته عليه . . أن تساعده . يطرداه من الغرفة . . ينسحب كالمقتول . والجميع كأن على رؤوسهم الطير . . من هول الصدمة .

فى الخارج ، على حافة المصرف . . أول ما يستقبله ، كتف أبيه ، فى عناق طويل . تصافحه الأيدى بابتسامة شاحبة وكلمات لايميز فحواها . يطوف حواليه بعينين مغرورقتين . يفوق من الغيبوبة البيوت الطينية . . ازدادت كلاحة . الوجوه التى تحيطه شابتها صفرة الهزال . الصدور الناهدة تكورت فى ضمور . سنابل القمح . . تقاوم فى ضعف هبّات الرياح . أنّات الساقية اضحت كالنواح . بلا تردد من جيب سترته الداخلية ، يخرج جواز سفره . بما أوتى من قوة . . يطوِّح به ليطفو على سطح الماء الآسن . سرعان ما ينغمر . يتنهد بارتياح . كمن أزاح عن صدره . . هم الدنيا بأسرها .

الجيزة : محمد الشافعى عبد العزيز

علـى عيـد

قصـــه

الغـريـقـــان

« مـا علينا إلاَّ أن نستسلم رويـداً رويداً حتى نعتـاد كـل الأشياء » قالت دون رضى : « حاولت كثيراً يازوجى العزيز ، لم أستطع » .

كـانت تقف بقامتهـا الطويلة ووجههـا الأبيض المستـدير الحلو ، وثوبها الأسـود الداكن ، لمحهـا بشكل خـاطف وهو يرتدى قميصاً قطنياً .

قالت : « إن الشمس ستكون ساطعة »

قال : « أحياناً » .

قالت : « بل دائماً »

صمت فاستطردت : « لابد أن نجلس فى جزيرة الشاى ، لأننى أحب أن أتأمل البطات الصغيرة الفرحة وهى تتقافز فى الماء وتصيح » .

نظرت إليه فوجدتـه يلبس الحذاء دون جـاس ، قالت : « فرحها يثير فى نفسى الفرح » .

كان قد انتهى من ارتداء ملابسه ، وكانت هى قد سبقته ، خرجا إلى الشارع . . راحت الشمس تغمرهما ، وفى الميدان رأت أن مساحة الشمس شاسعة ، وكـانت تنتفض من البرد العالق فى جدران شقتهما فطلبت منه أن تقف فى بقعة متألقة ، رفض ، وسحبها من يدها .

على محطة الأتوبيس قالت : « يبدو أننا تأخرنا » .

قال : « مازلنا فى الصباح » .

وقفا ، وحين أتى الأتوبيس ركبا . .

كانت الحديقة على مقربة من النهر ، والأتوبيس يقف على باب الحديقة ، لم يجدا مكـاناً ، وقفت جـواره ، نظرت إليـه بعنـاية . . استغـربت لمَّا رأت عينيـه ذابلتين تنـظران خـارج الأتوبيس ، ويديه فى جيب بنطلونه الباهت ، وتذكرت لحظة أن رأته أول مرة . . كـانت عيناه تلمعـان ، تملؤهما الفـرحة والـدهشة ، وكـانت أصابعـه تبحث عن أصـابعهـا دومـاً ، تمكسها ، تتشبث بها .

صاح واحد : « الزحام هو الزحام برغم أن اليوم عطلة » .

تنبهت أ ن المحصل يطلب منها ثمن التذكرة ، مازالت عينا زوجها خارج الأتوبيس .

بسـرعـة فتحت حقيبـة يـدهـا ، دخلت عينـا رجـل فى حقيبتها . .

الرجل يقف خلفها فى يده مطواة ، تبرق . .

انسحب ثلاثة من الرجال بعيداً عندما وقعت عيونهم على البريق .

قالت للمحصل : « اثنين »

أعطاها وابتعد ، اقترب الرجل أكثر ، أمسك حقيبتها ، شدها ، صرخت ، ضربها فى فخذها بالمطواة وقفز .

ظهرت بقعة حمراء على ثوبها الأسود ، صرخت ، اتسعت البقعة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظر زوجها إلى بقعة الدم وهى تتسع ، وقف متبلداً .

كان الأتوبيس قد اقترب من النهر ، نظر إلى الماء وهمس :

« لننزل هنا » تساقطا مع كثير من الركاب ، وعلى حافة النهر وقف ينظر إلى دمها هامساً :

« سأنزل إلى النهر وآتى لك بحفنة من مائه » .

قالت بحزن : « وهل حفنة من ماء النهر توقف تفجر الدم ؟! » .

دنا من ماء النهر ، انحنى ، مدَّ يده ، أحسَّ أن برودة الماء تمتزج بالبرودة التى فى داخله ، نظر خلفه ليصرخ فيها أن الماء بارد .

فرأى الدم يتدفق بغزارة . . انزلقت قدمه اليمنى واختل توازنه .

كانت تقف وسط بقعة من دمها ، وتراه .

لم يكن وجهه خائفاً ولا مرعوباً لكنه لا مبال . .

يغوص تارة ويطفو تارة أخرى ، حتى حمله ماء النهر بعيداً .

القاهرة : على عيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسرحيـــــــة

الشـــــــعلة

مســرحـــيـــة شـــعريـــة

محمـــد ســـليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشخصيات :

غيلان : شيخ فى الستين من عمره ــ متكلم
حماد : صاحب غيلان
على : صاحب غيلان
هشام بن عبد الملك : فى الأربعين من عمره
السجان :
جنود وحراس وعامة

« تجرى الأحداث فى أوائل القرن الثانى الهجرى »

المشهد الأول

المنظر : غرفة واسعة يقيم بها « غيلان » ويستقبل أصدقاءه وتلاميذه.للغرفة باب واحد إلى اليمين . . وكل ما بها يشى بالتواضع والزهد ورقة الحال ــ عند رفع الستار يرى غيلان قاعدا على سجادة وسط الغرفة بينما يقف صديقاه حماد وعلى إلى يمينه »

حماد : فكِّرْ ياغيلان
ستزُجّ بنفسك بين سيوف السُّلْطة
لن تستخرجَ من عُشش الفقراء جنودا
لن تكسرَ عُنق الريح
تهُدّ الجبل القابع فى قمته الوحشُ
ففكِّرْ . .

على : واذكر أحبابكْ

غيلان : أذكرهم حين أنير مسالكَهم
أذكرُ أيضا . . أن القاعد عن قول الحق شريك للظالمْ
والسّاكِتَ شيطانٌ يغوى النائم والمقهورَ ،
يُزيّن للبؤساء قميص البوس ،
ويُغرى السارق والمتجبِّرَ والكذاب

حماد : السُّلطةُ لن تتركنا
ستُلفِّق تُهماً
وتمدّ يدا صاعقةً

على : هل تحسب أن الناس ستخرج عندئذٍ
مُشْفِقةً . . أو غاضبةً . . . ؟
لا
حتى تنْصلحَ دواخلُهم
قل لى . . . من يدعمنا ياغيلان ؟

غيلان : « وهويقوم طاويا سجادته »
الجوْعَى . . والفقراءُ
حماد : ومنْ . . ؟
غيلان : والضعفاءُ التوّاقون إلى زحْزحةِ الباب
على : ومنْ . . ؟
غيلان : أفئدةُ المظلومين معلقةٌ بخُطانا
حماد : « ضاحكا » هذا جيش مهزوم يامولانا
جيش نَخرته الفاقة . .
على : « ضاحكا وساخرا » لايحمل غيرَ الضعف سلاحاً
غيلان : بل جيش منذورٌ للنصر
قد لا ينجح فى المعركة الأولى
لكنّ معاركَهُ تتوالى
حتى تنفتحَ بصيرتُهُ . . . فيرى قُوَّتَهُ ،
يعرف كيف يمدّ إلى اللؤلؤة يدا
على : ومتى يعرف . . ؟
غيلان : مهْتَنُا أن نجعله يعرف
حماد : كيف . . ؟
غيلان : حين نُصاحِبُهُ ــ نَسْتَغْرِق فيه
ونُلقى الشعلة بعد الشعلةِ ،
نهْتِك ظُلمتَهُ
فيمدّ يديه إلى الأصداف
على : فاذا لم ننجح
غيلان : البعض سينجح يوماً
حماد : والأمويون ؟
على : لن تسعدهم رايتُنا بالطبع
ولهذا سيفورون وينقضون ،
يدسُّون أصابعهم فى أعيننا
حماد : أو يرمون إلينا الخبز المسموم
على : وقد يثبون بأسلحة الفقهاء المأجورين ،
يُحِلّون ويُفْتون وقدْ . .
غيلان : « مهتاجاً ثائراً ، نحن نجاهد كى ندفع ظُلماً
ماذا لو أخْفقنا . . ؟
أو نهشتنا السُّلطة ،
هل نبغى مُلكاً ؟
فاذا ألقينا الشُّعْلة بعد الشعلة ،
ثم قُتلنا كنا شهداء
حماد : ولماذا لا نصبر حتى تنكشف الغُمَّةْ ؟

غيلان : للصبر حدود إنْ جاوزها صار خُنوعاً ومذَلَّة
هل تصبر حين تمدّ إليك النارُ يدًا ؟
حماد : لا
غيلان : فَرْقٌ بين المسْكَنَةِ وبين الصبر
الصبر سلاحٌ حين تغيب الحيله
ماذا نفعل حين يداهمنا المرضُ القاتل
هل تملك أن تُلجمَ زلزالاً ؟
تدفع عاصفةً ؟
حماد : لا
غيلان : هذا ما نقصده بالصبر
أما أن تخشى ذئبا أو رجلاً
فتكوِّمُ نفسك فى الزاوية . . فهذا جُبن
على : فاذا كان الرجلُ قويًا
مسنوداً بالمال ومتْبوعا بالجنْد
غيلان : تتقوّى . .
تبحث عن أمثالك
تجمعهم وتوَحِّدهم فتصيرون جيوشاً
على : فاذا أخفقنا ؟
غيلان : نبدأ ثانيةً
حماد : فإذا لفّ اليأسُ قلوب الناس ،
وأفرخ فيها الخوف ؟
غيلان : آه
يولد عندئذٍ قهّارون طغاةٌ
يمشون على الأجساد يعيثون فساداً
عندئذ أيضا
يرمى الله علينا الذلةَ والمَسْكَنَةَ ،
فنُقعى فى الظلمة كالحشرات
إلى أن يأكلنا الخوفُ القابع فى داخلنا
حماد : أعرف أنك لن تسكتَ حتى تجعلَ ،
من نفسك حَطباً للنار . . لماذا لا تتريثْ ؟
هذا عُمَرُ الصالح . . . ينْتَسب إلى الضعفاء ،
حفيد بن الخطاب يُحبّك ، يسألك النُّصْحَ
ويقعد فى أروقة المظلومين ففكّر . .
غيلان : أعرف صدقَ عمر
ولهذا يكرهه الأمويون
يضيق به الواشون الغشاشون ،
وأعرف أنّ خليفتنا أشجعُ مِنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهو وحيدٌ
والأمويون يلفّون عليه أصابعهم
ينتظرون نهايتَهُ
فالسُّلطة ليست فرداً ياحمّاد
السلطةُ هَرَمٌ فى قمته الرأسُ
وتحت الرأس جموعُ المنتفعين

على : لهذا فخليفتُنا يبحث عنك وعنّى

غيلان : كى يهدمَ هذا الهرمَ الباغى

حماد : أو يهدمنا
حين يشدّ إلينا الأبصار ،
يُطوِّقنا بسيوف الحقدِ
لماذا لا يتركنا نكتب أو نتكلم ؟
نوقظ فى مجلسنا الناسَ
نبصرهم ونعلمهم

غيلان : والهرمُ الباغى ؟

حماد : لم نصنع هرم السلطة ياغيلان

غيلان : وخليفتنا لم يصنعهْ

على : بل شارك فى صنعهْ

غيلان : مثلى . . أو مثلك

على : كيف

غيلان : شارك قبل خلافته بالصمت
وشاركْنا
ثم صحا
وتمرّد حين تربّع فوق الهرم الباغى
صار عدوا للواشين الخطافين ،
لهذا . . . .
فعلينا أن نتصدى للظلم معهْ

على : أخشى أن يقتلك حماسَك ياغيلان
يستدرجك الحلُم
تصير طعاما لثعابين الليل وفئران الطرقات

غيلان : الخشيةُ سجن
فلماذا نسجن أنفسَنا
والله تعالى وسع أعيننا
وهدانا لنشُد إلى رحمته الناسَ ،
نُبلِّغهم ونُبصِّرهم ؟

على : أشهد أنى بلّغْت

غيلان : لا يكفى أن تتكلمَ فى صوْمعتكْ
تصرخ فى الخُلْوةِ ثم تنام خفيفاً ،
مرتاح القلب

حماد : تبغى أن نجتهَد أمام الناس ؟

غيلان يجتهد خليفتُنا عَلَناً

حماد : مِهْنتُنا أن نتكلم ياغيلان

غيلان : فى الشارع
بين حشود المظلومين . . ،
أنقعد تحت الحائط نلهو بالكلمات ،
وصاحبنا يقطع بالأسنان حبال الخوف ،
ويدعو الناس إلى مائدة النور . . ؟

يُطرق الباب . . . يدفعه الشرطى ويدخل

الشرطى : من منكم غيلان ؟
« متجها إلى على » هو أنت ؟

على : لا

الشرطى : « مشيرا إلى حماد » أم أنت ؟

حماد : لا

الشرطى : « وهو يتجه إلى غيلان » هو أنت إذنْ !
خُذْ

غيلان : ما هذا ؟

الشرطى : « وهو يناول غيلان الرقعة » مكتوبٌ عُمَر . .
يأمرك خليفتُنا بقراءته والعمل بما فيه
يخرج

غيلان : « يناول حماد الرقعة » اقرأ ياحماد

حماد : يبسط الرقعة ويقرأ
بسم الله
من عبد الله الطامع فى رحمتِهِ
والمتولّى أمرَ الناس عُمَرْ
غيلانُ
سلام الله عليك
أما بعد
فلقد قررنا أن نجتث جذورَ الظلم
نعيد الحق إلى أهلهْ
ولقد فكرنا وتأملنا
فرأينا سبل القهر اتسعتْ
الفقراء ازدادوا فقراً . .
الضعفاء انكسروا
واستأثر بعضُ الخطافين المختبئين ورائى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بصنوف النعمهْ
أكلوا حتى بَشِموا
خانوا . . حين انقلبوا تجّاراً محتالين ،
اتخذوا من شارات السُّلطة أبوابا للنهب
لهذا قررنا أن تُفرِغَ أيديهم
لا تتركْ أحداً
لا تخش الكبراءَ رؤ وس الجند وُلاتى أو أهلى
بِعْ ما لايمكن إيداعهُ بيت المالْ
كالبستان . . . أثاث الدور . . الأثواب ،
وكل المقتنيات الأخرى
لا تترك مالاً تتشكك فى مصدره ياغيلان
وتذكّرْ . . .
أنّ الرحمةَ فى غير مواضعها حُمقٌ
وتذكرْ أيضا
أن قعوَد المرء عن الإنصاف خيانه .

المشهد الثانى

المنظر : سوق لبيع التحف والأثواب والمفروشات والمقتنيات المصادَرة عند رفع الستار يُرى حماد وعلى يعرضان ويبيعان بينما ينادى غيلان محاولا جذب الناس إلى معروضات السوق .

غيلان : هلّموا إلى أموال الخونه
عاثوا فى الأرض فسادا
حين انطلقوا فوق خيول الجشع إلى أقْوات الناس
خزنوا الذهبَ وكنزوا الفضّةْ
ظلموا . . . واستتروا بخلافتهم
قالوا مال الله . . ونحن الورثةْ
وانقضوا كذئاب مسْعوره
حتى جاء الحق ومال الميزانُ
فصادرنا ما نهبوهُ وما أخذوه بحد السُّلْطه

حماد : من يأخذ هذا الثوب بدينارين

الرجل : « يُقلب الثوب »
جيِّدْ
لكنى أخشى أن تنكرَ امرأتى
حين تراني أتَبَخْتر فى ثوب خليفه

حماد : « يضحك ويعرض الثوب على رجل آخر »
هل تأخذه أنت ؟

الرجل الثانى : « وهو يتحسس الثوب » لا يصلح لى فنعومتهُ لا يحملها جِلْدى !

على : هذا الكرسىُّ التحْفه . . .
هل يصلح لك ؟

الرجل : « وهو يدور حول الكرسى » لا يصلح إلا لمِلِكْ
أخشى أن أقعد فيه فأنسى نفسى
أتوهّم أنى صرتُ أميراً . . .
أو مَلِكاً
عندئذ أتشبث بقطيفته أو تتشبث بى
فأضيّع رزق عيالى

على : خُذ هذا المصباحَ إذنْ . . .
سيُجمِّل بيتَكْ
ويسرّ المرأة والأطفال

الرجل : « يتأمل المصباح »
ما حاجةُ أمثالى للمصباح ؟
أعطانى الله اثنيْن
لا يحتاجان لزيتٍ أو منضدةٍ أو مِسْمارْ ؟
ألكى تكشفَ بَرَكتُهُ لامرأتى رِقّة حالى !
قل لى . .
« يشير الى سيف معلق » هل أُبصر سيفاً ؟

على : هو سيف تُحفه !

الرجل : هو ما أبغى
فأنا حَطاب . . أحيانا لا تسعفنى الفأس
وأحيانا تربكنى الأغصانِ المُشْتبكه
أحسب هذا السيف يُلقنها درساً

على : وهو ثمين أيضاً
يتوارى فى مِقبضه كنز

الرجل : كنز . . !

على : انظرْ . . . .
« يرى الرجل مقبض السيف »
ذهبٌ . . . أصدافٌ وكتاباتٌ سحريّه
هل تأخذه ؟

الرجل : كى أخدمَهُ بدلا من أن يخدمنى ؟
هل تحسبنى ملِكاً
أتسلّى بمضاجعة الحورِ ،
أُشير فيقفز نهرُ العَسَل ،
ونهرُ اللبن إلى شُباكى . . ؟

أم تحسبنى لصًا جاء يُضيِّع مالاً مخطوفاً ؟
أم تهزأ بى !

على : لا . . لا
أرجو أن تفهمنى
جئنا نعرض هذا المال عليكم
نعرض . . . ثم نبيع لمن شاء
هذا السيف الثروة لا يعجبك ؟

الرجل : تُحرِّف قولى

على : عفواً . . .
أقصد لا يخدم أغراضَك . . دَعه
« يعيد السيف إلى مكانه » وفتش عن غيره

الرجل : ما هذا المسْنود إلى الحائط

على : طسْتٌ من فضّهْ
لا ينفع أمثالك

الرجل : آه . . . : يبدو أنى ضيَّعتُ نهارى
فبضاعتكم لا تصلح إلا لأمير أو سلطان
أو لص . . .
« يخرج »

المرأه : هل هذا عِقْدٌ ؟

حماد : بل مِسْبحةٌ ياخاله

المرأه : مسبحةٌ تتلألأ ؟!

حماد : الخيط حريرٌ والحبّاتُ لآلىء
هل تنفعك ؟

المرأة : اتنفع أحدا . .
أبغى واحدةً تفتح باب الله لبائسةٍ مثلى
لا مِسْبحةً تتمسح بالشيطان ،
الحبّةُ تتوهّج مثل الجمرةِ
تحتال كعين العفريتِ
تُفرّق بين العبد وبين الرب
أعندك واحدةٌ . . عاديّه . . ؟

حماد : عفوا ياسيدتى
ما تبغين هناك على الأرصفة
وخلف المسْجدْ

المرأة : ما هذا ؟

حماد : كرسىٌّ ياسيدتى

المرأة : « تقترب وتتحسس المقعد »
آه
ما ألطفُهُ !
فخمٌ ووثير
لو كان بدارى مثلُهْ
لتشبث زوجى بليونتهِ ،
عشق البيتَ . . رعانى وتمسّك بى

غيلان : « يُلوح بثوب وينادى »
هذا مال الأيتام
خطفته طيورٌ جارحةٌ
خزنته بعيداً
حتى شاع الظلمُ ، انقسم الماء إلى ماءين
مياه عسَلٍ
ومياه مالحةٌ
واليوم نردّ لبيت المال متاعَ الخونه
نأخذ منهم عرَقَ البسطاء وحقّ المظلومين
ومستقبل أطفال يمشون حيارَى
فى طرقات ضيِّقة كالتابوتْ
هذا مال الأمويين المحتالين ،
اقتلعوا شجرته من قلب الأمّه
واتخذوه سلاحاً
ركبوه إلى معصية الله ،
فصاروا فُجّاراً . . .

« يدخل هشام بن عبد الملك »

هشام : « مقتربا من على ومشيرا إلى غيلان »
من هذا الشيخ

على : غيلان المتكلّم

هشام : « محتداومتجهاإلى غيلان »
ماذا تفعل ياغيلان ؟

غيلان : ما يعرفه أهل دمشق
أأنت أصمُّ . . . أم أعمى ؟

هشام : أوَلا تعرفنى

غيلان : هل يخفى جبّارٌ مثلك ؟
أنت هشام !
وكما تعرف
بعض المعروضات هنا
جاءت من بيتك

هشام : لا يعنى هذا أنى لصٌّ ياغيلان
أموالى يستكثرها الناس علىّ ،
بفعل الحقد
وبفعل الحسَد الملعون
كل فقير يتوهّم أنى صانعُ فقرِه
والقاعد لا يعترف بحجَر الكسَل القابع فى رجليه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيتّهم الأذكى والأنْشَط والفعّال
أنت فقيه تعرف ياغيلان كثيراً
عن أحوال النفس وتدرك أن العجز يسدّ العين ،
ويملأ صاحبه شراً

غيلان : عفواً
لن نتكلم فى أحوال النفس الآن
فأنا مشغول بالبيع ،
وجذب الناس إلى أركان السوق

هشام : أنت تبيع متاعى
وتُعرِّض بى ؟

غيلان : هذا مالُ الأمّه

هشام : لن نتكلم فى هذا الآن

غيلان : فيما نتكلم ؟

هشام : أنت تسبّ وتشتُم
تستعدى الناس
تحط بذور الفوضى

غيلان : بل نقتلع الفوضى
حين نُبين للناس دروبَ الكَسْب ،
نحُضّ الشرفاء ، نُساعدهم
ونصُدّ الخطافين

هشام : أقصد أنك تبذر فى الأفئدة الشك
تشُكّك فى الخلفاء ، الأمراء القادة
هلاّ أنجزت العمل بلا جعْجعةٍ
أو سبٍّ أو تجريحٍ

غيلان : لا أفهم قصدك

هشام : الأمر بسيط
نفّذْ أمر عمر
بع فى صمتْ
لا أفهم ما يدعوك إلى تأليب الناس ،
وازعاج السلطات

غيلان : نحن ننفذ أمر عمر
وهو السُّلطة

هشام : لا
السلطة ليست فرداً ياغيلان
قد يلمع فى قمتها . . .
يزهو
أو يتلألأ
لكنْ كالمصباح
يوما ينطفىء ويوما يسقطُ ،
أو يتبدّل

غيلان : أفهم من هذا . . . .

هشام : لا تتسرعْ
واذكر أنى أطلب منك فقط
ألاّ تشتم
أو تدفع هذا الحشد لخلع الطاعه

غيلان : كيف نبيع إذنْ ؟

هشام : فى صمتْ

غيلان : وكأنى أعرض شيئا مسْروقاً
لا أتحدث عن مصدره ،
أو أصِفُهْ
فأشكّك فيه الناس ؟!

هشام : صِفْ وتكلم
لكن لا تشتُمْ
لا تتكلم عن مصدر معروضاتِك

غيلان : هذا بيع خاص
لمتاع خاص
منقولاتٌ ، أثوابٌ ، تُحَفٌ
أشياء فاخرةٌ
لا يلمحها الناسُ على الأرصفِه
لهذا وجب علينا أن نتكلّم
نشرح للناس حقيقة هذا البيع
ومصدرَ ما نعرضُه ــ قل لى
أيبيعك أحد شيئا دون إبانَهْ ؟
أفلا تتوقف عند المَصْدَرِ والمظهَرِ ؟
قل لى . . . .
والمال كما تعرف مخطوف
أفلا يصبح صمتى عن سبّ الخطاف خيانه . . ؟

هشام : أنتَ تصِرّ إذن ؟

غيلان : هذا عملى

هشام : أنت تخاطِر

غيلان : أتهدِّدنى ؟

هشام : لا
لستُ عدوّا لكْ
لكنّ الأيام دُوَلْ
فتحسّسْ ياغيلان مواطىء قدمِكْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غيلان : مهملا هشاما ومتجها إلى جمهور السوق .
هلموا إلى أموال الخونة
ظلموا . . . . واحتالوا .
خطفوا دمَكمْ
. . . . . .

هشام : حسنٌ
يوما سأُسوِّد وجهك ياغيلان
أريك عقابى

المشهد الثالث

المنظر : نفس ديكورات المشهد الأول
رفع الستار يدخل المتكلمان على . . وحماد يجلسان على الأرض مستندين إلى الحائط مواجهين الجمهور

على : أوقعنا أنفسنا فى الفخ !
كنا مستورين
نتكلم فى مجلسنا
نرسم وطنا للبسطاء ونوحى بمقاومة الظلم

حماد : زمن ولّى
هل نبكيه الآن ؟
علينا أن نتهيّأ للمستقبل

على : مستقبلْ
والأمويون يدسّون علينا البصّاصين
يجوبون السِّكك وينتظرون الفُرصة ؟

حماد : أوجعناهم فى السوق
هشام يلازم منزلَه مُعْتلاً . . أو منتظراً

على : هل كان علينا أن نتصدر ياحمادُ
ونصبح قوّادا لجيوش متهالكة
أعطاها الجوعُ سلاحاً يسهل نزعه ؟

حماد : كنت أفضل أن نتمهل حتى نعطى الناس ،
سلاحا فتاكا

على : الوعْى ؟

حماد : إن جموعاً تتسلح بالوعى تُغيّر حين تشاءُ
وتعرف كيف تحب وتختار

على : يلتف الناس علينا حتى الآن

حماد : أغلبهم سيفرّ
البعضُ وراء الخبزْ
البعضُ ستغريه دنانيرُ هشام
والبعض الآخر سوف يخافُ . . ،
يملّ فيؤثر أن يتفرّج

على : من يبقى معنا ؟

حماد : قِلّةْ . . .
هُمُ الأفضل فى كل الأحوال
سيظلّون إلى جانبنا حتى آخر لحظة

على : لن تنفعنا القِلّةُ ياحماد

حماد : ستساندنا
تسحق معنا
ثم تقوم وتزهرُ أو تتكاثر ،
كالحبّة تخرج منها السنبلة
وسُنبلةً تملأ حقلاً

على : ومُهمتنا نحن ؟

حماد : أن نرعى الحبّة
نشحنها بالرغبة فى الإنْباتِ
نعلّمها عشقَ الأرض . . ونملأها أملا

على : فسِّرْ أرجوك !

حماد : نحن القدوة
نتكلم . . نشرح للناس . . نُوجّه ونُعلِّمْ وعلينا
أن نجتهدَ لكى لا نسقط من أعينهم

على : للكلمة سَطْوه
فلماذا لا نتركها تبْدل ما هيتهَم ؟

حماد : كل كلام لا يفعل لغوْ
الكلمة فِعل
ولهذا خلق الله العالم بالحرفين ،
وأرسل رُسلاً
سلح كلا منهم بالكلمه ،
هل ألقوها فى الناس وناموا . . ؟
لا
كانوا قُدوة
صدقوا الله وصدقوا أنفسَهم
عملوا بنّائين ونجارين وحطّابين رُعاةً
جاعوا . . فامتزجوا بالناس
وأوذوا فالتحموا بعُصارات الكون ،
وصاروا أُمما

على : والمتكلم مثلى أو مثلك ؟

حماد : هو من يلمح كوْنا فوق الكون
فيقرأ ثم يُقارن ثم ينادى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أو يصرخ فى البرّيهْ

على : لن يتركنا السفّاح هشام
سيسعى للإيقاع بنا

حماد : لن يمسّسنا فى ظِلّ عمرَ

على : الأمويون وراء هشام
هو صورتهم
وخليفتنا صار وحيداً منبوذا من أهله

حماد : صِرنا أفضلَ حالاً منه
فهو محاط بالأعداء

على : الناس تُحبّه
لكن الأمويين يسدون عليه الباب

حماد : ولهذا أخشى أن تقتله العُزله
أخشى أيضا أن تمتدّ إليه يدٌ فى الليلِ
بسيفٍ . . أو ماء مسموم . . أو
ينفتح الباب . . يدخل غيلان صائحا

غيلان : مات عُمَرْ !

حماد وعلى : ماذا ؟

. . . . . .

غيلان : اجتمع الأمويون لتنصيب خليفتهم

حماد : كلّهُمُ هشام

على : هل مات قتيلا ؟

غيلان : لا . لا يعرف أحد
قالوا كان مريضا فى اليومين المنصرمين

على : سَمّوه !

حماد : ليصير هشامُ خليفه

على : أما نحن فقد صرنا هدفا للثأرِ ،
أرى أن نهجر ظِلّ دمشق
نفرّ إلى الصحراءِ
نفتش عن ناحيةٍ لا يدركنا فيها سيفُهْ

غيلان : الهرب خيانة !
لن أتخلى عن فقراء مدّوا أيديهم لى
لن أُسقط من أعينهم حُلما

على : لن تُسقط حلما حيّا ياغيلانُ
وأيضا لن تزرعه عنوْة
وأرى أن نمتحن الحلمَ الآن
فاذا كان قويا . . وحقيقيا
دافع عن خُضْرته . . دار . . تشبّثَ ،
صار سلاحاً
أما إن كان طُفَيْلاً كالعُلّيق يريد جداراً
أو جذعاً يستند إليه فلا جدوى منه

غيلان : هل تنسى أن لدينا حلما ؟
جاءتنا الفرصةُ كى نمتحنهْ
واهرب دليلُ سقوطٍ
وعلامة خِزى
ماذا يحدث حين يفرّ أمير الجيش ؟
الخائف يهربْ
والبطل يضيع
ولهذا فأنا باقٍ
لن أتزحزحَ ألا تحت سيوف هشام

على : لك أن تقعد حتى ينقضّ عليك عدوُّك
لكنى أعرف سِككا أخرى
ولهذا أرحل . . . .

« يخرج على

حماد : فكّرْ ياغيلان
يستهدفك الآن هشام
ولنا أحبابٌ فى أدغال دمشق يشرفهم أن نهبط ضيفاً

غيلان : لن أتخفّىَ كالقاتل أو كاللص ،
نصرنا رجلا نصَرَ الله ونصر المظلومين ،
أنخلع ثوب الحق لنُسعد شيطاناً ؟

حماد : نتخفّىَ حتى يُسْفر صاحبُنا عن وجهه

غيلان : أن تتخفى يعنى أن تُسْجَن
فلماذا أسجن نفسى عند صديق
أفزع أسرته . . أسجنه خوفا

حماد : لن تسجن أحد

غيلان : لن يتركنا الفاسق ياحمادُ
سيبَحث . . يرسل بصاحبيه . . يؤلّب
يرشو . . .
يشحذ هِمَمَ الجند وأطماع الوسطاءِ
لماذا أجعله يزهو بمهابته وبقوّته
لا . . لن أتخفى
فِعْلى أتحمّلهُ
وقرارى يُلزمنى وحدى
أما أنت فخيّر قلبك . .
لك أن تبقى
أو ترحل مصْحوباً بالبركَهْ

حماد : سأظل معك
لكنى كنت أفضّل ألا نقع كعصفورين ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غريرين على كتف الصيّاد

غيلان : عُمَرُ العادل حارب فوق جواد الصدِق
تقوّى بنزاهتهِ
فرّق بين الحق وبين الباطل
لم يتحايلْ

حماد : ولهذا قصُرَتْ رحلتُهُ ياغيلان

غيلان : العُمْرُ هِبَهْ
ولقد عاش شريفا ونزيها
أطلق شُعْلتَهُ وأضاءَ ،
إلى أن نفذَ الزيتْ
الرائى والمتكلم ياحمادُ صنوان
هذا يبصر ثم يصيح
فيمشى فى أثرهما الناسُ . . لهذا
كنّا لخليفتنا الراحل أهلا

حماد : والآن ؟

غيلان : نصبح شُعَلاً مثله .

« يُسمع صياحٌ وصخب فى الخارج . . يُدفعُ الباب ويدخل الجنود يلتفون حول الشيخين — يقترب كبيرهُم من غيلان »

كبيرالجند : أنت المدعو غيلان ؟

حماد : وأنا حماد

كبيرالجند : هل سألك أحدٌ ياهُزَاه ؟
ألقوه بعيداً
« الجنود يجرون حمادا إلى الخارج »

كبيرالجند : « مقتربا من غيلان »
هو أنت إذنْ ؟
الشتّامُ القوّال المتهجِّمْ !
كنتُ أظنك عملاقاً
صنديداً تتحاشاه الأبطال ! « يبدأ فى الضحك »
أراك حُطاماً
مدْلوقا قرب الحائط
ياالله . . !
زمنٌ أغبرْ
رجل مهدوم يتحدى جبلاً !

غيلان : هل جئت لكى تتنّدر ياهذا
أم جئت لتُنْجزَ عملا ؟

كبيرالجند : آه . . آه
كنت سأشفق والله عليكْ
لكنّ لسانَك نبهنى للشر الكامن فيك

غيلان : الزمْ حدكْ
هل جئت تناقِشُ
أم جئت بأمر من مولاك

كبيرالجند : « يصفع غيلان » كى تتأكد أنى أتقن عملى
فكلامى ليس مناقشةً
أو لعباً . . أو إهدارا للوقت
أنا أتكلم كى أتأكدَ أنك غيلانُ
القذر المطاوبُ . . خذوهُ فجُرّوهُ لكى نُلزِمَهُ حد الأدب
فقد عاث فسادا
وخليفتُنا يأمر بالعدل وبالإحسانِ
وتأديب الخونه .

« المشهد الرابع »

المنظر : قفص يمثل الزنزانة ــ غيلان داخل الزنزانة قاعداً على الأرض مادا ساقيه ــ وأمام الزنزانة يجلس حارس على مقعد خشبى ــ بعد رفع الستار يدخل هشام فيهب الحارس واقفا مُفسِحاً له .

هشام : أوقعك الله أخيراً ياغيلانُ
وسود وجهَكْ

غيلان : « يزحف مقتربا من جدار القفص » لم يوقع بى غيرك
فالله رحيم لا يوقع بالبسطاءِ
التوّاقين إلى الانصافِ ولا يخذلهم

هشام : أوَ لم يخذلك الآن ؟

غيلان : بل خذلك أنتْ !
أعطاك فعَمّ فجورُك
صرت ذراعاً للشيطان

هشام : « يضحك ضاربا كفا بكف » يتكلم مُنْشرِحاً
وكأنى بين يديه يعاقبنى
وكأنى المسجون !
هل أوقعنى الله كما أوقعك وخذلكْ ؟

غيلان : لم يخذلنى
شاءت حكمتُهُ أن تُمْتحَنَ وأن أُمْتَحَنَ ،
أنا صيّادك
ضعفى شبكتُك دمائى حجرُك
أنت صِراطى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هشام : تنكر فِعل الله إذنْ ؟

غيلان : « يقف مستندا إلى القضبان » أنكر أن تَقْتلَ ،
أو تسرق ثم تقول : الله فعَلْ ،
أنكر أن تطغى ثم تقول : أراد الله

هشام : تعلن كفرك قُدّامى
إذ تنكر ما قدره الله على عبده !

غيلان : بل أنت الفاسق
تنسب أخطاءك ومعاصيك إليه ،
وتقعد مرتاحاً

هشام : دعنا من سفْسطة الفقهاء وقل لى
ماذا أصنع بك ؟

غيلان : ما شاء الله فعل

هشام : هاأنت تُقرّ بأنى أفعل بمشيئته ،
فإذا شاء نفيتك
وإذا شاء قتلتُكَ لستُ الآمرَ ياغيلانُ
أنا آلتُهُ . .
يدُهُ تبطش أو ترحم

غيلان : لا
هذا بابُ القتلة والخطافين
يريدون يُحِلّون لأنفسهم أموال الناس ،
دماء الناس . . يعيثون فسادا
ويقولون أطعنا الله وهمُ كُفّار

هشام : بكلامك هذا ضيّعت عُمر
أرهبته
قبل خلافته كان ودوداً وهّاباً
حتى مِلتَ عليهِ
دسَسْت ثعابينَ كلامك فى أذنيهِ
فخاف ، تقشف ، ضاعَ
وراح يذوبُ . . آآخذ منك الآن دمَهْ ؟

غيلان : تكذب دون خجل
وتثرثر عمّن ضاع وما ضاع سواك !
لماذا تحبسنى ؟

هشام : أفسدت كثيرا ياغيلانُ
خلعت الطاعة
شجّعت على العصيان
شتّمت وبالغت . . نصرت الحمقَى

غيلان : كنت أنفّذ أمر عُمر

هشام : لا أقصد أمتِعَة الأمويين المنهوبةَ منهم
أقصد قِلّة عقلك
تعريضَك بى
سبّك للساده
من أعطاك الحق لتشتُمَ وتسبْ

غيلان : أنت وأمثالك من محترفى أكل حقوق الناس
ومن يتقوّى بكْ
يمشى فى الأسواق وسيفُك عُمْلَتُهُ
فيخيف ويبخَسْ
ويتاجر فى آلام الناس يُسمى السرقة كسْباً
والنهبَ مهارة

هشام : ياالله !
أتمكّن منك الحقدُ إلى هذا الحدْ ؟
صرت ترانى طمّاعاً طاغيةً
تستكثر مالى
تشتم أعوانى وتسبّ
تفتش فى أوراقك عن سيف كى تطعننى ؟
لكنى سأكون كريما
أدعُك يوماً أو يومين تُفكّرْ
فاذا استغفرت وتُبْتَ نظرنا فى أمركْ
أمّا إن طال لسانُكْ
ملأ الشر جرابَكَ ، عاقبناكَ ففكّر .
وتذكرْ أنى لا أسمح بمعارضةٍ
من ليس معى فهو عدوّى . .

« يخرج »

« يعود الحارس من ركنه مقتربا من قضبان القفص »

الحارس : أقسم أنك مجنون

غيلان : لمْ ياشرطىّ

الحارس : تقتل نفسك بلسانِك !
ماذا لو أعلنت التوبه
بلّلت كلامَك بسحابات الندمِ ،
كتبت استعطافا ؟

غيلان : لم أخطىء
حتى أندم أو أستعطفَ أو أرجو

الحارس : أرجوك
لا تطلق خيلَ كلامِكَ
كى لا يذهب عقلى
فأنا رجلٌ عملىّ
علْمى يتلخص فى شيئين
مَنْفعة عيالى
ومقاومة السّاعين إلىّ بسيف الشرْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غيلان : وأنا مثلك ياشرطى
أبغى منفعة عيالى
ومقاومة الشر القابع فى أعماق الناس

الحارس : أنت تُلوِّن قولى
لم أقصدْ دفع الشرّ القابع فى الأعماق
فأنا لست رسولاً مبعوثا للناسِ ،
ولستُ خليفة
أقصد دفْعَ الساعين إلىّ فقط
هُمْ بضعةُ أحْباب صاروا أعداءً
أو أعداء صاروا أحباباً
يوجعهم أن يكثر رزقى
أو تتحسنَ أحوالى
فيمدّون ذراع الشرّ
يَشُونَ ويلْتفّونَ فأضحك
ثم أفاجئهم
لكنك أحمق
تلقى نفسك فى البحرِ ،
تُوَسِّع دائرة الأعداء

غيلان : اسمع ياشرطى
دائرتى لا تشبه دائرتَكْ
ولهذا نحن الآن هنا
أنت تُوَسِّع رزقكْ
وأنا محبوس

الحارس : هذا عملى ياأحمق
لمْ أتطوّعْ بالقبض عليك وحبسِكْ
هل كنت صديقا لى
غيّرك الوقتُ فصرتَ عدواً ؟

غيلان : « ضاحكا . . » لا أقصد سوءاً بك
لكنى أشرح وجهةَ نظرى
عملك يصنع دائرتَكْ
عملى يصنع دائرتى
أنت الشرطىُّ السّجانُ
لهذا يحسدك البعضُ وقد يكرهك البعضُ
قليلون يحبونكْ
وأنا مُتكلِّمْ . .
عملى أن أتكلَّمْ
أتحسّس أوجاع الناس ،
أغوص وأجتهد أقيس وأفْتى
قولى قد يُسعد مسكينا
يقلق لصّا أو طاغيةً
ولهذا يُعْصفُ بى

الحارس : ولماذا لا تُتْقِن عملَكْ
تدفع عن كلماتك ما يضرم غضب السلطان ؟
حسِبْتُكُ شيخا مسْكونا بالحكمة
ماذا لو سخّرْتَ كلامَك لمطاردة الفاسق ،
واللص وتعليم البسطاء ؟

غيلان : فإذا كان الفاسق سلطاناً
واللصُّ خليفه ؟

الحارس : آه . .
عُدْنا لكلام لا أرتاح إليه
احذرْ كى لا يندلق لسانُك ،
فكّرْ ياهذا فى أبنائك ، أهلِك ،
سيف الغضب المتربص خلفك
عندئذ سيمر الوقتُ فتعتاد وتنسى

غيلان : تقصد أسكتْ ؟

الحارس : تبعد سيفا أو مشنقةً

غيلان : أفقد عملى

الحارس : تعمل خبّازا . . طحّانا أو نجاراً

غيلان : أو شرطيا

الحارس : أقسم أنك أبله !
هل تحسبنى أعمى
أم تحسبنى ياغبولُ مجرّدَ سيف ؟
أعرف مثلك أشياءَ كثيرة
لكنى لا أتحدث عنها فى الطرقات
بل لاأكشف عنها لامرأتى
فهى امرأةٌ . . قد تزهو بى فتثرثر
أو تنقلب علىَّ فتحفر تحت جذورى

غيلان : أنت إذن مسجون مثلى
يسجنك الرعب ، يشلُّ لسانَك
يطفىء عينيك يُفرِّق بين مُحِبِّيك وبينكْ
سِجْنى أهون من سِجْنكْ
فأنا يسجننى الجبّارُ هشام
أما أنت فتسجن نفسَك

الحارس : لا ياأحمق
بل أكسب رزق عيالى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أطفو بسفينتهم رغم الموج ودوّامات الظُّلْمه
ولهذا كنت وراء سليمان العم
ووراء عمَرْ
والآن ترانى خلف هشام
فاذا حدث وأصبحتَ خليفة . . . « يقهقه ضاحكا »
وأنا لا أرتاح لذلك !
قد تلمحنى أيضا خلقكْ

غيلان : أوَلا ترتاح إلىَّ ؟

الحارس : أرتاح وأنت سجين
أمّا إن صِرت خليفه
فالويل لأمثالى !

غيلان : تَوَقّع أن أثأر منك ؟

الحارس : لا
لا . . لا « يحك جبهته بيده ويضحك »
ستُضيِّق رزقى
ترغمنى أن أنحّط على الأرصفةِ كَسُولاً
لا أتجسّسُ
لا أتربّصُ
لا أوقع بالناس
وهذا قتلٌ لى
ستعيد إلى ذاكرتى عهدَ عُمَرْ
كان رقيقا محْبوباً
لكنى . . كنت بلا عملٍ تقريباً فى عهده

غيلان : ياالله !
تكره صُوَر العدل إلى هذا الحدْ ؟

الحارس : لا تظلمنى أرجوكْ !
فأنا مثلك أعشق عملى
أنت تخاف الصمت ،
تُصِرّ على إطلاق لسانك حتى لو قَتَلكْ
وأنا أخشى أن تفرغَ هذى الزنزانه
أقعد قرب الباب لكى أتسلّى
بمراقبة السوس الصاعد فى الأخشاب

غيلان : لكنك تنصحنى بالحرص وتقْييد لسانى

الحارس : كي لا تُقتَلْ
موتُك لن يجعل من مفتاح الزنزانة هذا
سبباً للبهجة « يدير المفتاح بين يديه »
ولهذا يامجنون
خُذ هذى الورقة « . . يمد يديه إلى غيلان بورقة »
واكتب لخليفتنا استعطافاً .
من ناحيتى سأرقّقُ قلبَه
لا أدرى لمَ أنْشدّ اليكْ ؟

غيلان : « يمزق الورقة » هذا ردّى فانقله إلى مولاكْ

الحارس : فكّرْ ياشيخ قليلا
لستُ عدوّك

غيلان : أعدائى من يجعل منك ومن أمثالك !
سجانين ومسجونين وقتلَهْ
قُل لهشام
يستعجل غيلانُ لطائفَ مولاه

الحارس : لا أفهم هذى الجملة !

غيلان : يفهمها مولاك فلا تهتم .

« المشهد الخامس »

المنظر : قاعة واسعة تشى محتوياتُها بالترف والفخامة ــ فى الوسط يجلس هشام إلى اليمين.بالقرب من الباب يقف الحاجب وعدد من الحراس ــ إلى اليسار يقف الجلاد بعد رفع الستار يدخل السجان .

هشام : ماذا تحمل فى عُبِّك ياشرطى ؟

السجان : يستعجل غيلان لطائفَ مولاه

هشام : هل أرسل مكتوبا ؟

السجان : لا . .
بل قال . .

هشام : « ينتفض واقفا » لا تُكمِلْ
فأنا أعرف أن الشرّ استفحل فيهِ
فصال وجال . . تمادى فى العصيانِ ،
تهاونّا معه فاختلّ
رمى أسْهمَهُ فى أعيننا
نِسىَ الدولة والقانون
نِسىَ الله
لهذا . . قررنا أن نقتلع الشرَّ
نقيم على المتمرد حدّ المفسدِ
ياجلاد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجلاد : فى خدمتكم !

هشام : خذه إلى باب دمشقْ
عَلِّقْهُ على خشَبَه
واقطع رجليه . . يديه ، ودعه يولولْ

الجلاد : كنت أظن السجن مكانا صِحِّيا
لإقامة هذا الحدْ
فالجدران سميكة
والحراس غِلاظ
وكلاب السجن ذئابٌ تتَخفّى فى أثواب كلابْ
لكنا نتعلم من حِكْمتكم

هشام : « إلى كبير الجند » اجعل قتل الأحمق يوماً مشهوداً
مُرْ جندك أن يحتشدوا
مزهوين فخورينَ
وأعوانك أن ينتشروا بين الناس ،
أريد طبولاً
صَخبا يدفع بالناس إلى الميدانِ
فهذا الموت المُعْلَنُ خير كتاب نرسله للعاصى
والمقترب من العصيانْ
والمتخلف عن إشهار ولائه

الجلاد : قد يجعل هذا البعضَ يثور ويتَّمرْ

هشام : أعرف
لكن السيف يوسِّع باب الحكمة
سيضيف إلى المتخوِّفِ خوفاً
ويرجُّ المنتظرَ الواقفَ
ثم يوَسْوِس للشجعانِ فيرتعشونَ
يظنون ويرتبكون
وإن حالفنا الحظ يدورون على أنفسهم .
أمّا إن وسوس أحدٌ للناسِ
أثار وسبّ وحضّ على العصيان

الجلاد : فسيصبح صيدا سهلا يامولاى

هشام : « يقهقه ضاحكا » تفهمنى ياهذا
حسنٌ . . .
اذهب
وتذكرُ أنى لا أرتاح لمن يتلكأ فى تنفيذ الأمر .

« يخرج الجلاد وتخفت الإضاءة وتسمع أصوات بعيدة متداخلة ــ بكاء ــ وهمهمة ــ ثم يعلو صوت غيلان

يوشك أن يُفتحَ لى
هذا سيف النور يشق الظلمةْ
شجرٌ يخضر ويخضرُّ
طيور تسبح تحت العرشِ
وهذا غيلان الطفل
وهذا شيخى يعطينى المصباحَ
يمد إلىَّ يداً باللقمةْ
يمسح رأسى
ينفُض عن لحيته الدمعَ
وهذا . . .
هذا . .
لكأنى أبدأ ثانيةً
مدّوا أيديكم
هذا المصباح خذوهُ
وهذا خُبْزى . .
كونوا شجراً
أقمارا ومصابيحَ
التفّوا حول الشعلة
« يعلو صوت البكاء والنشيج ــ
يضاء المسرح ويدخل الجلاد مفزوعاً »

الجلاد : لم يمت المتكلّم يامولاى
ما زال يصلّى
يعِظ ، يسبّ الظلمَ
يُجمّل للبسطاء الموت

هشام : والناس ؟

الجلاد : حوَاليه يصيحون ويبكون

هشام : كان علينا ألا نترك للمتكلم سيفَهْ
تفهم ما أقصد ؟

الجلاد : أفهم يامولاى

هشام : وإذن شقّ فمَهْ
واخلع أصْل لسانه
عندئذ نرتاح ويرتاح ويرتاحونْ

الجلاد : الناس حواليه يصيحون ويبكون

هشام : وسينسون سريعا
خُذ هذا المال
انثره عليهم
قُلْ رضَى خليفتكم عنكم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فأراد يكافئكم
عن ترك شواغلكم والإسراعِ إلى الميدانْ
لمُعاينةِ وقائع موت الكافرْ
انثر ياجلاد
انثر وانثر وانثرْ
فالناسُ هم الناس
ينسون وينقلبون سريعاً

« إلى وسط المسرح »

« يخرج الجلاد وينطلق هشام . .

معظُمهم سيعود إلى الأطفالِ
بخبزٍ أو فاكهةٍ
ليُثرثر عن غيلان المفسِدْ
ورعايتنا لحقوق الأُمَّة ..« بينما يهبط الستار »

القاهرة : محمد سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفنان يوسف سيده : من الواقعية إلى لغة الكمبيوتر !

عز الدين نجيب

الفنان « يوسف سِيدَه » واحد ممن هضمت حقهم الأقلام والإعلام ، منذ بدأ عطاءه الإبداعى النشط الذى لم يتوقف طوال أربعين عاما ، مضيفا ، ومجددا الحركة التشكيلية برؤاه الطليعية ، مما فتح آفاقا جديدة لفنانين أصبحوا نجوما لامعة فى سماء الحركة ، بينما بقى هو فى الظل ، مغتربا داخل وطنه أو خارجه ، حين اضطر للسفر إلى إحدى الدول ليعمل أستاذا جامعيا للفن قرابة عشر سنوات

ويوسف سِيدَه ينتمى إلى الموجة الثانية من جيل الأربعينات من الفنانين المصريين (الجيل الثاني للحركة الفنية المصرية بعد جيل الرواد) ، وهو جيل الجماعات الفنية الشابة ، التى جاءت متمردة على أوضاع الواقع والفن المحافظ آنذاك على السواء . وشهد هذا الجيل ثورتين فنيتين :

كانت الثورة الأولى عام ١٩٣٩ مع قيام جماعة « الفن والحرية » . وفرسانها المصورون : رمسيس يونان وكامل التلمساني وفؤاد كامل ، تحت الزعامة الفكرية للشاعر السريالي جورج حنين . كانت ثورة على الفن الكلاسيكى والأكاديمى ودعوة إلى ارتباط الفن بالعصر الحديث واتجاهاته الثورية في الفكر والسياسة والفن ، عندما شع نبع جبل الرواد ونضب ابتكاره ، وتجمد فى قوالب أكاديمية أو محافظة ، وبدا واضحا أنه قال كلمته ولم يعد لديه ما يضيفه ، بعد ربع قرن من ريادته للحركة الفنية . من هنا اعتنق فرسان الجماعة الجديدة « السريالية » مذهبا و « الماركسية » طريقا . . . وهكذا اكتسبت ثورتهم مسحة « كوزموبوليتانية » مجردة وإن انغمست فى واقع السياسة المحلية ودعت إلى تغييره .

وجاءت الثورة الثانية فى ١٩٤٨ بقيام جماعتى « الفن المعاصر » و « الفن الحديث » ، الأولى بقيادة حسين يوسف أمين ، وكان ألمع فرسانها عبد الهادى الجزار وحامد ندا ، والثانية بقيادة يوسف العفيفى ، وكان ألمع فرسانها يوسف سِيدَه وحامد عويس وجمال السجينى وجاذبية سرى وداود عزيز . وقد جمع بين الجماعتين التمرد ، ليس على الفن التقليدى المحافظ وحده ، بل أيضا على اتجاه جماعة الفن والحرية ، التى ولّت وجهها جهة الغرب ، مقتفية أثر الحضارة الأوروبية المأزومة بعد دمارها فى حربين عالميتين ، فانعزلت بمفاهيمها الفوقية ولغتها الغربية المتعالية على جماهير الشعب ، فكأن الجماعتين جاءتا « ثورة على الثورة » ، جاءتا مناديتين بارتباط الفن بالواقع المصرى ، وبالتعبير عن الطبقات المطحونة والمستغلة ، لكن مع الاستفادة بمنجزات الفن الحديث عبر تياراته التعبيرية والسريالية والتكعيبية .

وإن كان ثمة اختلاف بين فكر الجماعتين ، فهو يكمن فى ميل الجماعة الأولى - الفن المعاصر - إلى منابع الفن البدائى أسلوبا ، وإلى استلهام عالم الأسطورة الشعبية وانسحاق الشعب تحت نير الاستبداد والخرافة مضمونا ، فاقتصر فنهم بذلك على كونه شهادة مأساوية على عصر كامل ، وتثبيتا له دون أن يدروا ، على حين اتجه فرسان الجماعة الثانية - الفن الحديث - إلى التعبير عن الإنسان المصرى فى تفاعله وتلاحمه مع الواقع المرير وهو يسعى إلى تغييره . من هنا ظهرت فى أعمالهم بشائر الواقعية الاشتراكية ، وتبوأ دور البطولة فيها : العامل الصناعى الجديد وهو يشق الطريق للطبقة العاملة ، والفلاح الصابر وهو يتطلع بثقة إلى المستقبل ، والمرأة المكافحة من أجل الحفاظ على الأسرة فى مواجهة الفقر المدقع ، فكأنهم كانوا بذلك خمائر الوعى الاجتماعى الجديد ، الذى نضج على نيران الهبّة الشعبية العارمة للعمال والطلبة عام ١٩٤٦ ، وبشارة بثورة يوليو ، التى قامت بعد ذلك بسنوات قليلة .

وإذا كانت السطور السابقة تحمل مظنّة أن هذه الأعمال الفنية كانت أعمالا دعائية أو مباشرة ، الأمر الذى يضعها فى مرتبة أدنى من الفن الخالص ، فإن الحقيقة على

عكس ذلك ، إذ أن هذا المضمون الثورى تفتّق عن لغة تشكيلية شديدة التميز والدينامية ، أخذت الكثير عن « التعبيرية » و « الحوشية » فى أوروبا وإن لم تسقط فى أسرهما ، عمادها هو « الشكل » وتحليله ، وإقامة علاقات جمالية نابضة بين عناصره المختلفة ، من ألوان وخطوط وسطوح متوترة ، وهذا مايجعل أعمالهم قادرة على أن تعيش برسوخ حتى اليوم ، برغم تغير الظروف الاجتماعية التى عبرت عنها .

وهذا ما نجده بوضوح فى لوحات يوسف سيده الزيتية فى أواخر الأربعينات ، قبل أن يذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى منحته الدراسية الأولى للتخصص فى التربية الفنية (منحة فولبرايت ١٩٥٠ ـ ١٩٥١) ثم تحولت إلى بعثة من الحكومة المصرية إلى (مينا بوليس ٥١ ـ ١٩٥٢) . ومن أهم لوحات هذه المرحلة « الخياطة » و « الغسالة » ، وفيهما يعمد الفنان إلى استخدام المنظور الفوقى ، مما أتاح للمرأتين الكادحتين ، ولأدوات العمل حولهما ، أن تسيطر على الفراغ فى معمار متين ذى ألوان طاغية .

لكن بقدر مابدأ حياته الفنية بالعمل على تجاوز الواقع الفنى والاجتماعى القائم آنذاك ، كانت حياته الفنية بعد ذلك تجاوزا متصلا للاتجاهات السائدة ، حتى لما يمارسه هو نفسه ، إذا ما استشعر تحوله إلى نمط مكرر ، أو شيوع أسلوبه بين زملائه فى فترة معينة ، مهتما دائما بأن يظل فنانا طليعيا ، وكاشفا لآفاق غير مطروقة .

هكذا نلاحظ فى أعماله طوال الخمسينات بعد عودته من الولايات المتحدة تبلور رؤية جمالية جديدة لديه ، تخففت إلى حد بعيد من أثقال التعبير الموضوعى المباشر والفكرة الصارخة واهتمت بالدرجة الأولى ـ ببنائية العمل الفنى القائمة على أشكال مستوحاة من الفنون الفلكلورية ، التى راح يتتبعها فى الأحياء الشعبية فى المدن أو القرى النائية بصعيد مصر . لكنه ـ إذ فعل ذلك ـ كان بعيدا عن فن « الحلية البرجوازية أو السياحية » ، بل يمكن القول إنه كان يتطلع إلى أسلوب تعبيرى ذى روح شعبية ، مستقاة من تراث يرتبط بالحياة اليومية للشعب ، ولايرتبط بالعبادة مثل فنون الحضارات المصرية الثلاث ، وهو فى ذلك كان فنا كاشفا لأصول اجتماعية فقيرة ، وإن كان ينضح بسمات طقوسية بدائية . ونلاحظ أن اللون كان يلعب دور البطولة فى هذه الأعمال ، بقوته وصراحته وتحديد مساحاته فى ايقاع زخرفى ، بما يشابه أعمال « ماتيس » . و « راوده » وغيرهما من التعبيريين والضوارى ، بما لديهم أيضا من ميل إلى تأكيد الخط الخارجي القائم وإلغاء البعد الثالث وتسطيح الأشكال ونلاحظ فى هذه المرحلة كثيرا من أوجه الشبه بين أعماله وأعمال معظم زملائه فى تلك الفترة من فنانى الجماعة .

ثم بدأ ـ مع أوائل الستينات ـ رحلته مع الحرف العربي ، لقد كان فى طليعة الفنانين المصريين والعرب الذين استخدموا حروف الكتابه كعنصر موضوعى وحيد فى تشكيل اللوحة ، منطلقا منه إلى رؤية قومية حديثة للفن المصرى والعربى ، بل لعل محاولته الأولى فى هذا المجال سبقت محاولات الفنان المصرى حامد عبد الله والفنان العراقى شاكر حسن آل سعيد ، وأقرانه .

والغريب أننا نكتشف أن إنجازه لأعمال هذه المرحلة « الحروفية » قد تم وهو فى بعثته الثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٦١ ـ ١٩٦٦) ، إبّان تحضيره لرسالة الدكتوراه بجامعة أوهايو كولمبس . وحين عرضها هناك أثارت ردود فعل متناقضة بين الاستحسان والاستهجان ، لكنه واصل تجربته حتى بعد عودته إلى الوطن ، دون أن يسقط أسيرا لأى من الاتجاهات الفنية الحديثة السائدة فى الغرب ، وإن كان قد استفاد منها بدرجة كبيرة ، بما يتلاقى ومنطلقاته الأصيلة ، ويساعده للوصول إلى صيغة قومية جديدة لفنه .

وليس من الصعب أن نلاحظ ـ فى هذه المرحلة أيضا ـ استلهامه للتراث الشعبى ، فعلى عكس معظم الفنانين الحروفيين ، لم يهتم يوسف سيده بنقل الأنماط التقليدية والكلاسيكية للخط العربى ، بل استوحى أقرب الخطوط إلى الكتابات الشعبية الساذجة على جدران البيوت فى مناسبات الحج وغيرها . وبالغ بشكل خاص فى مد حرف الألف واللام إلى أعلى ارتفاع ممكن عن بقية الحروف ، ليستخدمها فاصلا ايقاعيا متكررا فى جملة موسيقية ، وكذلك فى تحديد مساحات لونية متقاطعة أو متداخلة ، مما يقربها من زخارف قماش « الخيامية » الذى يستخدم فى السرادقات . ولعله أيضا كان السبّاق إلى توظيف هذه الحروف توظيفا موضوعيا ـ وليس جماليا فقط ـ حين سعى إلى تكوين بعض الجمل المفيدة من مجمل الحروف والكلمات المتناثرة ، ترمز إلى معنى وطنى وقومى ، وهى وإن بدت أقرب إلى الفوضى والتجريد ، أبعد ما تكون عن ذلك ، إنما يحكمها نظام بنائى يشابه نسق الزخرفة الاسلامية ، كما تحمل رسالة وطنية ، لمن شاء البحث عن موضوع للعمل الفنى .

ويوسف سيده فنان صرحىّ التكوينات ، صنعت لوحاته لتغطى جدرانا هائلة ، جهير الألوان ، صريح المساحات والنبرة ، فنه لايعرف الهمس أو المواربة ، ولاينفصل عن حياة العصر وواقع المجتمع ، يعبر عنهما وينقدهما إن لزم الأمر ، لكنه ـ فى النهاية ـ لغة مستقلة عن الواقع ، لغة بصرية تستمد مفرداتها وبلاغتها من « الشكل » وجمالياته ، إيقاعها الموسيقي يجمع بين التوقيع الشرقى المنتظم ، وبين الهارمونية المركبة فى تصاعد دراماتيكي .

وقد وجد فى انتصار اكتوبر ١٩٧٣ مادة غنية لتحقيق نزوعه الوطنى الجياش ، فلم يكتف باستخدام الحروف التى تكوّن جملا ترتبط بالحدث العظيم ، بل جعل البطولة فى لوحات هذه الفترة لوجوه الجنود المليئة بالإصرار ، مع رموز من اللغة الفرعونية مثل الطيور ، واتخذت الحروف والكلمات مكان الإطار الخارجي ، الذى يدور حول هؤلاء الأبطال ، فى ترديد كورالى احتفالى موحد القافية صاخب الأنغام ، كالنشيد الحماسى .

وعلى مدار السبعينات لعب « سيده » على هذا السلم الموسيقي بإيقاعات مختلفة بين الصخب والرقة ، بين الموضوعية والتجريدية ، بين الاقتصار على الحروف وبين مزاوجتها بالمشخصات ، وكثيرا ما كانت تستهويه اللعبة لذاتها ، فيدندن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالألوان على القماش الأبيض بإيقاعات رتيبة كأنغام العود ، دون التزام « بميلوديه » أو جملة موسيقية .

فى مرحلته الأخيرة - من أواخر السبعينات حتى الآن - تحول يوسف سيده عن الحروف إلى الأرقام العربية . وقد خفتت حدة ألوانه ، وأصبحت أقرب إلى الرقة والصفاء ، وصارت الأرقام دالّة ورمزا لعصر هو عصر الكمبيوتر ، واختناق الانسان وسط حصار الأرقام ، وبزغ من خضم اللغة الرقمية الجديدة وجه الانسان بين الحين والآخر ، بعيون ساكنه أو حائرة أو مستنجدة ، وبدا التكوين العام للوحة - التى صغر حجمها عن ذى قبل بدرجة كبيرة - محكما إحكاما هندسيا صارما ، فى متواليات عددية معقدة ، تدور فى مسارات منتظمة حتى تقترب شيئا فشيئا وتحكم الخناق حول مركز اللوحة ، الذى تبزغ منه العينان . لكن ما يخفف من وطأة هذا الشعور بالاختناق هو البهجة التى تضيفها الألوان ، والطابع الزخرفى الشرقى للتكوين .

على أن حنينه الذى لايفتر لتأكيد هويته المصرية والعربية ، جعله يزاوج بين الأرقام الجديدة وبين حروف الكتابة حينا ، وحينا آخر يكوّن من خلالها وجوها واشخاصا تذكرنا - بصورة مباشرة أو غير مباشرة - بعروسة المولد الفاطمية ذات الجذور الشعبية ، أو بالملكة نفرتيتى ، أو بطابع الفن المصرى القديم على وجه العموم ، لكن أشخاصه تبدو أطيافا شفافة ، لاتستطيع أن تستخلصها من بين زحام الحروف والأرقام إلا عين حساسة مدربة . ونلاحظ أن هذه المرحلة هى نتاج سنوات غربته الطويلة بالمملكة السعودية وتأثيرها النفسى عليه ، سلبا أو إيجابا .

وسواء فى المرحلة التعبيرية الشعبية ، أو المرحلة الحروفية القومية ، أو المرحلة الرمزية الأخيرة بالأرقام ، فإن الهم الأساسى ليوسف سيده كان دائما هو انتماؤه إلى حضارة مصرية وعربية ، والعثورعلى صيغة فنية تجسد هذا الانتماء ، وتضيف إلى تيار الفن الحديث فى الخارج بقدر ما تأخذ منه ، متحررة من مركب النقص الثقافى تجاه الغرب ، ومتحررة كذلك من مركب الاستعلاء على بنى وطنه ، ومن الرغبة فى تملق ذوقهم الفنى غير المدرب فى نفس الوقت .

ويوسف سيده ، الذى ولد بمدينة دمياط فى ١٩ يوليو ١٩٢٢ ، ونال دبلوم المعهد العالى للتربية الفنية عام ١٩٤٥ ، والماجستير فى التربية الفنية من أمريكا عام ١٩٥٢ ، والدكتوراه منها أيضا عام ١٩٦٥ ، يعمل الآن أستاذا محاضرا بكلية التربية الفنية بالقاهرة ، وقد أقيم آخر معرض لأعماله فى أكتوبر الماضي بمجمع الفنون بالقاهرة .

القاهرة : عزالدين نجيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفنان يوسف سيده :
من الواقعية إلى لغة الكمبيوتر !

أرقام وعيون ـ زيت على قماش ـ ١٩٨٥

الوحدة العربية ـ زيت على قماش ـ ١٩٦٢

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

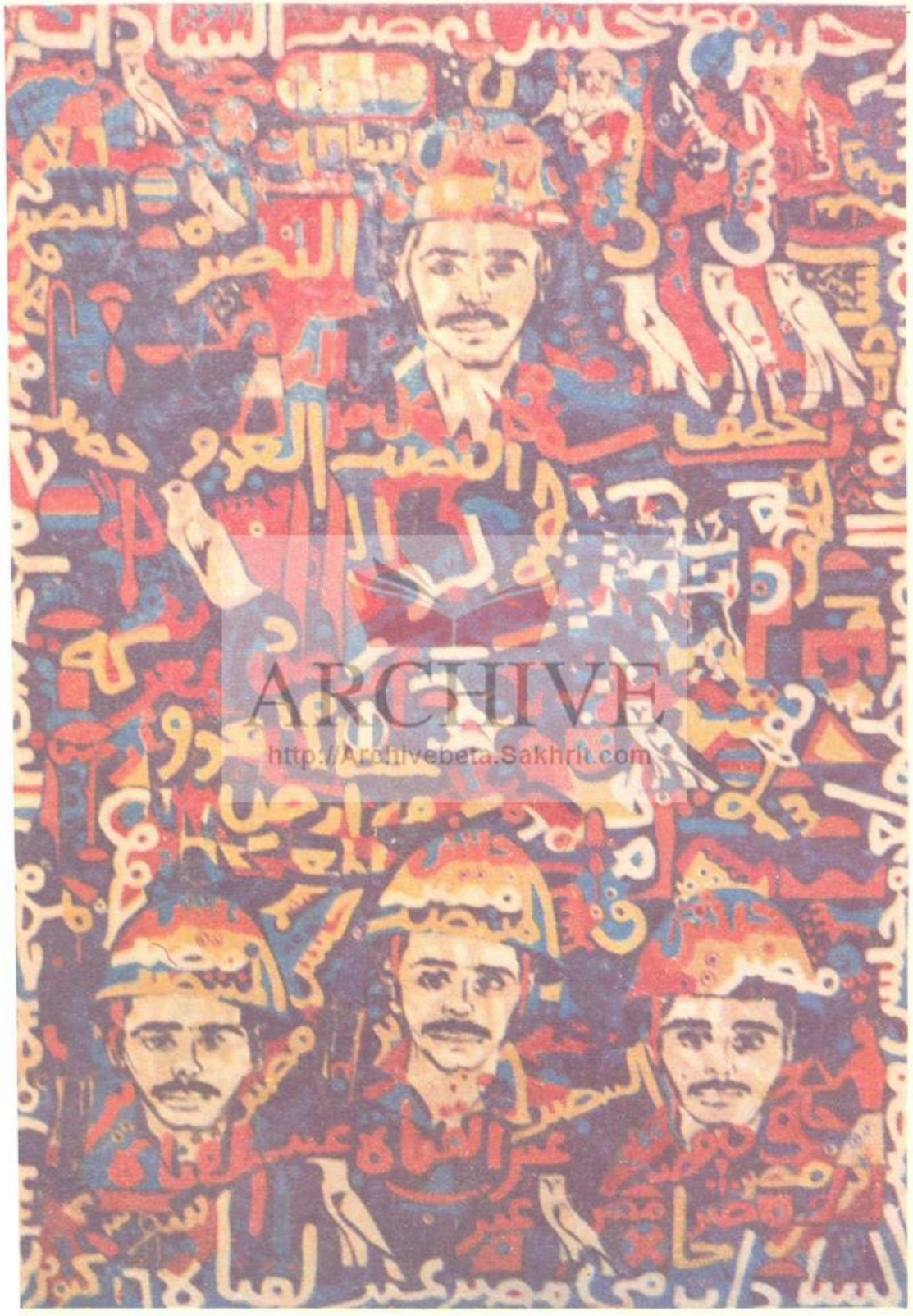

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« العبور » ١٩٧٣ - زيت على قماش

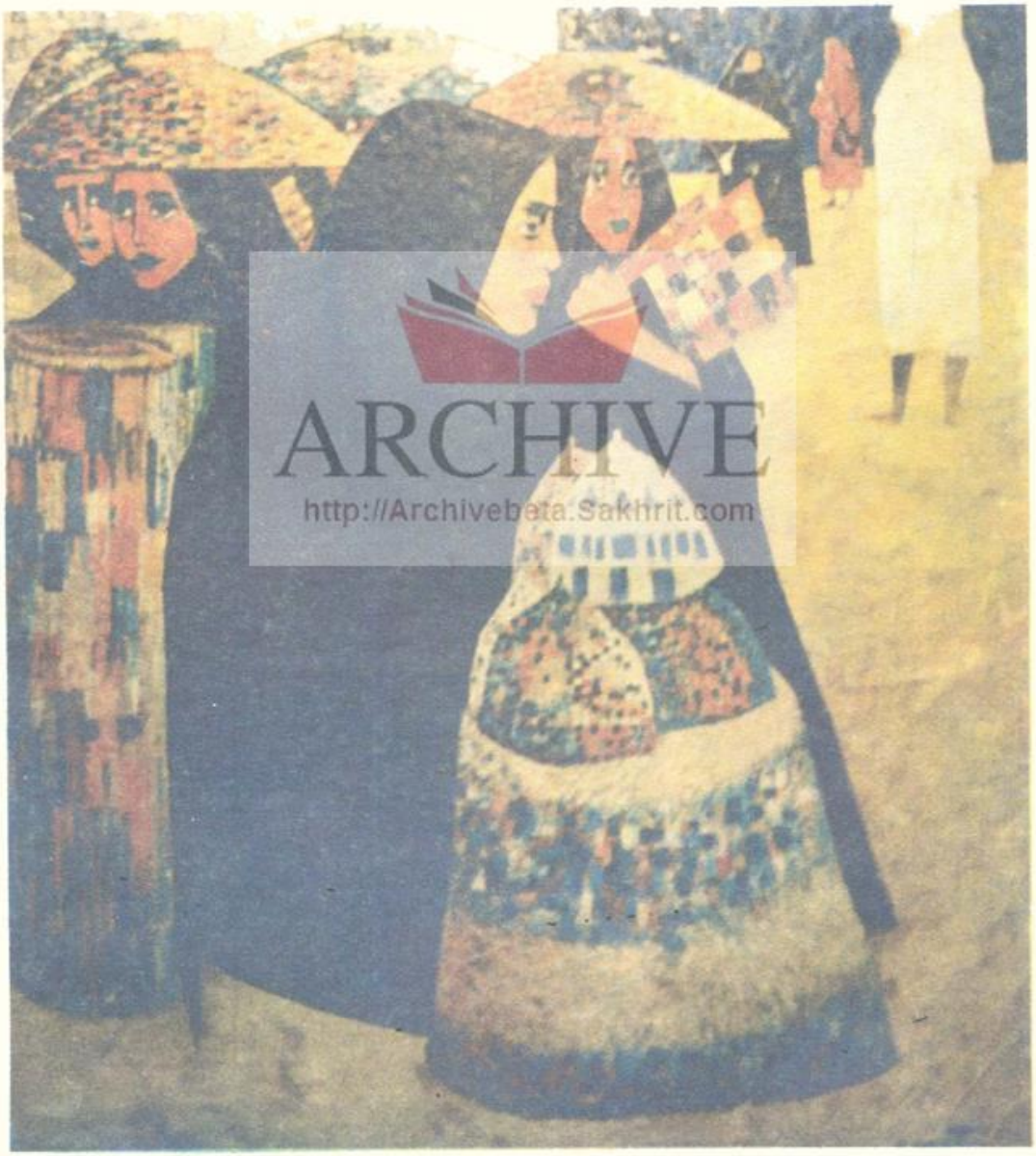

فتاة من أسوان - زيت على قماش - ١٩٦٠

الخياطة - زيت على قماش - ١٩٤٧

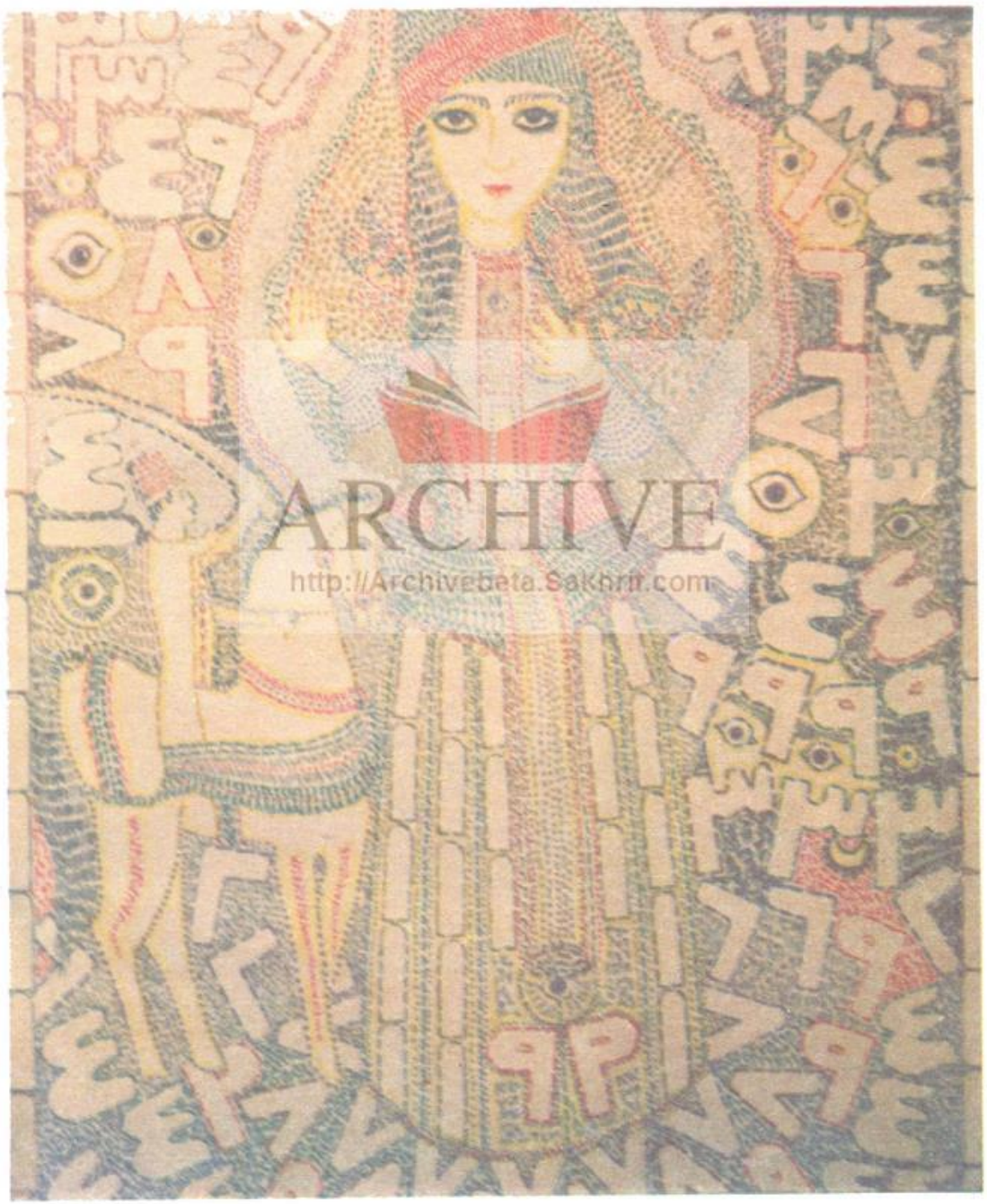

عروسة المولد - زيت على قماش

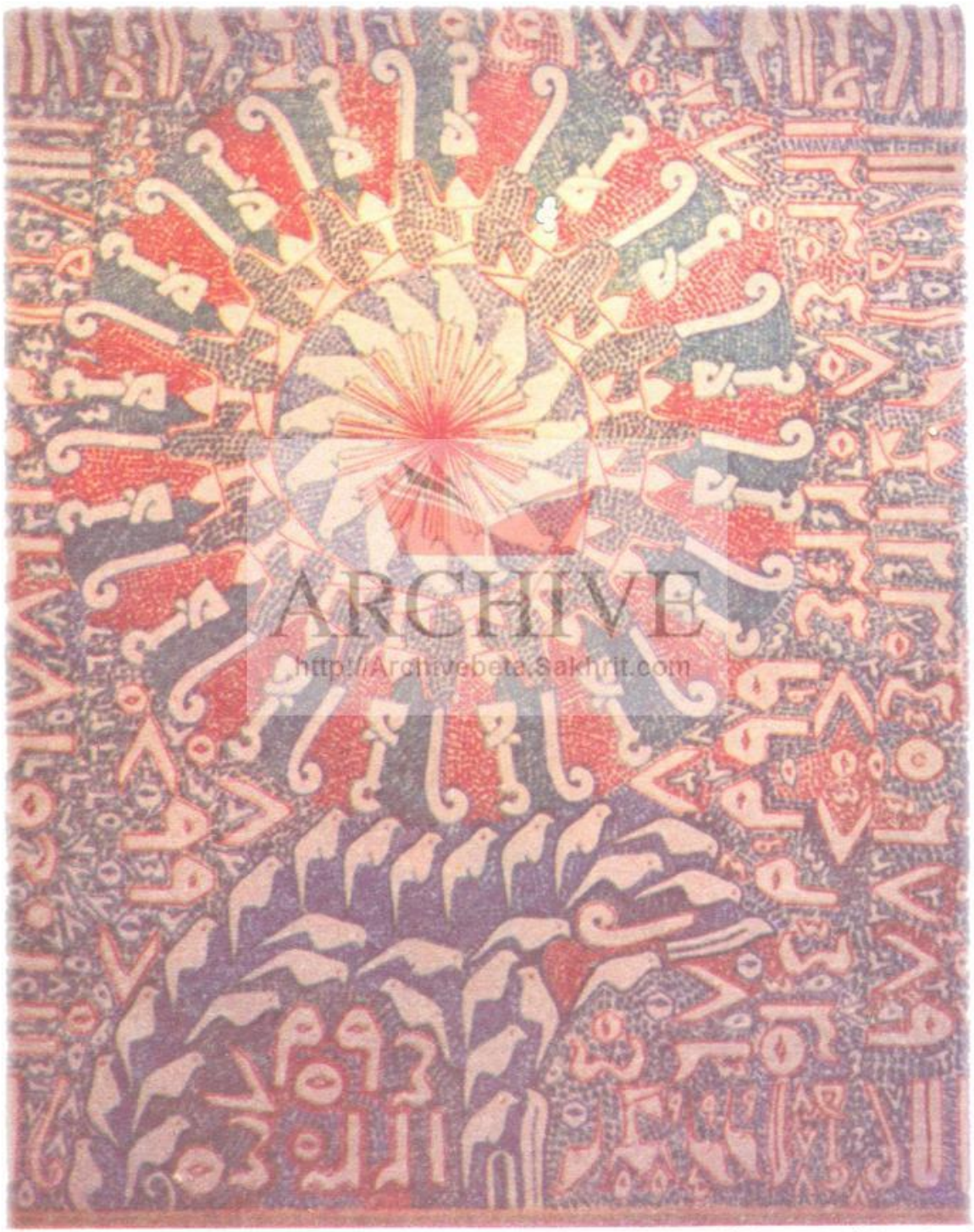
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تکوین فرعونی اسلامی - زیت علی قماش -۱۹۸۲

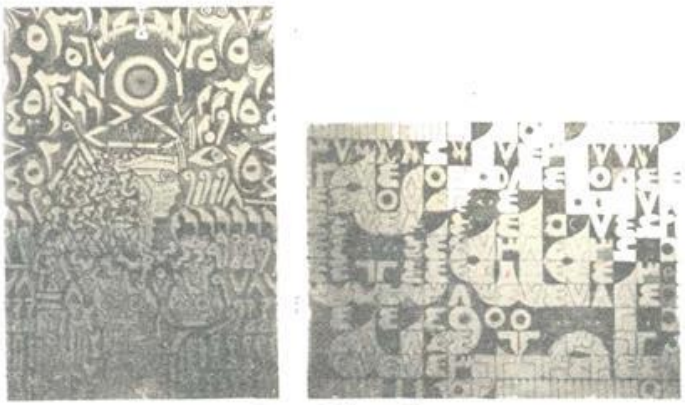

صورتا الغلاف للفنان يوسف سيده

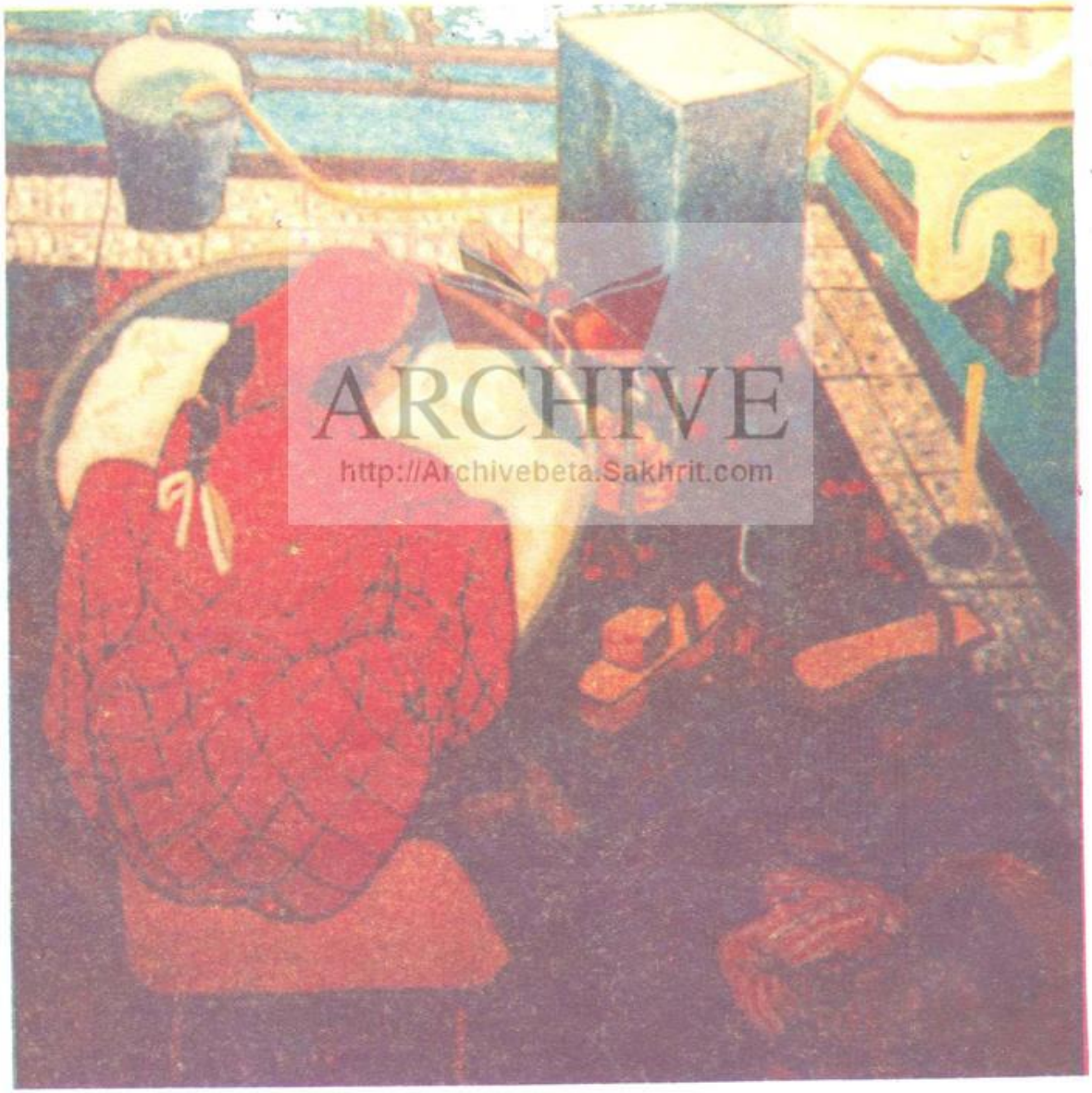

الغسيل - زيت على قماش - ١٩٤٧

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب